
ابراهيم ناجي
الأعمال الشعرية المختارة
تحقيق ودراسة
حسن توفيق


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأعمال الشعرية المختارة

إبراهيم ناجي

تحقيق ودراسة

حسن توفيق

الأعمال الشعرية المختارة - شعر
إبراهيم ناجي
تحقيق ودراسة حسن توفيق
الطبعة العربية الأولى- يناير ٢٠٠٣

الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث
إدارة الثقافة والفنون
قسم الدراسات والبحوث
ت :٤٨٥٩٨٨٨- ٩٧٤.
فاكس : ٤٨٣٠١٢٥ - ٩٧٤.
الدوحة - دولة قطر - ص .ب (٣٣٣٢)
تصميم الغلاف: الفنان عماد برقاوي
بورتريه ناجي : الفنان جمال قطب
التنفيذ الطباعي: مطابع الدوحة الحديثة

إبراهيم ناجي

الأعمال الشعرية المختارة

تحقيق ودراسة

حسن توفيق

المجلس الوطني للثقافة

والفنون والتراث



كل شيء صار مُـرًا في فمي   بعدما أصبحتُ بالدنيا عليمًا
آهِ مَن يـأخـذ عـمـري كله   ويعيد الطفلَ والجهلَ القديمًا

من «وراء الغمام»

أين من عيني حبيبٌ ساحرٌ   فـيـه نـبلٌ وجـلالٌ وحـيـاءْ
واثـقُ الخطوة يمشي مَـلَـكـاً   ظالمُ الحسنِ شهيُّ الكبرياءْ

من «ليالي القاهرة»

إن يومـاً واحـداً أسـعـدني   جمعَ الأفراح طُراً من شتاتِ
وَهوَ عـمـرٌ كاملٌ عـشتُ به   كلُّ أعمارِ الورى مجتمعاتِ

من «الطائر الجريح»

حـبيـبـةَ قلبي حياتي الفِدَا   وإن كان في مقلتيك الردَى
إذا مـرَّ يـومي بلا مـلتـقى   أقـول لقلبي انتظرها غـداً

من «قصائد مجهولة»



قبل أن أبدأ.. وقبل أن تقرأ..

★ دائما أبدأ بالحب الذي يدفعني دفعا إلى العمل.. الحب هنا يرتبط بشاعر من أرق وأجمل شعرائنا العرب.. كنت ما أزالُ طالبا بالمرحلة الثانوية عندما سحرني شاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي.. أحببت قصائده العاطفية من كل قلبي، لدرجة أني حفظت معظمها إن لم يكن كلها، وما تزال ذاكرتي إلى اليوم، وعلى الرغم من عواصف الزمان وشواغل الحياة، تحتفظ بكثير من هذه القصائد الساحرة.

★ يبدو أننا نعشق «الثنائيات» في حياتنا الأدبية والفنية، حيث نتذكر حافظ إبراهيم بمجرد أن نتحدث عن «أمير الشعراء»، أحمد شوقي، ونتذكر ميخائيل نعيمة بمجرد أن نذكر جبران خليل جبران، وإذا كنا حين نتحدث عن كوكب الشرق أم كلثوم، فإننا - في الغالب - لا نذكر مطربة قبلها ولا بعدها، إلا أننا - أحيانا - نستدعي اسمهان حين نتحدث عن

أم كلثوم، ومن شعراء جماعة أبولو فإننا حين نتذكر إبراهيم ناجي، نتذكر معه علي محمود طه، وأعترف هنا بأني كنت وما زلت منحازاً لناجي، على حساب صديقه ومنافسه في زمانهما علي محمود طه، كما أن ناجي لم يغادر قلبي، حتى بعد أن أحببت بعده شاعرين كبيرين من رواد حركة الشعر الحر في أمتنا العربية، وهما بدر شاكر السياب وصلاح عبدالصبور.

* دفعني الحب لشاعر الحب، لأن أكتب عنه - على امتداد أكثر من ثلاثين سنة - عشرات المقالات التي نشرت في العديد من مجلاتنا وجرائدنا العربية. وفي سنة ١٩٧٨ أصدرت أول كتاب لي عن ناجي، بعنوان «قصائد مجهولة لإبراهيم ناجي» الذي ضم خمسين قصيدة، تصدرتها دراسة متأنية، وقد صدر هذا الكتاب - وقتها - عن مكتبة مدبولي بالقاهرة. وفي سنة ١٩٩٥ كلفني الدكتور جابر عصفور - الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر بإعداد «الأعمال الشعرية الكاملة» لناجي والتي صدرت بالفعل في السنة التالية، سنة ١٩٩٦، وتضاعف فيها عدد القصائد

المجهولة من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة.

★ تحمس كثيرون من النقاد والباحثين والشعراء المرموقين للأعمال الشعرية الكاملة لناجي بعد صدورها، وعلى سبيل المثال، فإن أستاذي الكاتب الكبير رجاء النقاش كتب عنها مقالا رائعا مطولا في «الأهرام» بعنوان «قصيدة في القلب»، كما كتب الباحث الكبير الدكتور يوسف حسين بكار دراسة مطولة، أشاد خلالها بالجهد الذي بذلته في تحقيق تلك الأعمال، وفيما بعد أصبحت هذه الدراسة فصلا من فصول كتاب «العين البصيرة - قراءات نقدية» للدكتور يوسف حسين بكار، وهو الكتاب رقم (٨٦) في سلسلة «كتاب الرياض» التي تصدر في المملكة العربية السعودية. أما الباحث المدقق الجاد مصطفى يعقوب، فقد نشر دراسة مستفيضة في مجلة «علامات» السعودية - عدد مارس سنة ٢٠٠٠ بعنوان «الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم ناجي - ملاحظات ونصوص مجهولة» وقد سعدت وأفدت من هذه الدراسة، على الرغم من ملاحظاتي على ملاحظات مصطفى يعقوب!.. أما القاهرة والدوحة، فقد شهدتا ندوتين،

خصصتا لمناقشة - الأعمال الشعرية الكاملة لناجي، أولاهما نظمها المجلس الأعلى للثقافة والفنون في مصر، والثانية نظمها نادي الجسرة الثقافي في قطر.

* أتصور أن الدكتور جابر عصفور قد سعد حقا بما حظيت به الأعمال الشعرية لناجي من اهتمام وتقدير، فضلا عن نفاد جميع نسخ طبعتها الأولى بسرعة، وبصورة فاقت التوقعات، ولهذا فإنه عاد وكلفني بمهمة جديدة، تتمثل في جمع وتحقيق «الأعمال النثرية الكاملة» لناجي، وهذا ما قمت به بالفعل، لكن هذه الأعمال النثرية ظلت قابعة في المجلس الأعلى للثقافة في مصر طيلة أربع سنوات، لأسباب متعددة، دون أن ترى النور. وكان لا بد أن أغامر وأبادر إلى طبعها على نفقتي الشخصية في الدوحة، حيث صدرت سنة ٢٠٠١ في مجلدين، تجاوز عدد صفحاتهما ألف صفحة، وإذا كنت قد تكبدت - ماديا - ما تكبدت، فإني قد سعدت - معنويا - بإصدار هذين المجلدين، ولا أنسى هنا أن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري قد ساندتني مساندة مشكورة، حيث اشترت مجموعة من

نسخ «الأعمال النثرية الكاملة» بسعر تشجيعي، ويبدو لي أن باحثين جامعيين عديدين كانوا كأنما يترقبون صدور هذه الأعمال النثرية لناجي، لكي يشرعوا في إعداد دراسات أكاديمية لنيل درجة الماجستير، فهذا ما جرى في الجامعة الأميركية ببيروت وما جرى في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية، وجامعة فاس في المغرب.

* تصدر هذه «الأعمال الشعرية المختارة» لناجي في طبعتها الأولى عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر، وقبل أن أبدأ في الحديث عنها باعتباره مدخلا إليها، وقبل أن يقرأ القارىء هذه الأعمال الشعرية المختارة، فإني أستأذن في الإشارة إلى بعض الأمور المتعلقة بها أو التي تدور حولها.

* تشتمل هذه «الأعمال الشعرية المختارة» على ثلاثة أقسام، أولها يضم الدراسة التي أعددتها عن ناجي وعن حياته وشعره بصورة عامة، وهي بعنوان «ناجي.. الحياة - الحب - الموت» أما القسم الثاني فإنه يضم خمسا وعشرين قصيدة من روائع ناجي، والتي اخترتها من دواوينه «وراء

الغمام» الصادر سنة ١٩٣٤ و«ليالي القاهرة» الصادر سنة ١٩٥٠ و«الطائر الجريح» الصادر سنة ١٩٥٧، في حين يضم القسم الثالث خمسا وعشرين قصيدة من قصائد ناجي المجهولة، من بينها ثلاث قصائد لم تنشر من قبل، فيما سبق أن أصدرته، وقد راعيت أن أشير إلى المصدر الذي حصلت منه على كل قصيدة، وهذا ما يجده القارىء عندما يتابع - في خاتمة الكتاب - «مصادر القصائد المجهولة».

* من بين روائع ناجي التي اخترتها هنا، حرصت على اختيار قصيدة «الوداع» وهي إحدى قصائد ديوان «وراء الغمام» وقصيدة «الأطلال» وهي إحدى قصائد ديوان «ليالي القاهرة» وليس المهم أن هاتين القصيدتين تنتميان - موسيقيا إلى بحر الرمل «فاعلاتن - فاعلاتن - فاعلاتن» فقد كتب ناجي كثيرا من روائعه العاطفية وفقا لموسيقى هذا البحر الذي كان يحبه أكثر من سواه من بحور الشعر التي حددها الخليل بن أحمد، فالواقع أني حرصت على اختيار «الوداع» و«الأطلال» لأن هاتين القصيدتين قد كشفتا لي أمرا، لا يتعلق بناجي وحده، إنما يتعلق كذلك بكوكب الشرق

أم كلثوم!.

* كان ناجي يتمنى من كل قلبه أن تغني له أم كلثوم إحدى قصائده، حتى تتحقق له شهرة جماهيرية عريضة، لا مجرد شهرة في الساحة الأدبية العربية وحدها، ولكن أم كلثوم لم تحقق لناجي ما تمناه من كل قلبه خلال حياته، فانطلق إلى محمد عبدالوهاب الذي اختار عدة مقطوعات من قصيدة مطولة من روائع ناجي، والتي يجدها القارىء في هذا الكتاب، وهي قصيدة بعنوان «الخريف» أما ما غناه محمد عبدالوهاب منها فإنه معروف بعنوان «القيثارة» وكان من المقرر ان تذاع هذه القصيدة بألحان وصوت عبدالوهاب خلال سنة ١٩٥٣، لكن ناجي رحل عن عالمنا يوم ٢٤ مارس من تلك السنة دون أن يسمعها، ولم تذع هذه القصيدة إلا سنة ١٩٥٤، وأذكر منها هنا:

أي سـر فـيك إني لستُ أدري
كل مـا فـيك من الأسـرار يغـري
خطرٌ ينسـاب من مـفـتـر ثغـرِ
فـتنةٌ تعـصف من لفـتـة نحـرِ

قدر ينسج من خصلةِ شعرِ
زورق يسبح في موجةِ عطرِ
في عباب غامض التيار يجري
واصلاً ما بين عينيك وعمري

تحققت أمنية ناجي - دون أن يدري - بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة على رحيله عن عالمنا حين غنت أم كلثوم له مقاطع من «الأطلال» وأضافت إليها مقطعين من قصيدة «الوداع» وابتداء من سنة ١٩٦٦، أصبح اسم ناجي على كل لسان بفضل صوت أم كلثوم، دون أن أنسى بالطبع العبقري رياض السنباطي.

يشتمل النص الأصلي الكامل للأطلال، كما كتبه ناجي، على (١٣٤) بيتاً، بينما يشتمل النص الأصلي الكامل لقصيدة الوداع على (٢٨) بيتاً، أما «الأطلال» التي غنتها أم كلثوم فهي تشتمل على (٣٢) بيتاً، منها سبعة أبيات من النص الأصلي لقصيدة الوداع، وأثبت هنا هذه الأبيات السبعة مع بيت آخر هو الثالث منها والذي لم تغنه أم كلثوم.

هل رأى الحب سكارى مثلنا

كم بنينا من خيال حولنا

ومشينا في طريق مقمر

تثب الفرحة فيه قبلنا

وتطلعنا إلى أنجمه

فتهاوينَ وأصبحنَ لنا

وضحكنا ضحك طفلين معا

وعدونا فسبقنا ظلنا

***

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق

وأفقنا ليت أنّا لا نفيق

يقظة طاحت بأحلام الكرى

وتولى الليل، والليل صديق

وإذا النور نذير طالع

وإذا الفجر مطل كالحريق

وإذا الدنيا كما نعرفها

وإذا الأحباب كل في طريق

قلت - من قبل - إن نـاجي كان يتمنى من كل قلـبه أن تغني له أم كلثـوم إحـدى قصائده، لكن الأمـنية لم تـتحـقق إلا بعـد رحيله عن عـالمنا، وهنا أطرح سؤالا طرحـته على نفـسي عدة مـرات منذ سنوات، ولم أتـوصل إلى إجـابة عليـه إلا منذ عـدة أشهر فحسب: هل هناك من غنى قصائد لناجي خلال حياته؟

أهداني أحد أصـدقائي الحـميمين، وهو الإعـلامي القطري حسن محمـد الحاج، مجلدا نادرا يضم أعداد السنة الأولى من مـجلة أسـبـوعـيـة، هي مـجلة «الراديو المـصـري» التي صـدر عددها الأول يوم ٢١ مـارس سنة ١٩٣٥ أي بعد تأسـيس الإذاعة المصرية بنحـو سنة واحدة، والحق أني قد تصفـحت أعداد تلك المجلة بصـورة سـريعـة في البـداية، ثم خطر لي أثناء إعـدادي لهذا الكتاب «الأعمال الشعرية المختارة» أن أعود لقراءة «الراديو المصري» بصورة متأنية، وبهذا التأني توصلت إلى الإجابة على السؤال الذي كان يشغلني، وكنت أطرحه على نفسي؛ هل هناك من غنى قصائد لناجي خلال حياته؟

أستطيع الآن الإجابة، وهي بالإيجاب.. نعم.. هناك من غنى لناجي خلال حياته.. ومـتى؟.. في سنة ١٩٣٥.. ففي حفلة يوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ مايو سنة ١٩٣٥ غنى الأستاذ محمد صادق «قصيدة من تأليف الدكتور إبراهيم ناجي، ومن تلحين محمد صادق».. ولكن ما هي هذه القصيدة؟.. هنا المفاجأة المدهشة.. فقد غنى محمد صادق سنة ١٩٣٥ أبياتا مما غنتها أم كلثوم سنة ١٩٦٦!!.. وهذه الأبيات من قصيدة «الوداع» لناجي، وإذا كانت أم كلثوم قد غنت منها - كما ذكرت - سبعة أبيات، فإن محمد صادق قد غنى ثمانية أبيات، أي إنه غنى البيت الذي لم تغنه أم كلثوم، والذي أشرت إليه من قبل، وأثبتُ هنا الأبيات الثمانية التي غناها محمد صادق سنة ١٩٣٥:

هل رأى الحب سكارى مثلنا

كم بنينا من خيال حولنا

ومشينا في طريق مقمر

تثب الفرحة فيه قبلنا

وضحكنا ضحك طفلين معا

وعدونا فسبقنا ظلنا

وتطلعنا إلى أنجمه

فتهاوينَ وأصبحنَ لنا

***

لِمَ يا هاجر أصبحت رحيما

والحنان الجم والرقة فيما

لِمَ تسقينيَ من شهد الرضا

وتلاقيني عطوفا وكريما

كل شيء صار مرا في فمي

بعدما أصبحت بالدنيا عليما

آه من يأخذ عمري كله

ويعيد الطفل والجهل القديما

وإذا كان لا بد أن نلاحظ شيئا في ترتيب الأبيات، فإني أذكر هنا أن البيت الذي لم تغنه أم كلثوم هو الثالث في النص الأصلي للمقطوعة، ولكن محمد صادق جعله البيت الرابع، وفضلا عن هذا، وخارج سياق الحديث، فإن مجلة «الراديو المصري» أخطأت خطأ طباعيا في هذا البيت، فجاء على هذا النحو:

وتطلعنا إلى أنجمه

فتهاوينا وأصبحنا لنا

والصحيح، كما ورد في نص القصيدة ضمن ديوان «وراء

الغمام» الذي صدر سنة ١٩٣٤ هو:

وتطلعنا إلى أنجمه

فتهاوينَ وأصبحنَ لنا

وهنا أود أن أقول إن أم كلثوم ربما تكون قد استمعت إلى أبيات ناجي هذه سنة ١٩٣٥ من خلال حفلة محمد صادق، وإذا لم تكن قد استمعت، فإنها - بالتأكيد - قد قرأت هذه الأبيات، لأنها منشورة في «الراديو المصري» إلى جوار نصوص الأغاني التي كانت تغنيها في نفس تلك السنة، وقد عاد محمد صادق إلى غناء أبيات ناجي مرة ثانية في حفلة ٣ أغسطس ١٩٣٥، ثم غنى لناجي قصيدة «الغد» في حفلة ١٧ أغسطس من نفس تلك السنة، وهي القصيدة التي غنتها فيما بعد المطربة الكبيرة سعاد محمد، ولحنها رياض السنباطي، وغنى محمد صادق قصيدة ثالثة لناجي في حفلة ٣١ أغسطس ١٩٣٥، وهي بعنوان «توأم الروح» التي ضمتها - فيما بعد - ضمن القصائد المجهولة في «الأعمال الشعرية الكاملة» لناجي، ومطلعها:

مـهـلاً فـإن المـنادي شطرك الـظامي

يـا تـوأمَ الـروحِ أدركْ روحـيَ الـدامـي

* بحكم عـملي في الصحافـة، فإني أعـذر الذين يقعـون في أخطاء، تبدو مضحكة أحيانا، نتـيجة عدم التزامهم بالدقة التي تتطلب التـأني، وهو مـا لا يتـحقق للصحـافـة اليـوميـة بصورة أسـاسيـة، لكني أتصـور أن التـأني مـطلوب حين يكون مـا هو مكتوب فيهـا مكتوبا في مجلة أسبوعيـة، ويصبح التأني مطلوبا أكثر حين يكون المقال مقالا لرئيس تحرير المجلة الأسبوعية.

على غـلاف عـدد ١٣ فـبـراير سنة ٢٠٠٠ مـن مـجلة «نصف الدنيـا» الأسـبوعـيـة والتـي ترأس تحـريـرها الكاتبـة القـديـرة سناء البـيـسي، نطالع عنوانا مـثيرا هـو «سناء البيـسي تنفرد بنشـر أشعـار مجـهولة لإبراهـيـم نـاجي بخط يده»، أما المقـال ذاته فإن خاتمتـه تقول: «.. يا نـاجي الأشعار.. بإزاحـة الستـار عن قصـائدك الجديدة نعدو نسـابق جميع الصحف والمجلات والمحافل والأقطار..»!!

يسـتـنـد مـقال سناء البـيـسي على مـجموعة مـن القصـائد بخط نـاجي، وهـي من القـصـائد التـي تحـتـفـظ بهـا السـيـدة

أميرة إبراهيم ناجي، وقد سعدت سناء البيسي بهذه القصائد، وقامت بتصويرها، لتنشر ضمن مقالها الأسبوعي، ولو كانت هذه القصائد «جديدة» حقا لكنت قد سعدت بها، باعتباري واحدا ممن يعشقون قصائد الشاعر الرقيق والكبير، لكنني أدركت بمجرد أن تصفحت القصائد المنشورة في «نصف الدنيا» أنها - في معظمها - ليست «جديدة» وبالتالي فإن سناء البيسي ما كان لها أن تقول «يا ناجي الأشعار.. بإزاحة الستار عن قصائدك الجديدة نعدو نسابق جميع الصحف والمجلات والمحافل والأقطار..»!!

كنت أتمنى أن تقرأ سناء البيسي دواوين ناجي، وبالذات ديوان «ليالي القاهرة» قبل أن تكتب عن ناجي ما كتبته، متصورة إنها قد أتت بشيء جديد، دون أن يكون هناك أي جديد بالفعل، وذلك لأن معظم القصائد المصورة بخط ناجي، تمثل مقطوعات من قصيدة «الخريف» وهي إحدى قصائد ديوان «ليالي القاهرة» الصادر سنة ١٩٥٠، وقد ضممت هذه القصيدة إلى «الأعمال الشعرية الكاملة» لناجي، كما أنها موجودة هنا في هذا الكتاب الذي يضم «الأعمال الشعرية المختارة» لناجي.

أعرف أن الكاتبة القديرة سناء البيسي تعشق محمد عبدالوهاب، فكيف لم تستطع أن تتبين أن القصيدة الوحيدة التي غناها عبدالوهاب لناجي، والتي أشرت إليها هنا من قبل، هي من ضمن القصائد التي تقول هي عنها إنها «جديدة»؟!.. هل «أي سر فيك إني لست أدري..» جديدة؟! وإلى جانب هذا فإن عملية نقل بعض القصائد المكتوبة بخط ناجي، لكي يتسنى نشرها بحروف الطباعة قد شابتها أخطاء، أذكر هنا منها على سبيل المثال:

عندما (أرفع) ركب العمر

(شاهدت) الدنيا وجوها ورؤى

فالصحيح، كما ورد بخط ناجي الواضح، وكما ورد في ديوان «ليالي القاهرة» و«الأعمال الشعرية الكاملة» وهذه «الأعمال الشعرية المختارة» هو:

عندما أزمع ركب العمر

شاهت الدنيا وجوها ورؤى

أتمنى أن تعود سناء البيسي إلى مقالها وإلى دواوين ناجي، لكي تتبين أشياء عديدة، لا مجال هنا لأن أطيل في الحديث

عنها وشرحها.

★ من خلال متابعاتي المتأنية لشعر ناجي، وقراءاتي الفاحصة للدراسات التي صدرت عنه، أدركت أن كثيرين من الدارسين والباحثين الأكاديميين قد وقعوا في أخطاء فادحة، بل فاضحة، وقد أشرت إلى بعض هذه الأخطاء، لا كلها، في الدراسة التي أسميتها «ناجي.. الحياة - الحب - الموت» وإذا كنا نعذر الورثة لأنهم ليسوا متخصصين، فهل بمقدورنا أن نعذر الدارسين والباحثين الأكاديميين؟!

★ أود أخيرا أن أشير إلى قضية حساسة، لأنها تتعلق بورثة الشعراء الذين أحببتهم بصورة عامة، فقد أدركت أن كثيرين منهم لا يحسنون التصرف فيما تحت أيديهم من كنوز أزواجهم أو آبائهم الشعراء الذين رحلوا عن عالمنا، ولأن هؤلاء الورثة ليسوا متخصصين في الأدب ولا في تحقيق النصوص، فإنهم يقعون بين الحين والآخر في أخطاء فادحة، وقد يوقعون معهم في مصيدة تلك الأخطاء من يتعاملون معهم من المحققين، وهذا ما جرى بالفعل فيما يتعلق بالشاعر الرقيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجي، لكني

أكتـفي بما قلت، دون أن أورد أمـثلة عـديـدة أعـرفـهـا حق المعرفة، وذلك حرصا مني على عدم إحراج أحد.

* هذا قليل من كـثيـر، أحببت أن أشيـر إليه قـبل أن أبدأ تقـديم هذه «الأعـمـال الشعـريـة المختـارة» لناجي، وقـبل أن يشرع القـارىء في قراءتها، ويبـقى الحب الذي يدفعني دفـعا إلى العمل المضني، وفاءً لمن أحببتهم من شعرائنا العرب، وفي صدارتهم شاعر الحب الرقيق والكبير إبراهيم ناجي.

«حســن توفيــق»

الدوحة - ١١ نوفمبر ٢٠٠٢

ناجي... الحياة - الحب - الموت

بقلم: حسن توفيق

نحن لا نولد بإرادتنا، ولا نموت بإرادتنا. لكننا نستطيع أن نسعى لتحقيق ما نود أن نحققه بإرادتنا عبر سنوات حياتنا.

ما بين يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٩٨ ويوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٣، عاش شاعر مرهف الحس، محب للحياة إذا جادت عليه بالحب، وناقم عليها، بل كاره لها إذا حرمته من الحب. هذا الشاعر المرهف الحس هو الدكتور إبراهيم ناجي الذي كانت حياته قصيدة حب ذات مقاطع متنوعة، أغلبها شجي وحزين، وأقلها مسكون بالفرح.

امتزج شعر ناجي بحياته امتزاجا عميقا، يصعب معه أن نفصل بينهما، فقد كانت قصائده انعكاسا لحياته، وكانت حياته - بمنغصاتها وآلامها الكثيرة وبأفراحها القليلة - مرسومة في قصائده. لكن ناجي -في خضم حياته - لم يهتم بجمع قصائده أولا بأول في دواوين تضمها مجتمعة، على

عكس شعراء جيله وشعراء الأجيال التالية، وعلى سبيل المثال، فإن ناجي الذي عاش أربعا وخمسين سنة لم يصدر غير ديوانين في حياته، بينما نجد أن علي محمود طه الذي عاش سبعا وأربعين سنة (من ١٩٠٢ إلى ١٩٤٩) قد أصدر خلال حياته دواوينه «الملاح التائه» و «ليالى الملاح التائه» و «أرواح وأشباح» و«زهر وخمر» و «الشوق العائد» و «شرق وغرب». اهتمام علي محمود طه بجمع قصائده في دواوين خلال حياته، جعل مهمة الذين تصدوا لجمعها في «أعمال شعرية كاملة» مهمة سهلة ويسيرة، بينما تكفل عدم اهتمام ناجي بجمع قصائده في دواوين - باستثناء ديوانين - خلال حياته،بأن يجعل مهمة الذين تصدوا لجمع تلك القصائد في «أعمال شعرية كاملة» مهمة صعبة وعسيرة..

حقا، إنها مهمة صعبة وعسيرة، مهمة التصدي لجمع قصائد ناجي في مجلد واحد ضخم، يضمها - مجتمعة - بين دفتيه، لكني أؤمن أن أي عمل ممزوج بالحب، يمكنه أن يتغلب على الصعاب وأن يجعل العسير يسيرا ... العمل الممزوج بالحب هو

الذي صوره جبران خليل جبران في «النبي»، ويطيب لي هنا أن أقتطفه نقلا عن الترجمة الرائعة التى قام بها الكاتب الفنان الكبير د. ثروت عكاشة. يقول جبران: «.. وما يكون العمل الممزوج بالحب؟.. هو أن تنسج الثوب بخيوط مسلولة من قلبك، كما لو كان هذا الثوب سيرتديه من تحب .. هو أن تبني دارا والوجْدُ رائدك، كما لو كانت هذه الدار ستضم من تحب .. هو أن تنثر البذور في حنان، وتجمع حصادك في فرح، كما لو كانت الثمار سيأكلها من تحب .. هو أن تنفخ كل ما تصنعه يداك بنسمة من روحك، وأن تدرك أن كل أعزائك الراحلين، قد التفوا حولك يراقبون ..» أحسست بفرح عميق، رغم أن الفرح شحيح في زماننا، منذ أن كلفني -عام ١٩٩٥- الأستاذ الدكتور جابر عصفور - الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر الغالية، بمهمة إصدار «الأعمال الشعرية الكاملة» للدكتور إبراهيم ناجي، لأني كنت أتهيأ بالفعل لإصدارها بعد استكمال القصائد استكمالا وافيا ودقيقا، بل إني كنت أحلم بإصدارها على نفقتي الخاصة، لكن الحلم كان

يتحطم على صخرة الأعباء المادية التي لا قِبلَ لي بها ولا بمواجهتها. وهكذا شرعت في مهمتي بحماسة لم أعهدها في نفسي منذ سنوات، حماسة غذاها الحب لشاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي، الذي أحببته منذ صباي الباكر.. كيف نشأ هذا الحب وكيف تغلغل في أعماقي ولماذا هذا ما تحدث عنه.

ناجي.. والصبيّ الذي أحبه

مازلت أذكر هيئتى وأنا صبيٌ في الخامسة عشرة من عمره .. كان يحلو لهذا الصبي أن يقضي معظم أمسياته على شاطىء النيل في ساحل روض الفرج، مترنما بأبيات عذبة رقيقة يختلس النظر إليها بين الحين والحين من ديوان شعر صغير الحجم يحمله معه في تلك الأمسيات باعتزاز وحب، كما لو كان يحمل شيئا نفيسا يود ان يراه الناس جميعا لكى يتسنى له أن يتباهى به عليهم ..

والحق أن المارة على شاطىء النيل لم يكونوا يأبهون كثيرا لهيئة هذا الصبيً، بقدر ما كانوا يندهشون عندما يهطل المطر في تلك الأمسيات البعيدة، فيهرولون جميعا تاركين هذا الصبى بجسده النحيل وخطواته الهادئة المتسقة التى لم يفلح المطر في أن يخرجها عن هدوئها واتساقها .. كان هذا الصبى - وقتها - يسعد بهذا وينتشي إذ يرى شاطيء النيل وقد خلا من الناس فيما عداه ..

أليست هذه فرصته الذهبية التى يغتنمها لكى يترنم بالأبيات العذبة الرقيقة بصوت عالٍ يؤنسه ويزيح عن نفسه إحساسها بالوحشة الغريبة المبهمة؟!.

كان هذا الديوان الذى يحمله الصبى هو ديوان «وراء الغمام» للدكتور ابراهيم ناجي، ومازال هذا الصبى - حتى بعد أن كبر ووخط الشيب شعره - يعتز بهذا الديوان، لأنه - من جهة - كان أول ديوان يقتنيه لمكتبته الوليدة، ولأنه - من جهة أخرى - كان يحمل إهداء خطه ناجي لأحد مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف .. يقول الإهداء: «لحضرة صاحب العزة

عبدالحميد بك خضر مفتش وزارة المعارف .. مع تحياتي .. ناجي - ٢٨/ ٥/ ١٩٣٤» ولقد كان من حسن حظ الصبي أنه كان زميلا لحفيد ذلك المفتش الراحل في مرحلة الدراسة الثانوية، فلولا هذا لما كان قد قُدر له أن يقتنى هذا الديوان!!..

مرت الأيام .. وتلتها أيام .. وكبر الصبى .. وكبر معه حبه لشاعره الأثير الدكتور ابراهيم ناجي، لدرجة أنه كان يتعلق بالأشياء التى عرف ان شاعره قد تعلق بها في حياته، كما أنه ظل - لفترة غير بعيدة - يؤمن بالقيم والمثل التى كان شاعره يؤمن بها أو كان يتوهم أن شاعره يؤمن بها .. تملكه الزهو حين عرف أن شبرا التى ولد فيها قد شهدت ميلاد شاعره في يوم الحادى والثلاثين من شهر ديسمبر عام ١٨٩٨، حيث قضى ناجى طفولته المنعمة فيها بفضل ثراء والده ومركزه المرموق في المجتمع وقتها، وكان يطيب لناجي التريض في حقول شبرا ومزارعها التى كانت ترتوى من مياه الترعة البولاقية، قبل أن يتضافر الناس على وأدها واجتثاث الخضرة من حقولها ومزارعها لكى يتسنى لهم ان

يبتنوا المنازل والمدارس والمستشفيات بعد أن تكاثف السكان .. وكما شهدت شبرا ميلاد ناجي فإنها قد شهدت أيضا أخريات أيامـه، وشهدت رحيله عنا إلى تلك الديار المجهولة التى لم يعد من الذاهبين اليها أحد .. فقد كانت عيادته الطبية - التى كان يتوجه اليها كل مساء لاستقبال المرضى - قائمة في شارع ابن الفرات بشبرا، وفي تلك العيادة ذاتها فاضت روح ناجى من أثر السكتة القلبية وكان ذلك في يوم الرابع والعشرين من مارس عام ١٩٥٣.

وكما تعلق الصبى بشبرا التى تعلق بها شاعره، فإنه تعلق أيضا بالمنصورة التى تعلق بها شاعره منذ أن عمل طبيبا بها عام ١٩٢٧ أى بعد تخرجه من مدرسة الطب السلطانية بخمس سنوات .. ومدرسة الطب السلطانية هى بالطبع كلية الطب الآن .. وقد تخرج منها ناجى عام ١٩٢٢، ولم يطل به المقام في القاهرة بعد تخرجه، «إذ عين في وظيفة بالقسم الطبى لمصلحة السكك الحديدية ونقل إلى سوهاج، فأغلق عيادته بالقاهرة، وافتتح عيادة بسوهاج، وبنفس الخصائص

والوسائل والخلال، لقي من النجاح أكثر مما لقي في القاهرة، ثم نقل من سوهاج إلى المنيا، ثم إلى المنصورة» التى التقى فيها ناجي برفاق الشعر والحب والشباب ممن سيكونون فيما بعد من أعضاء جماعة أبولو .. التقى ناجي بعلي محمود طه، والتقى بهما في نفس الوقت شاعران من ناشئة الشعراء وقتها هما محمد عبدالمعطي الهمشري وصالح جودت .. وكانت هذه الجوقة تتآلف فكرا وشعرا في أمسيات عديدة من أمسيات عام ١٩٢٧ عند «صخرة الملتقى» وهى صخرة كانت قائمة عند موقع بين النيل والجزيرة الرملية التى ينحسر عنها الماء بعد موسم الفيضان فتبدو كالصحراء .. كان أفراد الجوقة يلتقون لكى يتناشدوا أشعارهم الجديدة، ولكى ينهلوا في نفس الوقت من ينابيع أصدقائهم الروحيين من الشعراء الرومانسيين في الأدب الإنجليزي .. شللى وكيتس وبيرون ووردزورث .. ومن أوائل قصائد علي محمود طه التى كتبها في المنصورة قصيدته «صخرة الملتقى» وقد أرسلها إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» التى كان يرأس تحريرها

الدكتور طه حسين .. وقد نشرت تلك الجريدة قصيدة على محمود طه في عددها الصادر بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٢٧، ثم كتب ابراهيم ناجى هو الآخر قصيدته «صخرة الملتقى» وأرسلها إلى نفس الجريدة حيث نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧، والحق أن ذكر التواريخ هنا أمر مهم جدا، لأنه ليس صحيحا ما ذكره صالح جودت في مقدمة ديوان ناجي من أن ناجي كان أسبقهم إلى النشر كما سأوضح تفصيلا فيما بعد، كما أنه يصبح من الثابت الآن بالدليل المادى أن ناجى لم ينظم قصيدته حوالى عام ١٩٢٨ كما توهم صالح جودت، ولم ينظمها عام ١٩٣٠ كما قطع بهذا أحمد عبدالمعطى حجازى في مقدمة مختاراته من «قصائد إبراهيم ناجى» وهذا ما سيتضح أكثر عندما نتحدث عن قصيدة «صخرة الملتقى» تفصيلاً.

إذا كانت الأيام قد أبعدت جوقة شعراء صخرة الملتقى عنها وعن المنصورة ذاتها، فإن ناجي لم يفتر تعلقه بهذه المدينة التى قضى فيها فترة من أجمل فترات حياته .. فبعد انقضاء

أحد عشر عاما على ابتعاده عنها عاد إليها عام ١٩٤٢ ليبحث عن الهدوء ويتطلع الى السكينة وراحة البال في جوانبها بعد أن طال تغرب روحه المثقلة بهمِّ السنوات وأعباء الحياة، والواقع أن ناجى قد وجد - محقا - أن تغربه يسكن داخل ذاته نفسها لا خارجها، وبالتالى فإنه من العبث البحث عن الهدوء ونشدان السكينة وراحة البال بشد الرحال من مدينة إلى أخرى، ومن هنا فإن ناجى قد صرخ ملتاعا حين أدرك استحالة ما يبتغيه:

وافيتها وفلول النور دامية
تطفو وترسب أو تعلو فتعتلقُ
لم أدرِ حين تبدّت لي إذا شفقى
أبصرته أم على المنصورة الشفقُ
يا من منحت الأماني البيض معذرة
إنى بهذى الأماني البيض أختنقُ
أين الهدوء المرجّى في جوانبها
إنى رجعتُ وليلي كله أرقُ

أقـــبلت أنشـــد أمنا في هـواك بهـــا

فـلـم أنـل وتـولـىّ قـلـبـىَ الفَـــــرَقُ

لا بــالـقــلـوب ولا الأرواح يــا أمـلـى

إنــا بـشـيء وراء الـروح نـعـــــتـنـقُ

وقـد كـان من قـدر الصـبىّ المفـتون بنـاجى أن يكون له - هو الآخر - غرام في المنصورة، تحدث عنه حينما كبر في قصيدة «أغنيـة حب للمـنصـورة» التى ضـمـهـا ديوانه الثـاني «أحب أن أقـول .. لا» .. وإلى الآن فـإن أصـدقـاء هذا الـصـبي الذى كـبـر مـازالوا يعرفون فيـه حنينه الدافق إلى المنصورة في حد ذاتها، حتى بعـد أن تحجـرت القلوب وصدئت الأرواح وتفـتت الأحلام على صخور الأهواء وبعثرتها العواصف الهوجاء .. والحق أن هذا ليس بمسـتغـرب مـن صبىٍّ ظل تصـوره للحب منبـثـقا - لفـتـرة طويلة - من تصـور شـاعـره الأثيـرلـه، ولعل هذا أن يكون سـر الفرحـة والحسرة اللتين أحس بـهما - في وقت واحـد - عندما وجد الدكـتور محـمد مندور يعلل سـر نفاذ قصـائد ناجي إلى قلوب مـحـبـيـهـا بقـوله: «لقـد تحكم طبع نـاجي في إنتـاجـه

الشعـرى، وجارى هذا الطبع على سجـيته، بل غـذاه بمطالعاته في الآداب الغـربية، فـتمـيز بالطـابع الوجداني وبالحب المثـالي وأشـواق الروح .. وهذا شعـر يلقَى أكبـر الاستـجابة في نفـوس الشـبان المحـرومين رغم تفتـحهم للحـياة ... لقـد فـرح الصـبي بحديث الدكتـور مندور لأنه فسرله سر تعلقه بناجى تفـسيرا موضوعيا، وأصيب الصبى بالحسرة لأن حديث الدكتور مندور نبهه إلى أنه شاب محروم رغم تفتحه للحياة!!..

يبقى أن أقول إن الصـبى المفتون بناجى كان كثيـرا ما يعذب نفسه بقوله إن حبـه لشاعره الأثـير حب غيـر مكتمل .. وإلا فـمـا مـعنى أنه لا يسـتطيع - في أحـيـان كـثـيـرة - أن يتـذكـر عناوين قصـائد شاعـره؟! صحيح أنـه يحفظ القصـائد نفسـها عن ظهـر قلب إلى الآن .. أمـا عنـاوينها فـإنهـا هى التى كـانت تجعله يتـصور أن حبـه لناجى حب غيـر مكتمل .. فكثيـرا ما كـان يحس بالحـرج عندمـا يطلب منه أصـدقـاؤه أن ينشـدهم قصيدة «الحنين» على سبيل المثال»، فـيسمعهم بدلا منها أبيات قصيـدة «مناجاة الهاجر»!!! لم يكن لدى الصـبىٍّ وقتها تفـسير

ولا كان لـديه تـبريـر، لكنه ذات مـرة التفت إلى مـقدمـة أحمـد الصاوي محمد التى تصـدرت ديوان «وراء الغمام» فوجده يقول «يكاد يكون ديـوان ناجى قـصـيـدة واحـدة وقـصـيـدة حب» .. وبعـدها تـنـبـه إلى أن الدكـتـور مـحـمـد مندور قـد أطلق على الفـصل الذى تحدث فـيه عن ناجى في كـتابه «مـحاضـرات في الشعر المصرى بعد شوقى» اسم «ناجي .. قصيدة غرام»..

أجل ... إن ناجى قصيدة غرام متسقة، مهما تتنوع الموسيقى في مقاطعـها الممتدة، أو تتـغير القوافى في أبيـاتها .. ومن هنا فـإن العناوين ليـست في مـجال الغـرام بذات بال .. فـالمهم في الوردة الجميلة المتفتحة شكلها ورائحتها لا اسمها أو عنوانها!!!.

ناجي... الفراشة الحائرة

عاش ناجي حياته فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد بديلا عن الزهرة التي كان ينشدها، لكنه حرم منها طيلة حياته، على الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه، وهذا ماساوضحه فيما بعد عند الحديث عن «زهرة المستحيل والأخريات».

وكلما توهم ناجي أنه قد وجد الزهرة التي تعوضه عن زهرة المستحيل، كانت الهوة العميقة ما بين المثال وبين الواقع تبرز له، وكانت تلك الهوة العميقة تفصل ما بين المثال الذي خلقته تصورات شاعر مثالي للمرأة التي ينشدها بكل ما يخلع عليها من صفات ملائكية تجعلها دوما مرفرفة في محرابها العلوي بعيدا عن البشر الفانين، وبين الواقع الذي تتمخض عنه الحياة ذاتها بكل ما فيها من نقائص بشرية وبكل ما تجلبه معها من منغصات أرضية. هذه الهوة العميقة ما بين المثال والواقع

هى نفسها التى جعلت ناجي يحترق طيلة حياته .. وأغلب ظنى أنه كان يعى هذا ويدركه تماما، ولكن أكان بمقدوره أن يشكل حياته تشكيلا جديدا مغايرا لما تشكلت عليه تلك الحياة بالفعل؟ وهل كان باستطاعته أن يخرج عن القضبان التى حددتها له عوامل نفسية واجتماعية عديدة، تضافرت مجتمعة لكى تجعل الشاعر يسير عليها سواء أشاء هذا أم كرهه .. فهذه العوامل هى التى يصطلح معظمنا على تسميتها بالقدر ..؟!..

حقا إن ناجي كان - في بعض الأحيان - يتمرد على تصوراته للمرأة التى ينشدها، ويحاول أن يقنع نفسه بأن تلك المرأة لا وجود لها في الواقع لأنها من صنع خياله هو فحسب، لكن الحق أيضا أن هذا التمرد لم يكن يزيد على كونه فقاعة صغيرة ما تلبث أن تتلاشى وسط تقلبات العواصف ودوامات البحار .. لنستمع إليه وهو يصرخ صرخة تمرد حادة وعابرة في نفس الوقت، حيث يقول في قصيدة «بين الشاعر والريح» التى أصبحت -فيما بعد-

أبياتا من قصيدته الشهيرة «الأطلال»:

هاك فانظر عدد الرمل قلوبا ونساء

فتخير ما تشاء .. ذهب العمر هباء

ضل في الأرض الذى ينشد أبناء السماء

أي روحانية تُعْصَرُ من طين وماء

وبالطبع .. ما تلبث هذه الفقاعة أن تتلاشى، وما يلبث الشاعر أن يعود إلى القضبان التى حاول أن يخرج عنها .. ومن هنا فإننا نجده يتساءل عن معنى الحياة بدون الحب، ويظل هذا التساؤل يلح على وجدانه وفكره معا كلما تمعن في شتى مظاهر الحياة .. إنه يتساءل عن الدافع الذى دفع الله تعالى إلى أن يزين السماء وينسق الكون ويجعله بهيا حافلا بشتى ألوان الجمال، كما يتساءل عن علة انبثاق الفجر من خلال الظلمة وكأنه الميلاد الجديد للكون النائم .. إنه يتساءل ويتساءل .. ثم لا يدع احدا غيره يجيب فهو يرى أن كل هذا الجمال ليس إلا من أجل «روحين في أفق حلّقا» فكل هذا الجمال ليس له من معنى في نظر الطائر المفرد الروح

الذى يضرب في متاهة الأفق وحده بغير أليف، ولو أن هذا الطائروجد أليفه لأدرك وفتنذ معنى الحياة وتمثل مفاتنها وسحرها وتمتع بجمالها وروعتها .. هذا ما يقوله ناجى في النص الكامل المجهول لقصيدة «صخرة الملتقى» .. يقول الشاعر متسائلا:

لمن زَيَّنَ الله هذى السماء ... أو جَمَّلَ الكون أو نَسَّقا
لمن يطلع الفجر في أفقها ... فيبدو بها ضاحيا مونقا؟
لمن مَسَّ هذا النسيم الغمام ... فرقرق منه الذى رقرقا؟
إذا ذكرته الحمائم أنَّ ... وإن ضاحكته الربى صفقا
أللطائر المفرد الروح يمضى ... يرود الموارد عن مستقى؟!
وربِّك ليس لهذا .. ولكنْ ... لروحين في أفق حَلَّقا

وإذا كان الشاعر يتساءل هنا عن معنى الحياة بغير الحب، ثم يجيب بنفسه عن تساؤله الذى صاغه في إطار رؤية شاملة، فإنه - في البيتين التاليين - يقرر بصورة لا لبس فيها أن حبيبته هى وحدها التى علمته معنى الحياة، وأنه بدونها لا

يجد لها معنى ... في هذين البيتين لا يتساءل الشاعر وانما نجده يقرر .. وهو - في هذه المرة - يقرر ما قرره من خلال منظور ذاتي بحت لافي إطار رؤية شاملة .. وهذا بالطبع ما يغلب عليه:

أنت التى علمتنى معنى الحياة حبيبة ونجية وصديقا
أنكرتُ معناها بغيرك واستوتْ وتشابهَت سعة عليّ وضيقا

والواقع أن الحياة - في نظر ناجي - كانت مسرحا كبيرا يظل الممثلون يعتلون خشبته، ويلعبون أدوارهم التي حددها لهم المخرج مقدما، وأسعدُ الممثلين هم أولئك الذين يعهد إليهم المخرج بتمثيل أدوار الحب، لأن هؤلاء - وحدهم - هم الذين يقدر لهم عندئذ أن يدركوا معنى المسرحية التى يمثلونها، والحق أن المتتبع لصورة الحياة - على هذا النحو - عند ناجي، يجد أن الشاعر قد أغرم بها منذ صباه الباكر، ويبدو لى أن هذه الصورة قد ارتسمت في مخيلته الشابة نتيجة إدمانه قراءة شكسبير الذي كان يدمن قراءته منذ كان شابا، ثم ترجم له - فيما بعد - عددا من

«سونتـاته» .. ولقد تمثل ناجي هـذه الصورة تمثلا عـميـقا، بعد ان اسـتوعب دقائقها في «ماكبث» شكسبيـر على وجه التـحديد، وها هو يرسـمهـا في إحـدى قصـائده المبكرة التى نـشرها عام ١٩٢٢ أى وهو في الثانية والعشرين من عمره:

نـزل الستار على الرواية وانقضت　　　تلك الفصول وفُضّ ذاك المسرح

وكان من ولع ناجـي بهذه الصورة للحـياة أنه كـان يعود إلى رسـمهـا في قصـائد عديدة له فـي مخـتلف فتـرات حيـاته .. ومن هذه القـصـائد قـصـيـدة «رواية» التـى تضـمنهـا ديوانه الثاني «ليالى القـاهرة» ففيها يفصل القـول ويبرز الجزئيات، ويحـدد الملامح والقسـمات، وها هو يعلن ملتـاعا أن «المـسرح» قد انفض ملعبـه .. لماذا؟ لأن صحب الشاعر قد مضـوا كما أن أحـبتـه قـد هجـروه، تاركين إياه وجـهـا لوجـه أمـام الزمـان يُسمعه ضحكه الساخر، ويريه كيف يقهقه القدر:

نـزل الســتـار فـفـيم تـنتظرُ　　　خلت الحـيـاة وأقــفـر العـمـرُ
لم يـبق إلا مـــقـــفـــر تـعس　　　تـعـــوى الـذئاب بـه وتـأتمـرُ
هو مـســرح وانفض ملعــبـه　　　لــم يـــبـــق لا عــينٌ ولا أثــرُ

ورواية رويت وموجزها صحب مضوا وأحبة هجروا
عبروا بها صورا فمذ عبروا ضحك الزمان وقهقه القدرُ

وإذا كانت الحياة باعتبارها مسرحا، تكتسب معناها من وجود الحب في مشاهدها، وتفقد كل معنى مشرق عندما ينتفي منها الحب، فإن الموت هو الصخرة الصماء المخيفة التى تسقط - من علٍ - على خشبة المسرح فتحطمها في غير هوادة ولالين، والشاعر - بطبيعة الحال - لا يخشى على خشبة المسرح في حد ذاتها، وإنما هو يخشى عليها لأنها تمثل الاطار الذى يعيش الحب داخله، ومن هنا فإننا نجد أن ناجي - في قصائد عديدة له - يؤكد أنه لا ضير من تحطيم المسرح إذا انتفى منه الحب، ولعل تساؤله الذي وجهه لنفسه في مستهل قصيدته «رواية» أن يكون شاهدا على ذلك: «نزل الستار .. ففيم تنتظر؟!» .. وهكذا فإنه حين يقف أمام البحر عند الغروب متأملا أسرار الحياة، فإننا نجد ان ضآلة الناس تروعه، وهذا ما يجعله يبكى على تلك الضآلة المزرية ببني الإنسان أمام الأبد المجهول الذي يزداد عتمة وخفاء .. والشاعر لا يكف عن البكاء

إلا عندما يلوح له من خلف الدموع وجه حبيبته، وذلك أنه يجد فيه أحر عزاء عن الضآلة المزرية ببنى الانسان أمام قوى الطبيعة العاتية ومنها البحر بجلاله وجبروته، يقول ناجي في النص المجهول لقصيدة «خواطر الغروب»:

يا لهذا الجلال والأبد المجهول	يزداد حيرةً وخفاءَ
روعتنى ضآلةُ الناس فيه	فبكيتُ الحياةَ والأحياءَ
فليدعنى القضاء أبكي لأشفى	لم تدعْ ذلةُ الهوى كبرياءَ
لاح خلف الدموع وجهُ حبيبٍ	لا أرى غيره لقلبى عزاءَ
قلت للقلبِ جاء ريك فانهل	كم ظمئنا فما وجدنا الماءَ
لم تُثبنا الحياة إلا بهذا	حسبنا وجهه الجميل جزاءَ

وإذا كان الانسان - في أوقات تبرمه بالحياة - يرى أن المستقبل ليس سوى خدعة كبيرة، يخدع بها نفسه لكى يتسنى له أن يواصل السير في ركب الحياة، محفوفا بالمنى البراقة التى تتوافد عليه في مقتبل العمر، فإنه - والأمر كذلك - لابد أن يرى أن المستقبل الحقيقي له هو القبر الذى

تفتح فوهته الضيقة تلك الصخرة الصماء المخيفة، حينما تسقط - من علٍ - على خشبة المسرح لتحطمها في غير هوادة ولالين:

أرى في العباب كفاح الحياة وتيارَهَا الجارفَ الأحمقا
وألمح فيها عراك الرجال إذا لاحقَ الزورقَ الزورقُا
وكيف على رُحْب هذا المجال ننزلها منزلا ضيقَا؟!

ماذا يعنى هذا المجال الرحب إذن؟! ان وجوده سيان وعدمه مادام الانسان سينزل في النهاية منزلا ضيقا وينتهى السعى المحموم إلى هذه النهاية الأسيفة .. لماذا اذن تكذب الدنيا علينا أو نكذب نحن على نفسنا ونعللها بمنى براقة ندرك أنها لن تتحقق .. يقول شاعرنا في إحدى قصائده المجهولة:

أوَ هكذا الدنيا وذاك حالها أوَ ذاك وعدُ خيالها الكذابِ
أمل على أمل وآخرة المنى نوم على نوم مَدى الأحقابِ

ونحن لو عدنا من جديد إلى المرأة موضوع الحب، فإننا نجد أنها تمثل الهدف الاسمى في الأدب الرومانسى بصورة أساسية، بل إن النظر إلى الحياة - كما يقول رجاء النقاش في مقدمته لديوان «مدينة بلا قلب» لأحمد عبدالمعطي حجازى - «إنما يكون من خلال أفراح الفنان وأحزانه في تجربة المرأة، حيث تحل محل روح الجمال الفرحة روح أخرى مشبعة بالحزن إذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق».

وإذا كنت قد ذكرت أن ناجي عاش حياته فراشة حائرة تتنقل من غصن إلى غصن، إلا أنه من سذاجة التصور البعيد عن التعمق ما تذهب إليه الدكتورة نعمات فؤاد في كتابها «ناجي الشاعر» - ص٥٩ - حيث تقول: «... من شعر ناجي نتبين أنه ليس من الموحدين في الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألوانا من الحب:

فتارة يفتنه السحر والذكاء وآناً يغريه الجمال .. ومن محابه البيضاء الزاهرة والسمراء الفاتنة .. وكما راعه الإشراق في الأولى .. سبته السمرة والجاذبية في الأخرى حتى كاد أن يعبدها ..» .. أقول إنه لمن سذاجة التصور ما تذهب اليه

الدكتورة نعمات، لأن كلامها يوحي، بل يقطع بأن ناجي كان متقلبا في عواطفه .. يحب هذه يوما، ثم يهجرها إلى أخرى يحبها هى أيضا يوما آخر .. وهكذا .. وحقيقة الأمر أن ناجي قد عشق المثال الذي خلقته تصوراته للمرأة التى ينشدها، وقد كان هذا المثال مستحيل التحقق في واقع الحياة، وكان الشاعر يلهث سعيا وراءه هنا وهناك، وكان إذا عرف امرأة وتوهم أنه وجد فيها مثاله المنشود، عشق فيها هذا المثال إلى أن يدرك أنه غير موجود داخلها، فيتركها إلى غيرها سعيا وراء هذا المثال، كما سيتبين لنا فيما بعد. ومن أغرب القصص التى يرويها ناجي عن نفسه - في هذا المجال - قصة تعلمه اللغة الفرنسية، وسندعه هو يرويها بنفسه: «ملخص الموضوع أنى كنت أعرف الإنجليزية فقط لأن القسم العلمي في التعليم الثانوي لا يعلم الفرنسية، ولكن ما حيلتى وأنا «مضطر» للتفاهم بالفرنسية مع أعز مخلوقة في الوجود! وهى لا تعرف غير الفرنسية، وهى لا تحب غير بورجيه، وتعتقد أن قصة «التلميذ» قصة خالدة وتتمنى لو قرأناها معا بالفرنسية! أمنية عزيزة ولكن

ما السبيل إلى ذلك؟ عليّ أن أتعلم بسرعة وأقرأها معها بسرعة والا فات الوقت! لست أعرف في تاريخ «الضرورات» أغرب من هذه الحكاية .. قلت لنفسى أتعلم كما يتعلم الطفل .. أحفظ الكلمات، ثم أتعلم ربطها ثم اتكلم، كلمات أولا، ثم جملا .. وهذا ما حدث .. فبعد ثلاثة شهور عدت إلى صديقتي فقرأت معها قصة «التلميذ» لبورجيه، وهى لا تكاد تصدق»..

هذه هي القصة كما رواها ناجي بنفسه - في خاتمة مقال نشره في جريدة «الجمهور المصرى» عدد ١٦ فبراير ١٩٥٣ - وكان أصدقاؤه أيضا يروون عنه قصصا عديدة لا تقل في غرابتها عن القصة التى رواها .. ولكن ماذا تعنى هذه القصة على علاتها نظرا لأن بطلها لم يبين لنا كيف عرف أن صديقته - التى لا تعرف غير الفرنسية - لا تحب غير بورجيه وتتمنى أن تقرأ قصته بالفرنسية مع الشاعر على الرغم من أنه لم يكن يعرف الفرنسية؟! على أى حال فإن هذا ليس قضيتنا، فالمهم حقا هو ماذا تعنى هذه القصة؟ قد نستغرب من الشاعر أن يكرم صديقته هذه بأن يعطيها

لقلب «اعز مخلوقة في الوجود» خاصة وأن صلته بها لم تكن قد توثقت بعد لأنه لم يكن يعرف اللغة التي تمكنه من توثيق تلك الصلة، لكننا لن نستغرب هذا منه إذا أدركنا أن «أعز مخلوقة في الوجود» كانت تعرف اللغة العربية، وإن أنكر ناجي هذا، ربما لكى يجعلنا نتشوق لأحداث قصته، وهذه المخلوقة هي المثال المنشود للشاعر، لكنه لم يتحقق في الواقع كما كان هو يحلم ويتمنى. كما أن هذه القصة تبين لنا أن ناجي كان من الرجال الذين لا يتحمسون لأمر من الأمور ولا ينجزونه بسرعة إلا إذا كان وراء كل منهم امرأة ترعاه وتُربِّتُ على كتفه وتنظر إليه نظرة تشع بالحنان، ولذا فإن شاعرنا قد استطاع - في مدى ثلاثة شهور لا أكثر - أن يتعلم اللغة التى جعلته يتفاهم مع صديقته ويحقق لها أمنيتها العزيزة في قراءة قصة «التلميذ» لبورجيه معه!!..

ومادمنا قد تحدثنا عن ناجي باعتباره أحد الرجال الذين يتلمسون حنان المرأة، فإننا نود أن نتحدث عن عالمه الشعري لكي يتبين لنا إلى جانب ما نريد تبيانه كيف أن تلمس حنان

المرأة كان نغمة يستعذبها ولا يمل من تكرارها من صباه إلى شيخوخته، ومن بدايات قصائده الى آخر ما كتب في حياته، وإذا كان لكل شاعر أصيل عالمه الفني المميز الذى نستطيع القول إنه عالمه هو فحسب، فإن الصور الشعرية التى تستهوى مثل هذا الشاعر، فيعمد إلى تكرارها بصورة ملحة على امتداد قصائده، تشكل لبنة من اللبنات التى يشيد بها الشاعر عالمه هذا، وشاعر الحب الأصيل لابد إذن من أن يرسم صوره الشعرية من تجربة الحب بكل ما فيها من إشراق وكدر، ولو أننا تتبعنا هذا عند ناجي لوجدنا أن هناك ثلاث صور شعرية كان يعمد إلى تكرارها في قصائده بصورة ملحة، أولى هذه الصور هي صورة بناء الشاعر والذي يبدو لنا متهاويا متداعيا إلى أن تجيىء الحبيبة، فترفع هذا البناء شامخا ثم تهجره الحبيبة فيتهيأ للسقوط، أما الصورة الثانية فهى صورة يد الحبيبة التى تمسح عن الشاعر همومه وتمسح - في نفس الوقت - خطايا عصره، وتبث في قلبه العزم والثقة بالنفس، وثالثة هذه الصور صورة الفراشة التي ترمز حينا إلى قلب

الشاعر الذي يحب النور ولو كان فيه احتراقه، كما ترمز حينا آخر إلى حياة الشاعر ذاتها.

وسنكتفى هنا بتتبع الصورة الأولى تتبعا سريعا عبر نتاج الشاعر كما سنشير إلى الصورة الثانية على عجل، لقد كان ناجي - في أشهر قصائده - وهى قصيدة «العودة» - يرى أن حبيبته هى ركنه الحاني الذي يلجأ اليه، محتميا بظلاله الناعمة، لكى ينشد الراحة من بعد طول المسير في صحراء الحياة الموحشة، وفي هذا - بطبيعة الحال - نشدان للحنان الذى يبتغيه الشاعر وقد كان هذا الاحساس يبرز ويتضخم في قصائد متعددة له، فهو يقول في قصيدة «العودة» من ديوانه الأول «وراء الغمام».

ركنيَ الحاني ومغناي الشفيق   وظلال الخلد للعانى الطليح
علم الله لقد طال الطريق   وأنا جئتك كيما أستريح

ثم يعاود نشدان الحنان في قصيدة «خمر الرضا» من ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، لكنه - هذه المرة - يلجأ للتصريح بأنه يريد أن يتوسد صدر الحبيبة البرلكى يرتاح على خفقاته من

بعد أن تعبت روحه كما تعب جسده أيضا، بينما كان - في المرة السابقة - يلجأ إلى التلميح بذكر الركن الحانى وظلال الخلد فحسب:

كم تمنيت صدرك البّريرتاح   على خفقه الطريد المعذب
هات وسدني الحنان عليه   جسدى متعب وروحيَ متعب

ومن هذا المنطلق بدأت صورة «البناء» تتشكل في وجدان الشاعر، فهو يعاتب حبيبته على تركها إياه وحيدا لأنه يرى أن وجودها جنبه يخفف عنه جهد العيش، فهي التي ترفع «البناء» إذا مال وتقيمه إذا انهار، ولذا فإن الشاعر كان يحس أن الأيام لا تقوى على هد «بنائه» هذا طالما أن الحبيبة إلى جواره:

بحبك أستشفى فكيف تركتنى   ولم يبق غير العظم والروح والجلدِ
وكنت إذا شاكيت خففت محملى   فهان الذي ألقاه في العيش من جهد
وكنت إذا انهار البناء رفعته   فلم تكن الأيام تقوى على هَدِّى

واذا كانت هذه الصورة منتزعة من إحدى قصائد ديوانه الثانى فإن ناجى قد عمد إلى تكرارها في إحدى قصائد ديوانه

الثالث «الطائر الجريح» وهى نفس القصيدة التى يحمل الديوان اسمها، وفيها يبين انه لولا وجود الحبيبة جنبه لما كان قد قال لشىء في الوجود مرحبا، ولولاها أيضا لما وجد الحنان .. أليست هى التي أقامت «بناء» الشاعر من لاشىء:

لولاك ما قلت لشىء في الوجود مرحبا
ولم أجد ركنا غنيا بالحنان .. طيبا
أنتِ التى أقمتِ مرفوع البناء من هَبَا

هذه هى الحبيبة التى أقامت «بناء الشاعر» فلا عجب إذا رأينا أن روح الشاعر تتحول إلى ظل شاحب يمتد في هيكل متخاذل الأسوار بعد أن رحلت الحبيبة وارتحل النور الذى كان يضيء جنبات «البناء» بارتحالها، على نحو ما نرى في البيتين التاليين المنتزعين من قصيدة «الفراق» التى يضمها ديوان «الطائر الجريح»:

يامن رفعت بناء نفسى شاهقا   متهلل الجنبات بالأنوار
اليوم لى روح كظل شاحب   فى هيكل متخاذل الأسوار

هذه هى صورة «البناء» أما صورة يد الحبيبة فإن الشاعر

يرسمها لنا- بصورة ناضجة- في قصيدة «بقايا حلم» التي يتضمنها ديوانه الثالث «الطائر الجريح» فهو يطلب من الحبيبة أن تُبقي يدها في يده، لكى ينفض بها عن نفسه الخوف من الغد المجهول الذى يبين الشاعر أنه يخشاه دوما لأنه يفرق بينه وبين الحبيبة، ويظل الشاعر يصور إحساسه بوقع يد الحبيبة على روحه الرقيقة، فمنها يستمد الثقة بالنفس ويشد الأزر، ومن عناقها ليده يؤمن أن حبه باقٍ معه وأنه لم يكن حلما .. وانتهى:

كلما خَلَّى حبيبي يده	لحظةً قلتُ وحبى أبقِها
أبقِها أنفضْ بها خوفَ غدٍ	وأحس الأمْن منها وبها
أبقِها أشدُدْ بها أزري إذا	ضعف الأزر أو العزم وهى
أبقِها أومنْ اذا لامستها	أن حبي ليس حلما وانتهى

والواقع أن تصوير يد الحبيبة هنا لم يكن لأول مرة، فقد سبق للشاعر أن صور تلك اليد في قصيدة «توأم الروح»

المجهولة والتى نظمها عام ١٩٣٥، وهو يطلب - هنا أيضا - من حبيبته أن تُبقى يديها، لأنهما - من جهة - يدا ملك من الملائكة، ولأنهما شفاؤه - من جهة اخرى - فقد جرحته أيامه وجنى عليه زمنه، وهو لهذا ينادى الحبيبة طالبا منها أن تُقبل إليه لكى تشفيه مما أصابه، ولكى تغفر يداها جرح الأيام:

يداكِ ياكلٌ أحلامى يَدًا ملك   هما شفائى هما .. ياكلٌ أحلامى
إلىَّ بالله أنسى ما جنى زمنى   وامددهما لى تغفر جرح أيامى

ويستطيع المتتبع لقصائد ناجي مجتمعة أن يرى كيف كان الشاعر يعمد إلى تكرار صورة: «يد الحبيبة» التى تفعل الأعاجيب، ومهما يكن من أمر فإن هذه الصورة ومثيلاتها إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن الشاعر لم يكن يرتوى أبدا، فقد كان سريع التعطش إلى سكينة الروح التى يرى أن مبعثها يكمن في أن تحنو عليه الحبيبة، لكي تقيم «بناء نفسه» أو أن تلمسه يدها لكي تشد أزره ... ألم أقل إنه عاش حياته فراشة حائرة؟..

بين زهرة المستحيل.. والأخريات

ما الذي يمكن أن نراه حين نقف على أحد الشواطيء، وننظر إلى البحر الممتد أمامنا؟.. إننا نرى الأمواج وهى تتلاحق وتتتابع موجة في إثرأخرى، ونراها في عنفوانها وهى مقبلة من بعيد، كما نراها وهى تتكسر وتنبسط على الرمال فوق أقدام الشاطيء، ونرى الزبد الذى سرعان ما يذهب جفاء دون أن يمكث في الأرض، لكن هل ما نراه ممتداً أمامنا هو البحر حقا؟ لا، ليس هو البحر حقا، إنما هو المظهر الخارجى له، فالبحر حقا يكمن فى الأعماق، بكل ما فيها من أسرار ومن حياة ومن جزئيات وتفاصيل، لكن الأعماق لا يراها من يكتفون بالوقوف على الشاطيء. الأعماق تتطلب الجسارة التى تهيئنا لأن نغوص فيها لنتعرف ولنستكشف ما هو مخبأ وكامن في ثناياها ..

الذين يحكمون على الشاعر - أي شاعر - من خلال ما يبدو لهم من مظهره الخارجى، لا يختلفون كثيرا عَمَّنْ يكتفون

بالوقوف على الشواطىء، متصورين أنهم قد عرفوا البحر. للشاعر أعماق كأعماق البحر، ونحن لا نستطيع الحكم عليه إلا إذا آثرنا أن نتغلغل في الأعماق، لنستكشف ما قد يتاح لنا استكشافه من الأسرار والجزئيات والتفاصيل، التى تؤلف - مجتمعة - عالما بأسره، هو عالم الشاعر المستكن في هذه الأعماق ..

الحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجي هو الذى جعل الدكتورة نعمات فؤاد ترى «... أنه ليس من الموحدين في الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألوانا من الحب، فتارة يفتنه السحر والذكاء وآنا يغويه الجمال ...». والحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى هو الذى دفع عباس خضر لأن يشن حملة استهزاء على بعض قصائد ناجى العاطفية، وقد امتدت هذه الحملة أسابيع عديدة على صفحات أعداد من مجلة «الرسالة» خلال السنوات ١٩٤٧ -١٩٤٨ - ١٩٤٩، وعلى سبيل السخرية المرة لَقَّبَ عباس خضر ناجى بـ «الدكتور عمر بن أبي ربيعة» الذى يتغزل في هذه وتلك وبأخريات غير هذه

وتلك، والحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجي هو الذى حدا بنعمان عاشور لأن يقول في مجلة «الدوحة» - عدد مايو ١٩٨٠ «... كان ناجى كلما رأى امرأة وقع في حبها .. فالحب عنده كما كان يقول المرحوم كامل الشناوى مثل «قزقزة اللب» .. وكامل الشناوى نفسه كان كذلك .. ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانتيكية من الشعراء جميعا .. مثلهما تماما .. والشرط الوحيد عندهم أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحيا بالشعر ..»..

لو أننا انسقنا وراء الحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى، وهو الحكم الذى أصدره كل من د. نعمات فؤاد وعباس خضر ونعمان عاشور، ومعهم آخرون عديدون، فإننا نستطيع القول إن ناجى كانت له صولات وجولات، تجلت في قصائد عديدة، مع كثيرات من الفنانات الممثلات والمطربات والكاتبات والشاعرات، فقد كتب ناجى - على سبيل المثال - قصيدة في ديوانه الأول عن أمينة رزق، ولكنه وضع نقاطا مكان اسم تلك الفنانة، ولكن من يراجع مجلة «أبولو» يجد أن

اسم «أمـينة» قـد ورد في نص نفس القـصـيـدة والذي حـذفـه ووضع نقـاطا مكانه في النص المنشور في «وراء الـغمام» وكـتـب ناجي عن «زوزوات عــرفـهن» والزوزوات اللواتى عــرفـهن هن زوزو حـمدى الحكيم وزوزو مـاضى وزوزو نـبيل، وكـتب ناجى عن المطربة شهر زاد وعن الراقصة سامية جمال، كما كتب عن الشاعرات منيـرة توفيق وجليلة رضا وأمانى فريـد .. وكل هذه الأسماء ليست على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال!!..

مـاذا لـو لم نقنع بالوقـوف على الشـاطىء قـائـلين: هذا هو البـحر يمتـد أمامنا؟... مـاذا لو أننا تغلغلنا وغـصنا في أعمـاق البحر؟!!..

على المستـوى الحيـاتى، كانت هناك حـبـيبـة واحـدة، هى التى أسمـيها «زهرة المسـتحيل» التى حـرم ناجي منها طيلة حـياته رغم أنهـا إحـدى قريبـاته، وعلى المستـوى الإبداعى، فإن هذه الحبيبة وحـدها هى التى ألهمت ناجى روائع عديدة، من بينها رائعة «الأطلال» التى زعـمت إحدى الممثـلات أنها مـلهمتـها منذ أن غنت الراحلة العظيـمة أم كلثوم مـقاطع منهـا، مزجتـها مع

مقاطع من قصيدة أخرى ...

مَن هي هذه الحبيبة؟ .. مَن هي «زهرة المستحيل»؟

«زهرة المستحيل» التى أحبها ناجى، لها وجودان، وجود خيالى، ووجود حقيقى، أما الوجود الخيالى فيتمثل في «دورا» بطلة «دافيد كوبر فيلد» لتشارلز ديكنز، وأما الوجود الحقيقي فيتمثل في قريبة ناجى الجميلة التى حرمته منها، وبوجدان الشاعر مزج ناجى بين الوجود الخيالى والوجود الحقيقى مزجا عميقا، يصعب معه أن نفصل بينهما!!..

والآن .. فلأشرح الأمر ..

في مقال مطول، كتبه ناجى في جريدة «الجمهور المصرى» قبل رحيله عن عالمنا بنحو شهر واحد، تحدث الشاعر الرقيق عن الكتب التى أثرت في حياته، وما يهمنا منها هنا هو حديثه عن رواية «دافيد كوبرفيلد»..

يقول: «كان هذا في مستهل الصبا .. سمعت كثيرا من القصص التى كان يقصها والدى على أمى .. سمعت «أوليفر تويست» وسمعت كل قصص رايدارها جارد، وسمعت وسمعت

.. ولكن الذى انطبع في ذهنى هو دافيد كوبرفيلد. لا أعرف ما السر في ذلك، ولكنى أعتقد الآن أن قوة القصة في أنها سيرة صادقة لديكنز بالذات، عبر فيها أصدق التعبير عن انفعالاته، وشرح فيها الحب العفيف الراقى أوفى شرح، وكنت أنا إذ ذاك في بدء محاولاتى للشعر، فلم يكن عجيبا أن ينتعش ديكنز في خيالى بسمو روحه ونقاء قلبه، مع أنه لم يكن شاعرا، ولكن الذى كتبه نثرا هو في الحق أرفع وأعلى من شعر ألوف من الشعراء.. وماذا في قصة دافيد كوبرفيلد؟! أنها تذكرنى - أو على الأقل تجرى في خيالى - مع عودة الروح لتوفيق الحكيم، لا شيء غير الصدق والواقع. قصة غرام قد تنتهى للاشيء، ولكنها في الحياة كل شيء .. قصة غرام ديكنز بالفتاة «دورا» .. «دورا» التى كان لا يقول إنها حبيبته، بل كان يسميها وجوده العزيز.. أبدع وصف في لغة الهوى الرفيع .. لم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده) جميعا .. كونه الملهم، وحبه الصافى..»..

هذه هى «دورا» التي عرف تشارلز ديكنز .. وجوده العزيز

فى شخصها، والتى تمثل - في نفس الوقت - الوجود الخيالى لـ «زهرة المستحيل» فى وجدان ناجى ..

أما «دورا» التى تمثل «وجود ناجى العزيز» على أرض الحقيقة والواقع، فهى فتاته القريبة - البعيدة التى كان يرمز لها بحرفيْ «ع. م.»..

يتصدر ديوان «ليالى القاهرة» لناجى إهداء، هذا هو نصه: «إلى صديقى ع. م. الذى نَدَّى الزهر الذابل من خمائل الماضى وأنبتَ في روض الحاضر زهورا ندية مخضلة بالأمل والحياة ... إليه أقدم ما أوحى به الىَّ .. إبراهيم ناجى».

وفى مقدمة ديوان ناجى الذى صدر عن وزارة الثقافة عام ١٩٦١ يقول صالح جودت - ص ٦: «... وقد حاول الكثيرون من أحباب ناجى أن يعرفوا من يكون صديقه «ع.م.» هذا الذى آثره الشاعر بشرف الإهداء. ورجم بعضهم بالغيب، فقال لابد أنه صديق صباه، الشاعر علي محمود طه، الذى عاش معه أحلى أيام العمر في المنصورة، وترددت أسماء أخرى .. أما الحقيقة التى كتمها ناجى حتى عن أقرب المقربين إليه، فهى

أن «ع. م.» ليس صديقا .. بل صديقة .. بل حبيبة العمر!»..

وقبل أن أتحدث عن «ع.م.» ومن تكون؟.. فإنى أذكر هنا أن ناجى كان قد أهدى أحد كتبه النثرية وهو كتاب «رسالة الحياة» والذى صدر قبل صدور ديوان «ليالى القاهرة» إلى «ع.م» وهذا هو نص الإهداء: «إلى الصديق الحبيب ع.م... أيها الصديق الكريم، كيف أؤدى لك بعض فضلك علىّ؟ أتذكر كيف كتبت هذه الرسائل؟ كتبت بوحيك وتمت في ظلال صحبتك، فمنك وإليك مرجع هذه الكلمات، أيها الصديق: لقد رضيت أن يتوج حرفان من إسمك كتابى هذا، وحسبى شرفا، وحسبى مدى العمر سعادة ووهناء»..

«ع.م» كانت ملهمة ناجى في شعره كما يتبين من إهداء ديوان «ليالى القاهرة» وكانت ملهمته في نثره كما يتبين من إهداء كتاب «رسالة الحياة» .. فمن هى؟ ومن تكون؟.

فى السنوات الأخيرة من حياة صالح جودت، كانت علاقتى به علاقة وثيقة حقا، على الرغم من اختلاف الأهواء والثقافة والنشأة والأجيال، وفى جلسة حميمة مع صالح جودت سألته -

وقتها - عن ملهمة «الأطلال» لناجى، فأكد لى أن ناجي لم يكتب رائعته من وحي أية ممثلة من اللواتى ادعين ذلك الإدعاء، وقال لى إنها من وحى حبه الأول «ع.م.» ... فاستفسرت منه عنها فأخبرنى باسمها، ورجاني أن أحتفظ بالأمر سرا، لأنها مازالت على قيد الحياة، ولأن ناجى كان يحبها من جانبه هو فحسب ..

وبعد رحيل صالح جودت عن عالمنا، حاولت أن أتأكد مما قاله عن «ع.م.» فتأكدت .. حيث سألت الأخ الأصغر لناجى وهو المهندس الراحل حسن ناجى عما أعرفه من صالح جودت، فأكد لى أن الإسم صحيح، لكنى لم أشأ أن أشير إلى اسم «ع.م.» إلا بعد أن رحلت هى أيضا عن عالمنا، حيث ذكرت الاسم صراحة فى مقال لي بعنوان «إبراهيم ناجى .. العاشق الذى مات حبا» وقد نشر هذا المقال في جريدة «الراية» القطرية - عدد ١٨ يوليو عام ١٩٨٤، وقلت في خاتمته: «... والآن وقد رحلت عنا الملهمة الحقيقية أجد أن من حقى أن أذكر اسمها لأول مرة ..إنها السيدة «عنايات محمود الطوير» .. «ع .م.» ..

المثال الذى عاش ناجى يناجيه طيلة حياته فى قصائد عديدة»..

والحق أننى قد اكتشفت فيما بعد أن ناجى قد صرح باسم «وجوده العزيز» الواقعى لبعض المقربين من أقربائه ومن أصدقائه، على نقيض ما كان صالح جودت قد ذكره في مقدمة «ديوان ناجى» من أن الشاعر الرقيق قد «كتم الحقيقة حتى عن أقرب المقربين إليه». وهنا أذكر أن المهندس الراحل حسن ناجى كان قد أعارنى كتابا مخطوطا كتبه الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحى عن الشاعر الرقيق ابراهيم ناجى، وحين قرأت هذا الكتاب المخطوط قراءة متأنية وجدت الماحى - وكان من أصدقاء ناجى المقربين - يتحدث عن «ع.م» دون أن يشير صراحة إلى اسمها، حيث يقول - ص ٦٢ - «... وحدث أن هيأ القدر لناجى طفلة من قريباته تماثله في السن وتقيم في أحد قصور مدينة الأحلام فنشأت بينهما صلة ود إلى جانب القرابة، وبدأت عاطفته تتحرك بشىء لا يدرك كنهه، وبدأت ملكة الشعر تثمر في وجدانه، فنطق بالشعر

وهو في سن العاشرة، وقد أطمعته هى في استمرار هذا الحب، وفى أن ينتهى بالرباط الوثيق بينهما، حتى تأصل فى قلبه، وأصبح يتمثل فيها الوجود كله كما تمثل دافيد كوبرفليد حبيبته دورا قصة تشارلز ديكنز...»..

يعود محمد مصطفى الماحى - ص ٦٥ من كتابه المخطوط - فيفسر لنا كيف حُرم ناجى من «وجوده العزيز» فيقول: «.. فأما حبه الأول فقد كان - كما قدمنا - لفتاة جميلة من قريباته وهى تقطن بجواره وتمكن الحب من قلبه ولم يجد هذا الحب اعتراضا من جانبها، بل وجد تجاوبا منها فضمهما الحب روحيا، وتعاهدا على أن يكون احدهما للآخر في حياة سعيدة، فلما وصل إلى الدراسة في مدرسة الطب أبت الانتظار حتى يتمم دراسته وحقرت عهده وتزوجت غيره وظل هو على حبه العفيف الذى لازمه طول حياته وكلما مرت به سانحة حب أو إعجاب بامرأة كان يتمثل فيها فتاة حبه الأول ..؟»..

الآن أستطيع القول إن ناجى كان يحب فتاة واحدة، هى «زهرة المستحيل» كما أسميها، وهى «دورا» تشارلز ديكنز التى

امتزجت فى خياله، وهى «عنايات محمود الطوير» التى عاشت فى واقعه.

لنستمع إليه وهو يناجى «زهرة المستحيل» في قصيدة «من ن إلى ع» وهى إحدى قصائد «ليالى القاهرة»:

ياشطر نفسي وغرامي الوحيد
ما شئتِ ياليلاي لا ما أريد
يامن رأت حزنى العميق البعيد
داويت لى جرحي بجرح جديد

ثم يشير ناجي - فى نفس القصيدة - إلى لقاء تم بالمصادفة وحدها دون أن يكون هناك اتفاق مسبق:

ويوم لقياك على سلمِ
فى جانب مكتب مظلمِ
يا عذبة العينين والمبسمِ
وغضة الحسن الشهىّ الفريد

في لحظة يقفز فيها دمي

وتعقد الدهشة فيها فمي

من أي كون جئتِ لم أعلمِ

يا نفحة من نفحات الخلود

... وفي تقديري، وعلى ضوء ما أزعم أنه غوص في أعماق ناجي، فإنني أرى أن هناك قصيدة مترجمة لم يلتفت إليها أحد من دارسي ناجي على الإطلاق، رغم أن هذه القصيدة تلخص حكايته مع «زهرة المستحيل» تلخيصا دقيقا، وقد ترجم ناجي هذه القصيدة، ونشرها في عدد يناير عام ١٩٥٠ من مجلة «الحديث» الحلبية، والقصيدة بعنوان «سنارا» وهي للشاعرِ داويد سون، وقد كتب لها ناجي مقدمة موجزة، هذا نصها: «عندما هجرته حبيبته «سنارا» كان يبحث عن أخرى تشابهها فلم يعثر عليها فكتب الشاعر داويد سون هذه المقطوعة يعبر فيها عن أحاسيسه أصدق تعبير..»..

أما نص القصيدة فيقول:

حين قبّلتُ تلك ياسنارا

وقعتْ أنفاسك بين شفتى

وقعتْ أنفاسك بين الخمر والقبلات

معذرة ياسنارا لقد كنتُ يائسا منك

وقد كنت متعبا ولكني أخلصتُ لك على طريقتي:

ظللت أشرب وأرقص .. وأرقص وأشرب

حتى انتهى الخمر وانتهى الرقص ..

فإذا الليل كله لكِ يا سنارا!

أعتقد أن قصيدة «سنارا» تلخص حكاية ناجى مع «زهرة المستحيل»، وتؤكد ما سبق أن ذكرته من أن ناجى عاش حياته فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد بديلا عن الزهرة التى كان ينشدها، لكنه حُرِمَ منها طيلة حياته، على الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه. وهنا يمكننى القول أيضا إن ناجى كانت له حبيبة واحدة، هى «دورا» وهى «ع.م» وهى «سنارا» وهى «زهرة المستحيل»

وبالتالى فإنه كان موحدا فى الحب على نقيض ما قالته د. نعمات فؤاد من أنه «ليس من الموحدين فى الحب»، ولم يكن «الدكتور عمر بن أبى ربيعة» كما قال عنه - على سبيل التهكم - عباس خضر، ولم يكن الحب عنده مثل «قزقزة اللب» كما روى نعمان عاشور، نقلا عن كامل الشناوى..

بعيداً عن حديقة الحب

قليلة هى القصائد التى خرج بها ناجى من حديقة الحب، حيث لا نراه - عبر أبياتها - فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن، لكنى أزعم - في نفس الوقت - أن معظم هذه القصائد القليلة ينطلق أيضا من الحب. لقد كتب ناجى عدة قصائد من شعر التفكه والمداعبات، وفى هذه القصائد حب متبادل بينه وبين الذين داعبهم، وكتب ناجى عدة قصائد يرثى فيها بعض الذين فقدهم، وكلهم كانوا من أحبائه ومن أصدقائه، وكتب ناجى قصائد وطنية موجهة لمصر العربية - وطنه الغالى، وفى ثنايا هذه القصائد يفيض الحب، وكتب ناجى قصائد في وصف الطبيعة، استأثر «القمر» حتى في خسوفه بنصيب كبير منها، وكان في الوصف من الحب ما فيه، بل إن ناجى كتب قصائد المدح، لكنها - في الحقيقة - كانت موجهة لأحباء له، حتى قصائده التى كتبها في مدح آخر الملوك الذين حكموا مصر قبل انطلاق ثورة يوليو

المجيدة فإنه كتبها أثناء انبهار الناس أجمعين بالملك الشاب فاروق الأول في بداية توليه الملك بعد وفاة الملك فؤاد الأول. أما القصائد الأخرى التى أخرج فيها ناجى نفسه من حديقة الحب، فإنني أعدها استثناء وخروجا عن القاعدة العامة، وتتمثل هذه القصائد في شعر الهجاء، لأن الشاعر حين يهجو فإنه يكره ويبغض، والبغضاء نقيض الحب، وهكذا يمكن لمن يتأملون قصائد ناجى التى كتبها في التفكه والدعابة وفى الرثاء والحماسة الوطنية والوصف والمدح، يمكن لهؤلاء ان يتبينوا ما هو كامن فيها من الحب، باستثناء شعر الهجاء وحده. ويبدو أن ناجى قد شاء أن يؤكد ما أزعمه، فهو القائل:

ذلك الحبُّ الذى علمّني
أن أحب الناس والدنيا جميعا

وسأحاول الآن إلقاء نظرة سريعة على تلك القصائد التى خرج بها ناجى من حديقة الحب.

*من القصائد التى نظمها الشاعر بقصد التفكه والدعابة

قصيدته التى نشرت في العدد العاشر من مجلة «الأسبوع»، وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٣١ يناير ١٩٣٤، وقد نشرت هذه القصيدة تحت عنوان «الأدباء فى مباذلهم..!» وتصدرتها مقدمة نثرية تشرح أو تفضح مناسبة كتابتها، ذلك أن طائفة من أدباء الشباب - ذلك الوقت - كانت قد «اعتادت الاجتماع في «مندرة» الكاتب القصصي الأستاذ محمود طاهر لاشين، ولهذا المندرة نوادر وقصص فكهة لا تحصى. وكانت هذه المندرة تارة ندوة للجدل الأدبي وأخرى مسرحا للهو والعبث البرىء، وكثيرا ما كانت تثور ضجة المجتمعين، ويعلو جدلهم وصخبهم إلى حد أن أصحاب الدار كانوا يضجون في بعض الأحيان من فرط دوشة المجتمعين إذ كانت تمتد سهراتهم في معظم الليالى إلى الهزيع الأخير من الليل. وقد خطر للشاعر الرقيق الدكتور ناجى، وهو أحد رواد هذه المندرة أن يحيى دار «لاشين» بقصيدة فكهة طريفة». هذه هى المقدمة التى تشرح مناسبة كتابة القصيدة أو تفضحها، وأما القصيدة ذاتها فقد أسماها ناجى «يا دار لاشين» وهى تتألف من ستة أبيات، هذا نصها:

يا دار لاشين حـيـتك السـلامـاتُ

والنـاس عندك ياكلوا الأكل ويبـاتوا

تموج بالـرائح الغـادى مـواكـبـهـا

خلقٌ صنوفٌ وأشـكال عـجـيـبـات

حـتى إذا كـثـروا في الدار وانـقلبت

كـمـولـد البـدوى رغى وصـيـحـات

ترن صيـحـة «تيـزتى» فى سـلالمها

ما تختشوا والايه دا اللى اختشوا ماتوا

مـاذا ترى العين؟ إنى الـيوم في حلم

وسكى وصـودا وأقـداح ومـزات

كـانوا إذا مـا اتيح العـرقسوس لهم

يقـول قـائلهم زارنى الـنبى ذاته!

هذه هى القـصـيـدة الطريفـة الفكهـة، التى نسـتطيع أن ندرجهـا ضمن قصـائد «الشعر الحلـمنتيشى» الذى برع فـيه - في ذلك الوقت - شعـراء وزجـالون عـديدون، وقـد كـان هذا النمط الشـعرى من الذيوع والانتشـار لدرجة ان بعض كـتابه

اكتسبوا شهرتهم الأدبية من خلال كتابتهم له وحده، كما أن مجلات عديدة منها «الكشكول» و«المطرقة» كانت متخصصة في نشره هو بالذات، والواقع أن «الشعر الحلمنتيشى» كانت له وظيفة مهمة انحرف بها ناجى لكى تخدم الغرض الذى كتبت من أجله قصيدته، فقد كان هذا الشعر يقوم بوظيفة الانتقاد الاجتماعى اللاذع بصورة مغايرة تماما لصورة الوعظ والارشاد التى كانت تلجأ إليها القصائد الرسمية «الجليلة» وكثيرا ما كانوا يتعرضون لأفراد فاحت رائحة فضائحهم الخلقية والاجتماعية، فيصبون عليهم شواظ قصائدهم الموجعة، والحق أنهم لم يكونوا يستثنون فى هذا أميرا أو خفيرا، كما أنهم كانوا يتحدثون عن أوضاع البلاد السياسية في جرأة قلّ أن نجد مثلها عند غيرهم، ومن أجل هذا تعرضت المجلات والجرائد التى كانت مخصصة لنشر هذا اللون من الشعر إلى صنوف متعددة من المصادرة والاضطهاد، لكنهم كانوا يعودون سيرتهم الاولى بنفس الحماسة وكأن الحكومة - وقتها - كانت تكرمهم وتخلع عليهم الأوسمة

والنياشين، وواقع الأمر أن «الشعر الحلمنتيشى» كان يستمد تأثيره البالغ على قرائه من خلال صورته المغايرة لصورة القصائد الرسمية «الجليلة»، إذ أن كتابه كانوا يلجأون إلى انتقاد ما يريدون انتقاده عن طريق إبرازه في قالب هزلى ساخر يجعل قراءهم يضحكون ساخرين، كما يجعلهم مهيأين نفسيا لأن يغيروا هذا الوضع المنتقد أو يتمنون تغييره، وهذا هو المهم، وكثيرا ما كان كتاب هذا اللون ينقضّون على القصائد الفخمة من تراثنا العربى القديم، بغية تحويرها وإكسابها مضمونا هزليا، فهم يهلهلون الجزالة اللغوية بطريقة عابثة، كما كانوا يعبثون بحرمة الموضوعات الخطيرة بخفة روح مصرية أصيلة، وهم - إلى جانب هذا كله - كانوا من الناحية الفنية يستخدمون نفس الأوزان والقوافى التى يستخدمها شعراء التراث الأقدمون أمثال المتنبى وأبى تمام وأبى فراس وغيرهم، وكان هذا فى حد ذاته سببا من أسباب إضحاك قرائهم الذين كانت تتداعى فى أذهانهم المفارقات المضحكة بين القصائد التراثية الفخمة

وبين قصائد «الشعرالحلمنتيشى». ويمكننا ان نأخذ مثالا لهذا، المثال الذى سنأخذه من قصيدة لعبد السلام شهاب وكان رحمه الله من أبرع كتاب هذا اللون، وقد رأى أن يهلهل قصيدة فخمة من قصائد المتنبي، وأما المناسبة التي دعته إلى هلهلة قصيدة المتنبى وتحويرها إلى ما يحقق هدفه هو، فهى مناسبة تولى الطاغية اسماعيل صدقى رئاسة الوزارة المصرية فى أعقاب مذبحة كوبرى عباس في فبراير عام ١٩٤٦ ففى يوم ٢١ فبراير من ذلك العام وهو اليوم الذى أصبح فيما بعد يوما عالميا لطلاب العالم أجمع، سارت مظاهرة - يقول شهدى عطية الشافعى فى كتابه تطور الحركة الوطنية في مصر (ص ٩٩) إنها كانت - .. تضم ما يزيد عن أربعين الفا وقيل مائة ألف، وأخذت تطوف بأهم شوارع القاهرة حتى بلغت ميدان التحرير (الاسماعيلية سابقا) وهنا تصدت لها أربع سيارات بريطانية مصفحة، واقتحمت الجموع لا تعبأ، وكان مستحيلا إفساح الطريق لها، فسقط قتلى وجرحى» ومع هذا فإن الطاغية صدقي ألقى في مساء ذلك

اليـوم خطابا قـال فـيـه: إن المظاهـرات السلمـيـة التى قـامت صبـاح اليوم، قـد تحولت بفـعل الأيدى التى لم تعـد خافـية، واندس عناصر من الدهماء في صفوف الطلبة الأبرياء .. كل هذا حَـوّلهـا إلى مـظاهرات ظهـر عليـهـا طـابع الشـر، وإن المظاهرات السلميـة البريئة التى كان عمـادها الطلبة الأبرياء انقلبت مع الأسف الشـديد إلى مظاهرات اختفى منهـا عنصر الطلبة والمتعلمـين» .. ولم يشر ذلك الطاغية بطبيـعة الحال إلى السيارات البريطانية المصفحـة التى اقتحمت الجموع، كما لم يشر إلى قوات البوليس التى استخدمت براعتها فى إصابة الطلبـة العـزل .. وهنـا نجـد عبـدالسـلام شـهـاب ينقضّ على قصيدة المتنبى الداليـة التى قالهـا وهو خارج من مـصر لكى يبتعد عن وجه كافور وهى قصيدة «عيد بأية حال عدت يا عيد»، وقـد سار عبدالسلام شـهاب على نهج المتنبى فى الوزن والقافـية، لكنه بالطبع لم يـسر على نهجـه في الجدية، فـقد أخـذ يسخـر من إسمـاعيل صـدقى ومن وزارته كمـا نرى من خلال هذه الأبيات:

عـيـد بأية حـال عـدت يا عـيـد — بما مـضى أم لأمـر فـيكَ تجـديد

أمـا الوزارة فـالتـرقـيع بهـدلها — وكل أيامـهـا غلب وتـنكيـد

رئيـسها صـدقى باشا فى إدارتها — طهـقـان تعـبـان لا رجل ولا ايد

هلا اختـشيتم وداريتم كسوفكمو — أم الخـشا عنـدكم بالله مـفـقـود

يا أخيب الناس إن الناس تعـرفكم — مهما فشـرتم وحكم الشعب موجود

والحق أننى قـد قصـدت أن أطيل فى تبيـان وظيفـة «الشعـر الحلمنتيشى» لكى يستطيع القارىء ان يقارن بين نماذجه التى قدمها كتابه، وبين نموذجه الذى قدمه ناجى، فـإذا كان كتاب «الشعر الحلمنتيشى» يقتحمون ميدان السياسة اقتحاما جريئا ويسخـرون، من بعض المواقف الاجـتـماعـيـة العـامـة التى تهم المجتمع كله أو تهم قـطاعا كـبيـرا من قطاعـاته فإن قـصيـدة ناجى عن «دار لاشين» لا تهم - حـقـيـقـة - أحـدا غـيـر رواد «مندرة» مـحمـود طاهر لاشين، وليس هذا مـقصـورا على تلك القصيـدة وحدها، فقصائد ناجـى الأخرى، والتى كتبها بقصد التفكه والدعابة لا تهم غيـر عدد قليل من الناس أغلبهم ممن

تعنيهم المناسبات التى قيلت تلك القصائد من أجلها، فناجى له قصيدة «تحية إلى ذقن الدكتور محمود ثابت» فضلا عن مقطوعات فى «وصف أصلع» و«حسناء بجانب أمها الدميمة».

* فإذا انتقلنا إلى المراثي التى تفجع فيها ناجى على الذين فقدهم، فإنها تتمثل في خمس عشرة مرثية، منها مرثيتان نشرتا لأول مرة في «الأعمال الشعرية الكاملة». هناك خمس قصائد يضمها ديوان «وراء الغمام» خصص ناجى أربع قصائد منها فى رثاء «أمير الشعراء» أحمد شوقى وحده، أما القصيدة الخامسة فهى مرثية للشاعر طانيوس عبده، ويتضمن ديوان «ليالى القاهرة» ثلاث قصائد، خصص الشاعر اثنتين منها لرثاء شاعرين هما محمد الهراوي ومحمد عبدالمعطى الهمشري، أما الثالثة فهى لرثاء أحد وزراء الصحة السابقين - الدكتور عبدالواحد الوكيل، ويضم ديوان «الطائر الجريح» قصيدة رثاء واحدة، وهى - في الواقع - ليست مرثية لشخصية من الشخصيات، إذ أنه خصصها لـ «رثاء كلب صغير» وهناك مرثية للشاعر خليل مطران أضافها محققو «ديوان ناجى»

إلى ما سبق من مرثيات، وهناك مرثيتان لم تنشرا في أى ديوان من تلك الدواوين الثلاثة، حيث أتيح لى أن أنشرهما ضمن ديوان «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى، أولاهما مرثية «لشاعر النيل» حافظ إبراهيم، وثانيتهما «رثاء صديق» والصديق هو الدكتور محمد نصر الدين، وفضلا عن هذا، فإننى اكتشفت - أثناء عكوفى على جمع «الأعمال الشعرية الكاملة» - مرثيتين أخريين، وقد ضممتها إلى «قصائد مجهولة» في تلك الطبعة التى تضم «الأعمال الشعرية الكاملة» وقد كتب ناجى إحدى هاتين المرثيتين عندما رحل عن عالمنا شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغي، أما المرثية الأخرى فقد كتبها عندما رحل إبراهيم الدسوقى أباظة «باشا» عن عالمنا.

ويلاحظ على هذه المراثى أنها متفاوتة في مستواها، فقد كان ناجى يلجأ فى بعض منها إلى طريقة شوقى في الرثاء، حيث يخاطب الشاعر الميت، مستنهضا إياه من رقدته لكى يجعله يتأمل معه أسرار الحياة ومعناها أو لكى يسأله عما

يحدث للإنسان بعد موته وبهذا يتعظ الأحياء ويتذكرون «الدار الآخرة.. دار البقاء»..!! وقد استخدم ناجي طريقة شوقي هذه في رثائه له هو بالذات، وكأنه كان يريد ان يثبت لجمهور حفلات التأبين التي أقيمت لشوقي أنه يفهم طريقته في الرثاء، وهذا ما يجعل الجمهور يحس بالتعاطف مع قائل المرثية لأنه يحس بالتقارب بينه وبين من يرثيه، هذا إلى جانب أن ناجي لم يكن شاعر رثاء بحيث تكون له طريقته الخاصة فيه، كما هو الشأن عنده في مجال الحب، وفي بعض الأحيان كانت قصيدة الرثاء عند ناجي تثير سخرية من يستمع إليها، ومثال ذلك قصيدته التي ألقاها في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقي يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير ١٩٣٤، ففي هذه القصيدة يعلن الشاعر - من البداية - أن وفاة المرحوم فرصةٌ عليه أن يغتنمها في قول الشعر، خاصة وأنه سينتقي ألفاظا رقيقة يرثي بها المرحوم، يقول ناجي مخاطبا نفسه أمام الحاضرين:

موقف حان فاغتنمْ   وتخيَّرْ من الكلم

كل لفظ أرق من   ضحكة الزهر للديم

ويبدو ان استقبال الحاضرين لهذه القصيدة كان سيئا، وأن هذا حز في نفس ناجى لأنه عاد إلى الحديث عن إخفاقه في رثاء أحد اصدقائه الشعراء، بصورة أضحكت الناس منه، وقد تحدث ناجى عن هذا فى إحدى قصصه الذاتية التى نشرها في عدد أول نوفمبر عام ١٩٣٨ من مجلة «مجلتى» وكان عنوان هذه القصة «يوميات عشاق» وقد ذكر الشاعر أنه لجأ إلى حبيبته، يلتمس عندها العزاء عن إخفاقه فى الرثاء ..

ويلاحظ أيضا أن الشاعر كان قصير النفس في بعض هذه القصائد، وكأنه كان يحس بأنه لن يستطيع القول فيكفٌ عنه بسرعة وهذا ما يبدو مثلا في رثائه لخليل مطران، فقد رثاه بثلاثة أبيات أعلن فيها رغبته في الرحيل عن الدنيا ما دام الخليل قد رحل، وأعلن أيضا ان موت الخليل هو مصرع للعبقرية .. وعند هذا الحد سكت ناجى عن الكلام:

يا نفس إن راح الخليل وعنده ودٌّ الخليل فعَجلي برحيلي

حملوا على الأعواد فنا خالدا وارحمتاه لكوكب محمول

هو مصرع للعبقريةِ روعت في عرشها والتاج والإكليل

كما يلاحظ ان الشاعر كان يقتطف أحيانا أبياتا من قصائده العاطفية لكى يحشو بها قصائده في الرثاء، إما استسهالا منه ورغبة في عدم إجهاد النفس في أمر يعرف هو أنه لا يحسنه، وإما رغبة في زيادة عدد أبيات قصيدة الرثاء لكى لا يحس القارىء بأن الشاعر في هذا المجال قصير النفس، وإما للأمرين معا، ففي إحدى القصائد التى خصصها ناجى لرثاء شوقى وهى قصيدة «ساعة التذكار» نجده يقتطف أحد أبيات قصيدته العاطفية «اللقاء»، وهو لا يحور في هذا البيت المقتطف إلا خضوعا للقافية وحدها، فقد قال ناجى في قصيدته العاطفية:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الطلق ما يغشاها

ولما كانت قصيدة ناجى في رثاء شوقى قصيدة رائية فإن هذا البيت قد تشكل شطره الثانى تشكيلا جديدا لكى يتلاءم مع ما قبله من أبيات في القافية وهذا هو البيت بصورته الجديدة:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الضاحك النوار

وقد فعل ناجى هذا الصنيع مرة أخرى في قصيدة «رثاء صديق» إذ أنه عمد إلى بيتين من أبيات قصيدته العاطفية «الشك»، ودسهما ضمن أبيات قصيدة الرثاء، ومع أن هاتين القصيدتين منشورتان ضمن قصائد مجهولة، إلا أننا سنبين - مع هذا- أن البيت الخامس عشر من قصيدة «الشك» هو الذى اقتطفه ناجى ودسه في قصيدة «رثاء صديق» وقد أصبح ترتيبه فيها العاشر، وهذا البيت هو:

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهى عند التراب رخيصة كتراب

أما البيت الآخر الذى أخذه ناجى من قصيدته «الشك» ودسه

في قصيدته «رثاء صديق» فهو آخر أبيات قصيدة «الشك»:

وأذبت جوهرها فداء نواظر   علوية قدسية المحراب

وقد غَيَّر الشاعر - في مجال الرثاء - الشطر الأول من هذا البيت لكى يتسنى له أن يتساءل متعجبا أي حساب لصاحبه الميت وحياته علوية قدسية المحراب، مع ان نواظر حبيبته هى التى كان يقول عنها إنها علوية قدسية المحراب .. على أى حال، فهذا هو البيت بعد تحويره:

أى الحساب لذاهب وحياته   علوية قدسية المحراب

على أنه من الإنصاف لناجى - في مجال الرثاء - أن نستثنى ثلاث قصائد، أولاها رثاء صديقه الشاعر محمد الهمشرى، فهى قصيدة رقيقة شجية ولعل هذا يرجع إلى تقارب روح كل منهما من روح الآخر، كما يرجع إلى أن الصور الشعرية المستخدمة فيها هى صور سبق للشاعر ان استخدمها في مجال

الحب الذى أجاد فيه ناجى وأبدع، فهو يصور الهمشرى - كما صور نفسه هو من قبل - فى هيئة فراشة حائرة:

لا تجزعوا للشاعر الملهمِ ما مات لكنْ صار فى الأنجمِ
ما كان إلا زائرا عابرا لأى سر جاء لم نعلمِ
كان فراشا حائرا فى الدنى فى نورها أو نارها يرتمى
فإن نجا من نارها مرة فمن لهيب النفس لم يسلمِ

أما ثانية القصائد الثلاث التى أستثينها فهى مرثية شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغى الذى رحل عن عالمنا يوم ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٥، ويبدو أن ناجى كان يحبه حبا عميقا، وهذا ما يتضح لمن يقرأ هذه المرثية الصادقة.

وفيما يتعلق بالمرثية الثالثة فإنها آخر ما قاله ناجى فى شعر الرثاء، ومن أواخر القصائد التى كتبها قبل رحيله عن عالمنا بشهرين.

هذه المرثية هى مرثية الوزير الأديب ابراهيم الدسوقى أباظة «باشا» الذى رحل عن عالمنا يوم ٢٢ يناير عام ١٩٥٣، وبعد رحيله بشهرين لحق به ناجى حيث رحل عن عالمنا - كما سبق أن ذكرت - يوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٣، والواقع أن

ناجى - في هذه المرثية - كان كأنما يرثى نفسه، خاصة بعد شعوره العميق بالظلم نتيجة ما حل به في حمله «التطهير» بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، وهذا ما أكده محمد مصطفى الماحى فى كتابه المخطوط عن الشاعر، حيث يقول: « ... فلا عجب أن يذيب ناجى قلبه فى رثاء الأديب الكبير إبراهيم الدسوقى أباظة والذى لم يستطع لفرط تأثره أن يلقيه بنفسه - وهو الخطيب المحاضر - فعهد إلى غيره في إلقاء المرثية، ووقف وهو يستمع اليها وهو يذرف الدموع، فقلت لرفاقى إن «ناجى» يرثى نفسه ولن يطول عمره، ولم تمض على موقفه هذا إلا بضعة أسابيع حتى رحل عن هذه الدار ليلقَى صديقه ونصيره».

يقول ناجى في هذه المرثية الأخيرة:

ودعت أحلامى وعِفتُ حياتى	ودفنتُ بعدك في التراب شباتى
هيهات ليس الدمع فيك بمسعفٍ	جفَّتْ على حوض الردى عبراتي
يتمثل الماضى إلىَّ بأنسه	متألق الآمال والبسماتِ
فإذا التفتُ لحاضرى ألفيته	جهما، وفزَّعنى خيال الآتي

* ... إذا تركنا قصائد الرثاء،لننظر إلى قصائد الحماسة الوطنية وحب الوطن، فإننا نجدها لا تتعدى تسع قصائد، ثلاث منها نشرها ناجى ضمن قصائد ديوان «وراء الغمام»، وهناك قصيدتان يضمهما ديوان «ليالى القاهرة»، وقصيدة أضافها محققو ديوان ناجىْ وقد جمعوها من المصدر الذى نشرت به وهو مجلة «العمارة» - عام ١٩٤٠ وتبقى ثلاث قصائد أخرى، استطعت العثور عليها، ويجدها القارىء منشورة - لأول مرة - في هذه الأعمال الشعرية الكاملة، بعد أن ظلت مجهولة على امتداد سنوات مضت.

لو تأملنا قصائد الحماسة الوطنية التى نشرها ناجى ضمن ديوانه الأول، فإننا سنلاحظ عليها غلبة الخطابة وعلو النبرة، وأولى هذه القصائد تكاد تصبح برمتها نموذجا للشعر الزاعق الذى يتسم بالطابع المدرسى، وهو مما تحفل به كتب النصوص فى المدارس الاعدادية والثانوية عندنا.

يقول الشاعر في مطلع هذه القصيدة:

وطن دعا وفتى أجاب ... بوركتَ يا عزم الشباب

أما القصيدة الثانية فقد نشرت أول ما نشرت في العدد الأول

من مـجلة الأسبـوع وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٩ نوفمبر ١٩٣٣ وقد تصدرتها هذه السطور: «ألقى الشاعر النابغ الدكتور إبراهيم ناجى هذه الأبيات الحماسية الرائعة يوم الثلاثاء ١٤ نوفمبر الجارى في دار الأوبرا الملكية في حفلة أسبوع الصحة، فأحدثت ضجة هائلة ودويا عظيما، وقد اختص بنشرها مجلة الأسبوع دون غيرها» على أن شاعرنا لم ينس نفسه في هذا الموقف الجماعى باعتباره فردا متفردا فخص نفسه ببيتين - فيما أرى - يقول فيهما:

قل للذى يبغى الصلاح لقومه — بنبيل صنع أو شريف جهاد
بالطب أو بالشعر أو بكليهما — كل الجهود فداء هذا الوادي

أما ثالثة قصائد الحماسة الوطنية في ديوان «وراء الغمام» فهى قصيدة «الأجنحة المحترقة» وقد كتبها الشاعر بمناسبة سقوط إحدى الطائرات المصرية، والتى استشهد بسقوطها شهيدان هما أول شهداء مصر فى الطيران وكان ذلك عام ١٩٣٤، ويفتتحها ناجى قائلا:

يا أمتى كم دموع في مآقينا — نبكى شهيديك أم نبكى أمانينا؟
إلى أن يعلن أن الشهيدين قد ذهبا فداء للوطن .. فداء لمصر ..

فداك يا مصر هذا النجم منطفئا والنسر محترقا والليث مطعونا

أما القصيدتان المنشورتان ضمن ديوان «ليالى القاهرة» فأولاهما «مصر» وقد غنتها أم كلثوم لكنها لم تظفر بنجاح يماثل نجاح غناء قصيدة «الأطلال»، ومطلع هذه القصيدة يقول:

أجل إن ذا يوم لمن يفتدى مصرا

فمصر هى المحراب والجنة الكبرى

وثانية القصيدتين هى قصيدة «بطل الأبطال». ولهذه القصيدة مناسبة مهمة إذ أنها كتبت بمناسبة استشهاد عبدالحكم الجراحى، وسندع شهيد المعتقلات المصرية عام ١٩٥٨ شهدى عطية الشافعى يروى ظروف استشهاد هذا الشهيد الراحل: «لم يكن الاستعمار يكتفى باللعب وراء الستار، وإنما كثيرا ما كان يتدخل تدخلا سافرا في شئون الحياة النيابية، فقد أصر الشعب إصرارا على إرجاع دستور ١٩٢٣، والتطويح بدستور صدقى المزيف، فصرح صمويل هور وزير خارجية بريطانيا فى ٩ نوفمبر ١٩٣٥ بأنه «عندما استشيرت الحكومة

البريطانية فى شأن الدستور، نصحت بالايعاد دستور ١٩٢٣، ولا دستور ١٩٣١، إذ ظهر أن الأول غير صالح للعمل، والثانى لا ينطبق على رغبات الأمة»! «ليس أوقح من هذا التدخل السافر، في شئون بلد معترف باستقلالها ولو اسميا، وليس أحقر من وزارة مصرية، وزارة السراى، وزارة نسيم التى لا تتحرك في شىء من شئون البلاد إلا باستشارة الانجليز، واحتج الشعب، وزاد سخطه على وزارة السراى، وقامت المظاهرات في أنحاء القرى وبعض المدن، احتجاجا على تصريح هور، وتعرض لها البوليس بالرصاص، فكان أول من استشهد هو اسماعيل محمد الخالع أحد العمال، ثم قامت مظاهرة في الجامعة استشهد فيها محمد عبدالمجيد مرسى ومحمد عبدالحكم الجراحى وعلى طه عفيفى من طلبة جامعة القاهرة، ثم عبدالحليم عبدالمقصود بالمعهد الدينى بطنطا، وأعلن الحداد العام على الشهداء يوم ٢٨ نوفمبر فأغلقت المتاجر واحتجبت الصحف وعطلت المصانع وأقام الطلبة نصبا تذكاريا لشهداء الجامعة أقيم له احتفال ضخم يوم ٧ ديسمبر ١٩٣٥ تخللته مظاهرات كبيرة» وقد أفاضت الجرائد والمجلات في الحديث عن المظاهرات العارمة والإشادة بالشهداء، فنشرت

«المجلة الجديدة الأسبوعية» في عددها الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥ صورتين للشهيدين عبدالمجيد مرسى وعبدالحكم الجراحى على صفحة الغلاف، ثم علقت قائلة: «كان من نتيجة المظاهرات التى قام بها طلبة الجامعة في الأسبوع الماضى أن ذهب ضحيتها شابان من خيرة شباب الجامعة أخلاقا وتهذيبا هما المرحومان محمد عبدالمجيد مرسى افندى الطالب بكلية الزراعة ومحمد عبدالحكم الجراحى أفندى الطالب بكلية الآداب، وقد احتفلت الجامعة رسميا بتشييع جنازة المرحوم الجراحى في مشهد رهيب سار فيه كبار رجال الأمة ورجال الجامعة وطالباتها وطلبتها أما المرحوم عبدالمجيد مرسى فقد دفن في الاسكندرية بإشراف رجال البوليس الذين نقلوا جثته من مستشفى القصر العينى، وذهبوا بها إلى الاسكندرية حيث دفنت .. وقرر طلبة الجامعة أن يلبسوا شارة الحداد العام على أرواح الذين استشهدوا من أبنائها في الأسبوع الماضى» ..

والحق أنى قد تعمدت إطالة الحديث بعض الشيء فيما يتعلق بالمناسبة التى هيأت لناجى كتابة قصيدته «بطل الأبطال» التى تشتمل عليها «قصائد مجهولة»، ولكن بعنوان آخر هو

«أعاصير مصرية» وبعد أن عدل فيها الشاعر تعديلا عجيبا سيرد الحديث عنه فى معرض الحديث لكى يتضح للقارىء بعد قراءته للقصيدة ذاتها أنها دون مستوى الأحداث التى قام بها خيرة شباب مصر فى ذلك الوقت، بل إن الأحداث نفسها لم تظفر من الشاعر بأى اهتمام على الرغم من أهميتها وقد سيتها، أما ما ظفر من الشاعر حقا فهو الصبح الذى يطلع على ربى مصر، فإذا الورد ضحوك في الأكم، حتى إذا حل المساء انقلبت هذه الربى فوهة حمراء تغلى بالحمم، ويسيل الدم، وهنا يطرح الشاعر تساؤله الغريب: هل هذا الدم هولون الورد أم لون الموت أم لون الجحيم:

يطلع الصبح على هذى الربى ... فإذا الورد ضحوك في الأكم

فإذا أمسى المساء انقلبت ... فوهة حمراء تغلى بالحمم

لست تدري إذ تراها ظمئت ... فروى الأحرار واديها بدم:

ذاك لون الورد أم لون الردى ... الجاثم أم لون الجحيم المضطرم؟!

أما القصائد الثلاث التى اكتشفتها وضممتها إلى الأعمال الشعرية الكاملة، فإن أولاها بعنوان «تحية لمجد مصر» وقد ألقاها ناجي في مؤتمر طبى عقد بمدينة «الأقصر» في يناير

عام ١٩٣٤، ومطلعها:

بلاد النيل يا مهد المعالى ويا وطن العظائم والجلالِ

أما القصيدة الثانية، فقد كتبها ناجى عام ١٩٤٧ ومطلعها:

اليوم يومك في الرجال فنادِ
في ساحة مجموعة الأشهادِ

وإذا كان ناجى قد اقتطف أبياتا من شعره العاطفى ودسها فى قصائد الرثاء التى كتبها - كما سبق أن أوضحت - فإننا نستطيع القول إن نفس الظاهرة قد تكررت، حيث اقتطف ناجى أبياتا أو عدّل وحوّر في أبيات من قصيدة «في يوم الشباب» التى يضمها ديوان «وراء الغمام»، وعاد ليدسها فى هذه القصيدة الثانية، وقد سهل عليه هذه المهمة أنه اختار «الدال» حرفا للروى في القصيدة الثانية، وهو نفس حرف الروى فى قصيدة «يوم الشباب» التى يستهلها قائلا:

اليوم يومك في الشباب فنادِ
لا نوم بعد، ولا شهىّ رقادِ

وهكذا استبدل ناجى «الشباب» بـ «الرجال» في قصيدته الثانية،أما الشطر الثانى من البيت الذي استهل به ناجى قصيدته الثانية، فإنه هو نفس الشطر الثانى من البيت الخامس عشر من أبيات قصيدته «فى يوم الشباب»، على أنه من باب الإنصاف للقصيدة الثانية القول إنها تضم أبياتا رائعة، منها هذه الأبيات

يا مصرا يا مصر الحبيبة إن يرمْ
منى الفداء، دمى لحبك فادى
تالله لَوْفي الخلدِ كنتُ بموضع
أو في المجرة مصبحى ومهادى
لرنتْ لشطيك النواظرُ من علٍ
وهفا إليك من الجنان فؤادى

وعلى الرغم من إعجابى بهذه الأبيات، إلا أننى أتصور أن ناجى حين كتبها كان يتمثل بيت أحمد شوقى الأخاذ:

وطنى لو شُغلت بالخلد عنه
نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

ولست أدرى إن كــان ناجى قــد قــرأ ناظـم حكمت فـى تلك الفتـرة أم لا؟ .. فالشاعر التـركى الكبيـر كان قد قال:

وضعوا الشاعر فى الجنة

فصرخ قائلا:

آه .. يا وطنى

ونأتى الى القصيدة الثالثة من القصـائد التى اكتشفتها، وهى قصيدة «المجد الحي» فأقول إنها من روائع ناجى التى ألقاها فى مدينة «الزقـازيق» عام ١٩٤٧، وفـيها إشـارة واضحـة إلى الزعيم أحمـد عـرابى والى مـوقعة «التل الكبـيـر». وقد أرهقـنـى البحث عن هذه القصيدة الرائعة، فـفى البداية قرأت أبياتا قليلة منها في ثنايـا مـقــال كـتــبـه وديع فلسطين عن ناجي في مــجل «الأديب» البيـروتية، وقد أشار وديع فلسطين إلى كتاب للدكتور محمد عبدالمنعم خـفاجى هو كتاب «دراسات في الأدب والنقد» وقال إن د. خفـاجى هو الذى نبهه بـنفسـه إلى تلك الأبيات، ثم وجـدت نفس هـذه الأبيـات القليلـة منشـورة في ثنايـا مـقـال، كتـبه علي مـتولى صـلاح، ونـشر فى مـجلة «الرسـالـة» - عدد ٨ سبـتمبـر عام ١٩٤٧، وفى المقال إشـارة إلى كتـاب صدر في نفس

ذلك العام، فأرسلت إلى الصديق فتحى عبد الحافظ رسالة من الدوحة - حيث أعمل - طالبا منه أن يصور لى قصيدة ناجى الموجودة ضمن العديد من القصائد لشعراء آخرين فى ذلك الكتاب الذى أشار اليه علي متولى صلاح، وبالفعل لم يطل بى الانتظار، وإذا برسالة تضم هذه القصيدة مصورة، وكانت فرحتى بها كبيرة بعد أن قرأتها، وهذه هى الأبيات الأولى منها:

يا أمة نبتتْ فيها البطولاتُ
لا مصر هانتْ ولا الأبطال قد ماتوا

ما يبرح المجد يدعونا فنتبعه
كما تطير إلى النار الفراشاتُ

..أين الغزاة الألى مروا بنازمراً
وأين بالله تيجان ودولاتُ

طافوا البقاع فلما حلّ رحلهم
بمصرّ لم يصبحوا فيها كما باتوا!

* وفيما يتعلق بقصائد الوصف عند ناجى، فإن له قصائد عديدة عن «الربيع»، وكلها تحمل عنوان «الربيع» فاضطررتُ

لكى يسهل التمييز بينها إلى أن أشير إلى العام الذى كتبت فيه كل قصيدة منها، وعلى سبيل المثال فإن قصيدة «الربيع» التى كتبها ناجى عام ١٩٤٦ جعلت عنوانها «الربيع - عام ١٩٤٦».. وهكذا. ولم يكن «الربيع» وحده هو الذى استأثر باهتمام ناجى فى قصائده الوصفية، فقد احتل «القمر» مكانته هو الآخر، وإلى جانب «الربيع» و«القمر» نجد «الورد» كما نجد «الطبيعة» ذاتها، وهذا مطلع قصيدة «الطبيعة» التى نشرت لأول مرة في الأعمال الشعرية الكاملة:

وافنى نغتنمْ جمالَ الطبيعه
ويرى المرءُ في الربيع ربيعه
خلِّ ضيقَ الديار وانزلْ برحبٍ
من رياض ومن غياض وسيعه

* من القصائد التى خرج بها ناجى من حديقة الحب، تتبقى أمامنا قصائد المدح والتى أطلق عليها هو «قصائد التكريم»، والحق أن هذه القصائد - كما سبق أن أشرت - موجهة إلى أصدقاء وإلى أقارب، ممن احتلوا مناصب رفيعة، لكن علاقة ناجى بهم كانت علاقة محبة، وممن توجه إليهم

الشاعر بقصائد المدح أو «التكريم» ابراهيم عبدالهادى «باشا» - « على باشا» ابراهيم - أنطون «باشا» الجميل - عبدالحميد «باشا» عبدالحق - عزيز أباظة «باشا» - ابراهيم الدسوقى أباظة «باشا» الذى يقول عنه ناجى فى «ليالى القاهرة» إنه «أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما فى ذلك من منازع، هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان»، ولعلنا نتذكر أيضا أن ناجى قد رثى إبراهيم الدسوقى أباظة «باشا» مرثية صادقة ورائعة، سبق أن أشرت إليها..

ويضم «ليالي القاهرة» قصيدتين عن الملك السابق فاروق الأول، أولاهما فى عيد ميلاده، والثانية فى عيد تتويجه، لكن هناك قصيدة ثالثة لم أستطع الحصول على نصها الكامل، وإن كنت قد قرأت أبياتا منها فى جريدة «السياسة الأسبوعية» ففى عدد السبت ٢٠ فبراير عام ١٩٣٧ من هذه الجريدة إشارة إلى «المهرجان العظيم بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك»، وسأثبت هنا نص هذه الإشارة حتى نتعرف على أجواء «المهرجان العظيم».

تقول «السياسة الأسبوعية»: «نظمت رابطة الشباب

العربى لإحياء القومية العربية في يوم الخميس الماضى (أى يوم ١٨ فبراير عام ١٩٣٧) مهرجانا عظيما بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك، وألقى كلمة الافتتاح صاحب العزة الدكتور محمد حسين هيكل بك الرئيس العام للرابطة ثم وقعت فرقة معهد الاتحاد الموسيقى برياسة إبراهيم شفيق نشيد جلالة الملك، ثم ألقى الأستاذ حافظ محمود كلمة طيبة عن الملك فى روح الشباب ثم تحدثت الآنسة المهذبة ابنة الشاطىء عن ملك العهد الجديد، ثم أنشد الدكتور ابراهيم ناجى قصيدة عصماء وتكلم الأستاذ أحمد حسن الباقورى عن الملك الصالح ثم ألقى الشاعر محمود حسن إسماعيل النخيلى قصيدة، ثم اختتمت الحفلة بالسلام الملكى ...». وأما الأبيات المنشورة في «السياسة الأسبوعية» من قصيدة ناجى عن الملك، فإننى أثبتها هنا من باب الأمانة تجاه شعر ناجى، فضلا عن أنها أبيات جميلة، وهذا نصها:

قل للمليك اذا وافيت سدته
إخلاصنا لك أضحى عندنا دينا
يا عارفاً بأمانى الشعب فى زمن
مصر وأنتَ به أغلى أمانينا
ويا ندى طائفا أيان ما لمستْ
كفّاه تربتها اخضرت رياحينا
يا من بذلتَ لنا أيام محنتنا
كفّاً تؤازر أوعينا تراعينا
وياهوى الناس فى حل ومر تحل
سمعتَ آهاتنا فاسمعْ أغانينا

... هل خرج ناجى من حديقة الحب بقصائده التى كتبها فى التفكه والمداعبات، والرثاء، والحماسة الوطنية، والوصف والمدح؟ .. أكاد أجيب قائلا: لا .. لم يخرج .. لكنه خرج من حديقة الحب حقا حين كتب قصائد قليلة جدا من شعر الهجاء ..

إطلالة على العطاء الشعرى

لم يكن العطاء الذى خلفه لنا ناجى محصورا في الشعر وحده، فقد كان له عطاء نثرى غزير ومتنوع، ليس هذا مجال الحديث عنه، فالحديث هنا يتركز حول عطائه الشعرى الذى أكسبه ما أكسبه من شهرة وذيوع صيت، وكان ناجى قد بدأ نشر قصائده فى مجلة نصف شهرية، هى مجلة «السيدات والرجال» ابتداء من عام ١٩٢٢، ثم نشر قصائد أخرى في جريدة «السياسة الأسبوعية ومجلة «الهلال» ثم مجلة «أبولو» التى نشر فيها الجديد من قصائده، كما اعاد نشر بعض قصائده التى كان قد نشرها من قبل على صفحاتها. وخلال حياته لم يصدر ناجى غير ديوانين فحسب، ثم صدر له بعد رحيله عن عالمنا ديوان ثالث، وجمعت هذه الدواوين الثلاثة وأضيفت إلى قصائدها بضعة قصائد وصدرت في ديوان ضخم يشملها جميعا هو «ديوان ناجى»، ثم صدرت مختارات من قصائد ناجى، ونستعرض هنا هذا العطاء الشعرى.

• «وراء الغمام» - الديوان الأول

كان عام ١٩٣٤ عام خصوبة شعرية، ففيه صدر ديوان «وراء الغمام» أول دواوين ناجى، إلى جانب أنه شهد صدور دواوين «الكائن الثانى» و «الينبوع» للدكتور أحمد زكى أبو شادى، و «الألحان الضائعة»لحسن كامل الصيرفي، و «ديوان صالح جودت» و «الزورق الحالم» لمختار الوكيل، و «ظلال القمر» لأحمد مخيمر، و «الملاح التائه» لعلي محمود طه و «ديوان الماحي» لمحمد مصطفى الماحى، أما أول دواوين محمود حسن إسماعيل وهو ديوان «أغانى الكوخ» فقد صدر في يناير عام ١٩٣٥ .

وقد اشتعلت في أعقاب صدور «وراء الغمام» معركة نقدية عنيفة كان هذا الديوان سببها الظاهر، وقد نشبت تلك المعركة فى ذلك الوقت بين شعراء جماعة أبولو وعباس العقاد مع تلاميذه من جهة، وبين شعراء جماعة أبولو والأستاذ الدكتور طه حسين من جهة أخرى، والحق أن النفوس كانت مهيأة لتلك المعركة من قبل أن يصدر ديوان ناجى الأول، ولذا فإن صدوره كان فرصة لاشتعالها بسرعة. نقد طه حسين ديوان «وراء الغمام» نقدا قاسيا، ونشره فى جريدة الوادى فى يونيو ١٩٣٤، ورأى فيما رأى «... أن صاحب» «وراء الغمام» من هؤلاء

الشعراء الذين يحسن أن نستمتع بما في شعرهم من الجمال الفنى، كما نستمتع بجمال الوردة الرقيقة النضرة، دون أن نشطأ عليها بالتقليب والتعذيب، هو شاعر هين، لين، رقيق، حلو الصوت، عذب النفس، خفيف الروح، قوى الجناح، ولكن إلى حد، لا يستطيع أن يتجاوز الرياض المألوفة، ولا أن يرتفع في الجو ارتفاعا بعيد المدى، وإنما قصاراه أن ينتقل في هذه الرياض التى تنبت في المدينة أو من حولها، والتى لاتكاد تبعد عنها كثيرا، وهو إذا ألم بحديقة من الحدائق أو جنة من الجنات لا يحب أن يقع على أشجارها الضخمة الشامخة في السماء، وإنما يحب أن يقع على أشجارها المعتدلة الهينة، ويتخير من هذه الأشجار أغصانها الرطبة اللدنة التى تثير في النفس حنانا إليها، لا إكبارا لها ولا إشفاقا منها. هو شاعر حب رقيق، ولكنه ليس مسرفا فى العمق ولا مسرفا فى السعة ولا مسرفا في الحب الذى يحرق القلوب تحريقا ويمزق النفوس تمزيقا، شعره أشبه بما يسميه الفرنجة موسيقى الغرفة منه بهذه الموسيقى الكبرى التى تذهب بك كل مذهب، وتهيم بك فى ما تعرف وما لا تعرف من الأجواء».. ونقد عباس العقاد ديوان ناجى فى عدد ١٢ يونيو ١٩٣٤ من جريدة الجهاد، وجاء

نقده أكثرقسوة من فقد طه حسين وأشد منه عنفا فقد اتهم ناجي بأنه سرق أبياتا من شعره هو وضَمَّنَها قصائده بعد أن حَوَّرها، وقال إن «أظهر ما يظهر من سمات هذه المجموعة الضعف المريض والتصنع، فإن صاحبها كما يدل عليه كلامه من أولئك النوع الذين يفهمون أن «الرقة ترادف البكاء، وأن الشاعر ينظم ليبكى ويشكو فإذا هجره الحبيب بكى وإذا تناجى مع حبيبته قال لها «هاتى حديث السقم والوصب» إلى نحو ذلك من أغراض الرخاوة المريضة التى لا نزال نحاربها منذ ٢٠ سنة في الشعر والنثر والغناء»..

وكان من الطبيعى أن يرد ناجى على ما وجه إليه وإلى شعره من نقد، وكان من الطبيعى أيضا أن يرد على طه حسين فهو الأقرب إلى نفسه والا يرد على العقاد لأنه بطبيعته الوديعة كان ينفر في قرارة نفسه من طبيعة العقاد الخشنة ومن أسلوبه الناري وعباراته التجريحية التى يصبها على رؤوس ناقديه ومنقوديه على حد سواء، لكن ناجى تورط في رده إذ أنه لم يستطع أن يخفى غيرته من على محمود طه الذى كان طه حسين قد نقده نقدا مجاملا قبل أن يكتب ما كتب عن ناجى، وقد كان هذا من دواعى الجفوة التى

وقعت بين الشاعرين الصديقين علي محمود طه وإبراهيم ناجي.. رد شاعرنا على طه حسين فى عدد ٢٠ يونيو ١٩٣٤ من مجلة الأسبوع فقال مما قال: «.. أنت ترانى قوي الجناح إلى حد، ترانى رقيقا وترى لي موسيقى تسميها موسيقى الغرفة» ويلوح لى من تفضيلك على طه أنك لست ترضى عن تلك الرقة ولا تعجب بهذه الموسيقى، بل أنت من أنصار الشاعر الذى تراه «مهيأ» ليكون جبارا، أنت من أنصار الأدب العنيف.. الأدب النتشوى الهتلرى.. من أنصار النسر الذى يحط على الشجر الباسق ويبسط جناحيه بسطة عقادية، الواقع أن هذا العصر في حاجة إلى مثل ما تحب، أما نحن فأدبنا مائع رخو، أدب دموع وضعف، وقد كنت أحب أن أعرف رأيك يا مولاى فى ليالي الفريد دى موسيه وروائع لا مرتين كالبحيرة والوادى ما رأيك في هذا الضعف الشائن من شاعرين لم يخلد لهما إلا الدموع الذائبة؟! ومع ذلك قل لى منصفا وليقل العقاد أى أنواع الأدب أحب إلى النفوس؟ سيقوم الموتى من قبرهم وستنبض كل صحيفة في كتبهم بالحياة، صارخة «مآسينا خلدت ودموعنا هى التى عاشت !» وأنت لو سألت نفسك عن أحب الكتب إليك قالت «الأيام» ولو سألت قراءك نفس السؤال

قالوا: «الأيام» .. لماذا؟ لأنها قصيدتك الكبرى، فيها دموعك وفيها ضعفك كذلك، وهى أقوى ما كتبت! ولو سألت العقاد أي الشعراء تحب؟ لقال لك «هاردى» وما شعر هاردى إلا دموع، وضعف من الصنف الذى يعيرنا به..».

لكن هذا الرد المهذب لم يرُض - بطبيعة الحال - من هم على شاكلة العقاد، ممن تقترب طبائعهم من طبيعته الخشنه، ومن هؤلاء الشاعر سيد قطب الذى كان وقتها من أخلص تلاميذ العقاد، رأى سيد قطب أن المعركة بين طه حسين وابراهيم ناجى ليست معركة بالمعنى الحقيقى، وإنما هى أقرب إلى سذاجة الاطفال منها إلى أى شىء آخر، وانتقد اهتمام طه حسين بإبراز الجزئيات في ديوان ناجى، كما انتقد رد ناجى ورأى فيه ردا لا يليق بالرجال أن يردوا بمثله، وقد كان هذا في العدد التالى مباشرة للعدد الذى نشر فيه ناجى رده من نفس المجلة .. مجلة الأسبوع .. قال سيد قطب تحت عنوان: «معركة النقد الأدبى - ودوافعها الأصيلة».. «الحق أقول إن المعركة بين طه حسين وناجى معركة رخية هادئةأشبه بعتاب الحبيبين، منها بخصام المتلاحين وإن كنت أرى أن الدكتور طه قد اتجه إلى الجزئيات في الديوان أكثر مما اتجه

إلى الكليات، وأنه اشتد فى بعض المواضع شدة لا تتناسب مع الصورة الرقيقة التى رسمها لناجى فى أول مقاله «وهى الصورة التى رسمتها فى «الاهرام» قبل مقال الدكتور طه بأسبوع» وإن كنت أرى كذلك أن ناجى تلقى هذه الشدة باضطراب وجزع - يتفقان مع طبيعته - ولكنها لا يليقان بأديب، وأن كلمته التى كتبها ردا على طه فيها دموع وفيها شهيق وزفير لا يليقان بالرجال، ولكن يعزينا عن ذلك كله أن المعركة هنا أقرب شىء لسذاجة الأطفال وبراءة الاطفال»...

ورأى على أحمد ماهر في مقاله الذى عقب به على نقد طه حسين لناجى أن هذا النقد إنما هو حلقة من سلسلة الظلم الذى تحالف الشيوخ الذائعون على أن يدكوا به أعناق الشبان دكا عنيفا، ثم أشاد المعقب بموسيقى ناجى وامتدح شعره، وخلص إلى أن طه حسين يريد تحطيمه لكى يبردما أقدم عليه من خلع إمارة الشعر على العقاد بعد أن رحل أمير الشعراء أحمد شوقى.

أما السيد عطية شريف فقد رأى أن حملة سيد قطب على ناجى قد قصد بها تمجيد العقاد على حساب جميع من يعدهم منافسيه، وأنه إن ذهب إلى شىء خفيف من النقد

السطحى للعقاد، فإنما يقصد إلى التمويه على القارىء بأنه مستقل فكريا عن العقاد، وذكر السيد عطية شريف، أنه لم يكن يعرف سيد قطب باعتباره شاعرا إلا من خلال تنويه مجلة أبولوبه، ومع هذا فقد سولت له نفسه أن يشن عليها حملة بذيئة غير خافية المقاصد، والحق أن المعركة النقدية التى نشبت في ذلك الوقت ما لبثت أن تحولت إلى المهاترات والمماحكات اللفظية وافتعال المواقف، ولعل الكلمة الوحيدة التى كتبها صاحبها لوجه الفن وحده كانت كلمة الشاعر حسن كامل الصيرفى الذى قال: «إننا لا نحب المفاضلات والمنافسات السخيفة كما لا نؤمن بالتوحيد في الأدب، والمتحدث إلى أعضاء جمعية أبولو لا يجد بينهم إلا اتفاقا في المبادىء الفنية العامة التى تساير حيوية الفن كما تماشى روح العصر، ولكنه لا يجد تلك التحزبات الشخصية المقوتة التى اشتهرت عن بعض الجماعات والفئات» وقد دخل محمود حسن اسماعيل المعركة باتهامه للعقاد بأنه سرق أبياتا من شعره من محمود سامى البارودى، وبدلا من أن يقر بهذا أو يعترف به، نجده يلفق لناجى تهمة سرقة أشعاره هو، وقد اشترك في تلك المعركة النقدية إلى جانب من ذكرناهم الدكتور أحمد زكى أبو شادى

ومحمـود الشرقاوى ومخـتار الوكيل وصالح جـودت ومصطفى عبداللطيف السحرتى.

على أنه بعيدا عن مهاترات تلك المعركة، فإن هناك عددا من المقالات النقـدية الجادة قد حللت قصائد ديوان «وراء الغـمام»، ومن تلك المقالات مقال نظمى خليل في عـدد نوفمبر ١٩٣٤ من مـجلة أبولو ومـقال حـسين عـفيف في عـدد ٦ يوليـو ١٩٣٤ من مجلة «الأسبوع»، فضلا عن الفصل النقدى الجاد والمنصف الذى كـتبـه ابراهيم المصرى في كتـابه «صـوت الجيل» وهو الكتـاب الذى صدر عام ١٩٣٤ أيضا ..

والواقع أن بعض شـواغل الحـياة أسـمـهت في إبعـاد نـاجى عن جـو تلك المعـركـة، فـفى شهـر يـونيو ١٩٣٤ - كـمـا يقـول صـالح جودت - «شد الشاعـر رحاله إلى أوروبا ليعاون أخاه الاصغر فى الالتحاق بكلية «تولوز» الفرنسية للنسيج، ثم ليواصل طريقه إلى لندن، ليشهـد مؤتمرا طبيا منعقـدا هناك» ... وكان لوقائع المعـركـة التى كـانت تصل إليـه أنبـاؤها هنـاك أسـوأ الأثر على نفسيتـه الرقيـقة، إلى درجـة أنه كان يسـيـر في شـوارع لندن المزدحـمة بالناس والسـيارات شـارد اللب، حـائر الروح، مشـتت النفس، وكان من جـراء هذا ان صدمتـه إحدى السيارات، فـعاد

إلى مصر وساقه فى الجبس، ولم يقدر له الشفاء من حادث التصادم هذا إلا فى نوفمبر ١٩٣٤، وهذا ما علقت به «المجلة الجديدة الأسبوعية» فى عددها الصادر بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٣٤ تحت عنوان «تعليقات على حوادث الأسبوع»: «سر كثيرون بشفاء الدكتور ناجى من سقطته فى لندن، فقد كان أصيب بكسر فى ساقه وهو يعبر شارعا، وبدلا من أن يقضى إجازته في التنزه بين الريف والحضر الإنجليزيين، قضاها فى المستشفى على السرير، وساقه فى الجبس، وللدكتور ناجى مجلة يجدر بكل ربة ممن ربات البيوت أن تقتنيها هى «حكيم البيت» وله قصائد تتسم برقة اللفظ الموسيقية، ومعانيه أقرب إلى الحلاوة منها إلى الجلال. ووهو معنىٌ باللغة قلما يخطي، وهذه صفة نادرة فى الطبقة التى ينتمى إليها» وقد كان من نتائج المعركة النقدية أن زادت الجفوة بين شاعرنا ناجى وصديقه القديم على محمود طه، كما أنها - وهذا هو الأسوأ - قد زعزعت ثقة ناجى فى قدراته الفنية، وأعلن أنه سينصرف عن الشعر وأنه سيهجر الأدب، وقد أعلن هذا في حديث أدلى به لمراسل «المجلة الجديدة الأسبوعية» وقد نشر هذا الحديث فى عدد الأربعاء ٦ مارس عام ١٩٣٥ تحت عنوان

«لماذا هجرت الأدب؟ .. حديث هام مع الاستاذ الدكتور ابراهيم ناجى»، والحق انه ليست لهذا الحديث قيمة تذكر، بغض النظر عن قيمته التاريخية فيما يختص بدراسة شاعرنا، أما ما يعكس نفسية ناجى فى تلك المرحلة، ويستمد من هذا قيمته، فهو ختام مقدمته لكتابه «مدينة الاحلام» الذى صدر عام ١٩٣٥، يقول ناجى بحسرة ما بعدها حسرة: «بالأمس أخرج الشاعر ديوانه، واليوم قد أخرج القاص ما لديه من قصص، وأفضى المفكر بما أنتج فكره،وغدا ينطوى الشاعر وينسى القاص ويتلاشى المفكر .. غدا ينقلب القدر وينهزم الخيال وتحطم الروح أعز أمانيها وأغلى ميولها، غدا تحرقها وتنظر إلى لهيبها كما تنظر إلى الشفق والشمس ذاهبة .. غدا فراغ، غدا يمشى الطبيب إلى قبر الاديب الذى كان ذات يوم هو نفسه وقد حمل فى يده زهورا، فيضعها عليه دامع العين ثم يعود فإذا الطريق خاوية مقفرة، وإذا به فى زحام الناس كواحد من الناس يجوع فيأكل وتضحك له الدنيا فيتهلل، وتعبس له فينقبض، فعل منعكس واستجابة لدافع .. ويمر به الجمال فلا يرى فيه غير مظهره، وأما المعنى والروح فقد مضى بهما الشاعر رحمه الله. ويستمع الموسيقى فيصيح

مع الصائحين، ويصخب مع الصاخبين، أما الألوهية الدفينة التى تقف بالمستمع على حافة الأبدية، أما السلاف السماوية التى تنسكب فى أعمق أعماق النفس،كل هذا ينطوى مع الفنان الذاوي وا أسفاه.. وغداً يمر بالناس، فيراهم صوراً متشابهة، الات فحمها الرزق ومحركها الجنس والجوع .. أما الفيلسوف فذهب فى أثر الشاعر والفنان.

وداعا أيها الشعر ..

وداعا أيها الفن ...

وداعا أيها الفكر ..

وداعا ودمعة مرة وابتسامة أمر! ..».

واذا كنت قد تعمدت الإطالة في سرد وقائع المعركة النقدية التى كان صدور ديوان «وراء الغمام» سببها الظاهر، فذلك مرجعه إلى اننى حاولت ان أقدم صورة متكاملة لتلك المعركة، نظرا لأن جميع الذين تناولوها بالتحليل من الدارسين، قد اهتموا بابراز الصورة التى تجعل القارىء يتعاطف مع ناجى فحسب، وذلك بتركيزهم على المقالات النقدية التى هاجمت ديوانه، وإغفالهم لتلك التى امتدحته، أو تلك التى وقفت منه موقفا جادا موضوعيا، هذا إلى جانب أن تلك المعركة كان لها

أسوأ الاثر على نفسية شاعرنا - كما سبق أن ذكرت - وهذا ما سأشير إليه عند الحديث عن «مصادر القصائد المجهولة» لناجى .. وأما قيمة ما كتبه شاعرنا فى ختام مقدمته لكتابه «مدينة الاحلام» فيتمثل فى أنه يقدم لقارئه تصوره النظرى لدور الشاعر في الحياة، ورأيه فى أن الشاعر الحق هو من يتأمل الأعماق الخبيئة من جوانب الحياة، لا من يتعلق بالقشور السطحية التى يستطيع معرفتها الناس العاديون دون ما حاجة إلى الفن، وهذا التصور النظرى يتسق - بطبيعة الحال - مع النماذج الشعرية التى أبدعها ناجى من جهة، كما أنه يتعارض - من جهة اخرى - مع التصور النظرى لدور الشاعر فى الحياة عند على محمود طه.

ونظرا لأن الشاعر فى ناجى كان أصيلا ولم يكن مجرد واجهة خارجية، فإنه عاد إلى الشعر مرة أخرى، على الرغم من حديثه الذى أعلن فيه أنه هجر الادب، وعلى الرغم من كلماته الجريحة فى ختام مقدمته لكتاب «مدينة الاحلام».. والحق أن ناجى لم يستطع أن يهجر فنون الأدب جميعها في تلك الفترة التى هجر فيها الشعر مؤقتا، فقد نشرت له المجلات الأدبية في ذلك الوقت العديد من القصص القصيرة التى يغلب

عليها الاتكاء على العنصر الشخصى، فضلا عن أنه نشر عددا من المقالات النقدية وطائفة من البحوث التى تتناول علاقة علم النفس بالأدب، إلى جانب اشتغاله بترجمة العديد من القصص القصيرة العالمية ..

بعد عودة ناجى إلى فنه الأصيل أخذ ينشر قصائده فى أهم المجلات الأدبية فى ذلك الوقت .. «االرسالة» و «الثقافة» و «السياسة الأسبوعية» و «المجلة الجديدة» و «مجلتى»، وكان نتاج الشاعر من الغزارة بحيث أن مجلة «الرسالة» وهى مجلة أسبوعية كما هو معروف كانت تنشر له قصيدة فى كل عدد من أعدادها بصورة شبه منتظمة، وكان هذا فى أواسط الأربيعينيات على وجه التحديد، وقد جمع شاعرنا طائفة من تلك القصائد، وأصدرها فى ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، بينما لم يهتم بجمع طائفة أخرى منه، ولعله رأى أن يؤجل جمعها إلى حين، أو لأنه لم يكن راضيا تماما عنها. وهناك أمران لم يلتفت إليهما أحد على الإطلاق من دارسى شعر ناجى، أحب أن أشير اليهما هنا مجرد إشارة، الأمر الأول أن المترجم الشهير الراحل درينى خشبة قد كتب سلسلة مقالات بعنوان «شعر ناجى» فى أواسط الأربعينيات، وقد نشرها فى

مـجلة «الرسـالة» ابـتـداء من عـدد ٢٤ أبريل عـام ١٩٤٤، وهى مقالات مـهمة وإن كانت متـحمسة بصورة واضـحة لناجى وقد كـتب درينى خشبة هذه المقـالات، معـتمـدا على الديوان الأول لناجى «وراء الغـمـام» والأمر الـثانى أن ناجى لـم يكن يفكر فى إصدار ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، وإنما كان يفكر فى إعادة طبع ديوانه الأول «وراء الغـمـام» بعد أن يضـيف اليـه قصـائده الجديدة التى كان ينشرها فى تلك الفترة، وقد تأكدت من هذا الذى أقـوله من خلال خـبر صـغيـر، نشـر فى مجلة «الرسـالة» ضمن ما كانت المجلة تسميه «كشكول الأسبوع».

●«ليالى القاهرة» - متى صدر؟!

وفـيـما يتـعلق بديـوان «ليالى الـقاهرة»، فـإننى أعـتـرف بأن تاريخ صـدوره ظل لغـزا مـحـيرا إلـى أن تكشـفت لى حـقيـقـة الأمر، وهـذا مرجعـه إلى تضارب النـقاد والكتـاب الذين كتـبوا عنه فى تحـديد العام الذى صـدر فيـه. فقـد ذكر عـبدالعـزيز الدسوقى فـى ثبت المراجع الذى ذيل به كتـابه «جمـاعة أبولو» (ص ٥٨٦) إن هذا الديـوان قـد صـدر عـام ١٩٤٣، بـينمـا ذكـر الدكتور محمد مندور فى الحلقة الثانية من كتابه «محاضرات

في الشعر المصرى بعد شوقى» (ص ٥٨) أنه صدر عام ١٩٤٤، وذكر الدكتور شوقى ضيف نفس التاريخ فى كتابه «الأدب العربى فى مصر» (ص١٥٥) كما أن التعريف بحياة ناجى ونتاجه والذى ذيل به كتاب «أزهار الشر» الذى صدر بعد وفاته، قد ذكر هو أيضا نفس ذلك التاريخ (١٩٤٤) - راجع ص (١٤٩) أما صالح جودت فقد ذكر أن «ليالى القاهرة» قد صدر عام ١٩٥١، وذلك في مقدمته لديوان ناجى (ص٢٢). وهذا التضارب هوما جعل الأمر لغزا محيرا فى البداية، لكن الحقيقة تكشفت لى عندما قمت بمراجعة أعداد مجلة «الرسالة» في تلك الفترة الزمنية التى تضارب فيها القول وهى الفترة الممتدة من عام ١٩٤٣ إلى عام ١٩٥١، وقد وجدت - من خلال المراجعة - أن عباس خضر يعاتب ناجى فى عددين متواليين من أعداد مجلة الرسالة عام ١٩٥٠ لأنه اهدى نسخة من ديوانه الجديد لرئيس التحرير، ولم يهده نسخة منه، وقد ثبت لى باليقين أن ديوان «ليالى القاهرة» قد صدر عام ١٩٥٠ من خلال مراجعتى المتأنية للجزء التاسع من «فهرس الكتب العربية التى اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٥٥»، ففى صفحة ٥٤٦ من ذلك الفهرس إشارة

ببليوجرافية إلى ذلك الديوان: هذا نصها: «ليالى القاهرة - نظم ابراهيم ناجى - مطبعة الفكرة سنة ١٩٥٠م، ٢٢٤ ص القاهرة «رقم ز ١٨٦٧٤، ١٨٦٧٥ ..».

ولكيلا يكون هناك أى تضارب مرة أخرى بشأن تاريخ صدور «ليالى القاهرة» فإننى أحيل الدارسين المهتمين إلى عدد يناير عام ١٩٥٠ من مجلة «الحديث» الحلبية، وعدد مارس عام ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» التى كان يرأس تحريرها الشاعر والكاتب عادل الغضبان، ففى عدد مجلة «الحديث» نبذة عن الديوان (ص ٥٤٥ - ٥٤٦)، وتنتهى هذه النبذة بالقول «.. والديوان فى ٢٧٥ صفحة فنشكر للشاعر هديته» أما عدد مارس عام ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» فيشير إلى صدور «ليالى القاهرة» ضمن الدواوين التى صدرت عام ١٩٥٠، وهذا هونص الإشارة (ص ٣٣٩) .. «كان إنتاج العام الماضى (أى عام ١٩٥٠) غنيا بالشعر، فقد ظهر فيه بضعة عشر ديوانا، تختلف بين الشعر القديم والشعر الحديث، ويختلف الحديث بين المذاهب المختلفة للفن الذى توحى به الآلهة أو الشياطين!! .. ودواوين الشعر الحديث هى: «ديوان الخليل» ج ٤، وبه تم ديوان المرحوم خليل بك مطران الذى تولت إخراجه لجنة تكريمه، و «الحانى» لابراهيم هاشم

الفلالى من أدباء الحجاز و«ليالى القاهرة» للدكتور ابراهيم ناجى، و«فكر وروح» للآنسة أمانى فريد، و «بعد الأعاصير» لعباس محمود العقاد و«الظلال» لعبد الغنى سلامة و «جنى الأيام» لعبد المجيد مصطفى خليل»..

صدر ديوان «ليالى القاهرة» عام ١٩٥٠ إذن، وليس عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، وقد بدأ الشاعر ديوانه بإهداء رقيق يقول فيه «إلى صديقى ع. م . الذى ندّى الزهر الذابل من خمائل الماضى وأنبت فى روض الحاضر زهورا ندية مخضلة بالأمل والحياة .. إليه أقدم ما أوحى به إليّ ..» وقد تصدرت الديوان مقدمة ضافية قيمة ومتحمسة للشاعر، كتبها «معالى ابراهيم الدسوقى أباظة باشا» الذى يرى صالح جودت أنه كان «راعيا للشعراء وكان يجمعهم فى رابطة أدباء العروبة، وكان ناجى شاعره الأثير».. ويتسم ديوان «ليالى القاهرة» بأنه يتضمن عددا من القصائد المطولة، وهى تلك القصائد التى يتجاوز الشاعر حين يطلق عليها «ملامح»، فالملاحم - كما هو معروف - فن شعري عرفه الأقدمون من الإغريق والرومان والفرس والهنود، وكانوا يقصدون به إلى تسجيل تاريخهم والإشادة بأمجادهم ومآثرهم فى مجال الحروب التى خاضها ابناؤهم،

ولهذا الفن بطبيعة الحال خصائصه الفنية وسماته المميزة التى يعرف بها ومن خلالها، وليست الملاحم إذن أن يضم الشاعر عددا من قصائده الذاتية إلى بعضها ويطلق عليها عنوانا موحدا على نحو ما فعل ناجى فيما نستطيع تسميته بالقصائد المطولة مثل «ليالى القاهرة» و«السراب» و«الأطلال» و «الخريف»، ويشتمل هذا الديوان - ضمن ما يشتمل عليه - على قصيدتين من قصائد المديح قالهما الشاعر فى مناسبتين، أولاهما عيد تتويج الملك فاروق ملك مصر في ذلك الوقت، وثانيتهما عيد الميلاد الملكى «السعيد». وقد سبق أن أشرت إليهما ويتضمن الديوان أيضا عددا من قصائد «الاخوانيات» معظمها وجهه الشاعر إلى معالى «ابراهيم الدسوقى أباظة باشا، كما أن بعضها موجه إلى «عزيز باشا أباظة» بمناسبة زيارته لبيت الشاعر.

والحق أنه على الرغم من أن «ليالى القاهرة» قد تضمن عددا وفيراً من روائع ناجى إلا أن طريقة إخراجه نفسها كانت بالغة السوء، فضلا عن أنه يحفل بالأخطاء المطبعية التى يقل وجودها فى ديوانه الأول.

• «الطائر الجريح» - الديوان الثالث

في عــام ١٩٥٧، وليس فـي عــام ١٩٥٣ - كــمــا توهم أحــد البــاحـثين وهو الدكـتـور طـه وادي - صـدر الديوان الثـالث لناجى بعـد أربعـة أعـوام مـن رحيـله عن عـالمنا، وقـد جـمع قصائد هذا الديوان الذى حمل عنوان إحدى قصائده «الطائر الجريح» صديق من أخلص أصدقـاء ناجى هو الشاعر الراحل أحـمـد رامى، وتصــدرت ديوان «الطائر الجـريـح» مـقــدمـة مقـتضـبة كـتبـها الشـاعر والمحـقق محـمد عـبدالغنى حـسن، وقصائد «الطائر الجريح» هى - في الواقع - عدد من القصائد التى لم ينشرها ناجى فى حيـاته ضمن ديوانه الثانى «ليالى القـاهرة»، كمـا أن عددا آخـر منهـا كان ناجى قـد كتـبه بعـد صدور «ليالى القاهرة»، وأعتـقد أن أحمد رامى قد تدخل فى بعض قـصائد «الطائر الجـريح» حيث تأكـد لى أنه قـد حذف عدة مقطوعات من بعض تلك القصائد.

• «ديوان ناجى» - الديوان الرابع الشامل

صدر «ديوان نـاجى» عام ١٩٦١، حيـث كـانـت «وزارة الثقافة والإرشاد القـومي» قد شكلت لجنة، كلفت - كما يقـول صالح

جودت في كتابه عن ناجى - ص ٥٧ - «بجمع تراث ناجى الشعزي المطبوع والمخطوط وشرحه وتنسيقه بغية نشره في ديوان واحد» .. وكان أعضاء تلك اللجنة شاعرين من أصدقاء ناجى هما أحمد رامى وصالح جودت وأستاذا جامعيا هو الدكتور أحمد هيكل فضلا عن الشقيق الأكبر للشاعر وهو محمد ناجى، وقد أنجزت اللجنة مهمتها التى كلفت بها فى شهر فبراير عام ١٩٦٠، وصدر ديوان ناجى بعد ذلك بعام، وقد أثار صدوره في ذلك الوقت ضجة صحفية اعتمدت على الإثارة اكثر مما اعتمدت على الدراسة المتأنية، وكان مثار تلك الضجة هو أن الديوان قد تضمن -خطأ- قصائد من شعر الدكتور كمال نشأت، نظرا لأن أعضاء اللجنة قد توهموا أنها لناجى، والواقع أن ديوان ناجى - منذ صدوره عام ١٩٦١ حتى الآن - لم يظفر بدراسة واحدة من الدراسات الموضوعية المتأنية بعد أن هدأت الضجة الصحفية، ولست أزعم أن العناية الإلهية قد أرسلتنى لأقوم بهذه الدراسة الموضوعية المتأنية، فالحق أن قصارى ما سأفعله الآن هو أن أبرز عددا من النقاط المتعلقة بتحقيق ديوان ناجى، وهى نقاط لم يشر إليها أحد من

قبلى ولو عَرَضاً على الرغم من اشتراك الكثيرين من النقاد والصحفيين فى أحداث الضجة التى أعقبت صدور الديوان، وقبل أن أبرز تلك النقاط أحب أن أبين تصورى الخاص لما سار عليه أعضاء اللجنة فى عملهم، ومن خلاله سيتضح للقارىء أن السبب الجوهري فيما وقع فيه هؤلاء الذين حققوا الديوان أنهم لم يوزعوا العمل عليهم توزيعا يحقق له الأسلوب العلمى، فأحمد رامى - فيما أتصور- اكتفى بما أسهم به من قبل فى جمع قصائد «الطائر الجريح» وكان بهذا عضوا شرفيا لا عضوا عاملا، وصالح جودت تحمل معظم أعباء العمل لكنه اعتمد كلية على ذاكرته، ويبدو أن صداقته الطويلة لناجى قد ملأته بالثقة فيما كان يذكره أو يجمعه، أما شقيق ناجى فقد كان عضوا صوريا يستمد عضويته من كونه شقيقا للشاعر فحسب دون ان يكون مؤهلا للقيام بتحقيق الأعمال الأدبية، ويكفى أنه هو الذى قدم لبقية الأعضاء قصائد كمال نشأت طالبا ضمها إلى ديوان ناجى على أساس أنها له وأنه صاحبها، ويبقى من الأعضاء الدكتور أحمد هيكل الذى امتلأت نفسه بالثقة - فيما أتصور - لأن اللجنة تضم معه

شاعرين صديقين لناجى إلى جانب شقيقه - ولهذا فانه لم يحاول ان يتثبت تثبتا علميا مما كان يذكره صالح جودت من أمور اعتمد فيها على ذاكرته وحدها.

وهكذا يمكن القول إن صالح جودت على وجه التحديد قد وقع فى الأخطاء التالية:

١ - ذكر فى هامش قصيدة «صخرة الملتقى» ان ناجى «نظم هذه القصيدة فى المنصورة حوالى عام ١٩٢٨» (ص ٢١٠ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجى قد نشر هذه القصيدة فى جريدة السياسة الأسبوعية» بتاريخ ٦ اغسطس ١٩٢٧، فكيف إذن نظمها حوالى عام ١٩٢٨؟.

٢ - ذكر فى هامش قصيدة «قلب راقصة» أن ناجى «نظم هذه القصيدة سنة ١٩٣٥، وكانت ملهمته فيها هى الراقصة كريمة أحمد» (ص ٢٦٧ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجى قد نشر هذه القصيدة ضمن قصائد ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد صدر الديوان في مايو ١٩٣٤، فكيف إذن نظمت القصيدة عام ١٩٣٥؟!.

٣ - ذكر فى هامش قصيدة «مرثية الشاعر الهمشرى» أن

ناجى نظم هذه القصيدة فى رثاء «محمد عبدالمعطى الهمشرى» الشاعر الذى رحل عن الدنيا وهو فى الثلاثين من عمره سنة ١٩٣٩» (ص ٢٧٢ من الديوان) والثابت من جميع المراجع التى تحدثت عن الهمشرى بما فيها كتاب صالح جودت نفسه «م .ع . الهمشرى - حياته وشعره» أن هذا الشاعر الرقيق قد غادر دنيانا عام ١٩٣٨.

ووقعت اللجنة - مجتمعة - فى الأخطاء التالية

١ - قال ناجى في البيت التاسع من أبيات قصيدته الشهيرة «العودة»:

أيها الوكر إذا طار الأليف

لا يرى الآخر معنى للسماء

وقد نشرت قصيدة العودة ثلاث مرات، وفيها هذا البيت بصورته التى قدمتها، فقد نشرت فى العدد التاسع من مجلة «الأسبوع» الصادر فى ٢٤ يناير ١٩٣٤، وكانت قد نشرت قبل هذا بعامين فى مجلة أبولو، وعلى وجه التحديد فى عدد سبتمبر ١٩٣٢ (ص٨٤) وقد نشرت

ضمن قصائد «وراء الغمام»، ومع هذا فإن البيت الذى ذكرته قد تغيرت صورته بتغيير «للسماء» إلى «للهناء» على الرغم من أن السماء أشمل وأعمق إذا صرفنا النظر عن الأمانة العلمية، وقد نشر البيت (ص ٣٩ من الديوان).

٢ - قال ناجى فى أحد أبيات قصيدة «السراب فى السجن» وهى «الجزء الثالث» مما يسميه شاعرنا «ملحمة السراب»:

يا عزيز الجنى عليك سلام
كيف جادت بقربك الأقدارُ؟

وقد نشر هذا البيت بصورته هذه ضمن القصيدة كلها مرتين، أولاهما فى العدد ٦٣٩ من مجلة الرسالة الصادر بتاريخ أول اكتوبر ١٩٤٥، وثانيتهما ضمن «ليالى القاهرة» الذى صدر كما بينت عام ١٩٥٠، ومع هذا فإن هذا البيت قد تغيرت صورته بتغيير لفظة «جادت» بلفظة «جاءت» على الرغم من أن اللفظة الأولى أكثر إيحاء وبالتالى أعمق شاعرية، وقد نشر البيت فى (ص ٦٠ من الديوان) وأصبح الشطر الثانى (كيف جاءت بقربك الأقدار؟).

٣ - نشر محققو الديوان هامشا ذيلوا به قصيدة «لقاء فى الليل» (ص ١٤٥) وهذا نصه: «فى هذا المقطع بيت ناقص، وقد وجدناه ساقطا من أصل القصيدة فى ديوان: «ليالى القاهرة» وهذا بطبيعة الحال غير صحيح، ففى صفحة ٢٢٦ من ديوان «ليالى القاهرة» كتب ناجى يقول ما نصه: «استدراك - فى صحيفة ٣٥ قبل البيت الأخير سقط من الطبع البيت التالى:

قلتُ اهدئى لِمَ ثورة الندم

كفاك ترتجفان يا أملى

وسنرى بعد قليل أن أحمد حجازي قد ولد خطأ خاصا من هذا الخطأ الذي وقعت فيه اللجنة!

٤- قال ناجي في قصيدة «انتظار» (ص١١٤من «وراء الغمام..»)

فتصطخب العواطف ساخرات

وتطعنني بأطراف الحراب

ولم يصحح الشاعر البيت بإبدال «العواطف» بلفظة «العواصف» لأنه كان قد ذكر هذا البيت مصححا فى نفس القصيدة، وبالتالى فإنه ترك أمر تصحيحه للقارىء الذكي، لكن أعضاء اللجنة لم يهتموا بتصحيح البيت وهذا ما يجده القارىء فى (صفحة ٣١٠ من الديوان) ..

٥ - ذكر محققو الديوان هامشا ذيلوا به قصيدة «إهداء ديوان» هذا نصه: «هذه القصيدة هى إهداء ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد أشرنا اليها في التمهيد لهذا الديوان الشامل (ص ٢٥٧ من الديوان) ، وهذا غير صحيح، فبالرجوع إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» وجدت أن ناجى قد نشر هذه القصيدة فى عدد السبت ٦ سبتمبر ١٩٣٠، وكان عنوانها «إهداء اشعار» وقد صدرها بقوله «طُلِبَ من الشاعر مجموعة من شعره فقدمها بالأبيات التالية»، ومن المعروف بالطبع أن ديوان «وراء الغمام» قد صدر في مايو ١٩٣٤ أى بعد نشر تلك القصيدة في السياسة الأسبوعية بخمس سنوات ..

٦ - ذكر محققو الديوان في الكلمة الموقعة باسم «اللجنة» (ص ٧ من الديوان): «أننا قد وضعنا في نهاية هذا الديوان فهرسا يسجل مصدر كل قصيدة ورقم صفحتها في المصدر»،

والباحث في نهاية هذا الديوان لا يستطيع العثور على هذا الفهرس مهما يطل به البحث، وبذلك تكون اللجنة قد ذكرت في مفتتح الديوان أنها ستنفذ أمرا، ووقع بعدئذ نوع من السهو أو النسيان، فأنساها أن تنفذ في نهاية الديوان ما ذكرته في المفتتح.

٧ - قدم شقيق ناجى إلى اللجنة قصائد من شعر الدكتور كمال نشأت، وطلب ضمها إلى ديوان ناجى على أساس أنها له وأنه صاحبها، ولم تحاول اللجنة التثبت من هذا تثبتا علميا، فكانت النتيجة أن اندست ست عشرة قصيدة لكمال نشأت في «ديوان ناجى»، خمس عشرة قصيدة منها نشرها الشاعر ضمن قصائد ديوانه «رياح وشموع» الصادر عام ١٩٥١، أما القصيدة السادسة عشرة فقد نشرها كمال نشأت في إحدى الجرائد اليومية كما يقول هو نفسه وهى قصيدة «يا مصر» كما أننى وجدتها منشورة فى مجلة الثقافة .. وقصائد كمال نشأت حسب ترتيبها فى ديوان ناجى هى: «انتظار القافلة» ص ٤٥، «بحيرة البجع» ص ٥٢،«رحلة في الظلام» ص ٧٨، «وداع - صورة جندى من هنود كشمير» ص ٩٨ «حديث فراشة» ص ١١١ «إلى البحر» ص ١١٤، «ربيعى» ص ١٦٢، «نسمة الفجر» ص ١٧٤،

«حديث فراشة القسم الثانى» ص ١٨٣، «رياح وشموع» ص ٢٠١، «لقاء» ص ٢٠٢، «يقظة الرماد» ص ٢١٥، «مارسيان» ص ٣٢٥ «عينان من العراق ص ٣٢٦، «نبع وقطرات» ص ٣٥٦ ومن المهم ذكر الصفحة التى نشرت فيها القصيدة الأخيرة فى ديوان كمال نشأت فقد نشرت في ص ٥٣، وقد ذكرت «اللجنة» (ص ٧ من الديوان) «اننا حرصنا على إثبات تواريخ القصائد التى استطعنا أن نظفر بتواريخها ومكان نظمها أيضا» والواقع أن القصائد المؤرخة والمذيلة بأماكن نظمها هى قصائد كمال نشأت الذى كان يحرص على إثبات تواريخ قصائده، وأماكن نظمها، أما شاعرنا ناجى فإنه لم يحرص على هذا فى أية قصيدة من قصائد دواوينه، ولكن ما سر وجود قصائد كمال نشأت لدى ناجى؟ الأمر بسيط، فقد قدم كمال نشأت - وكان معجبا بشاعرنا - مخطوطة ديوانه «رياح وشموع» لكى يكتب له مقدمة، وعندما طال انتظار كمال نشأت لها آثر آسفا أن ينشر ديوانه بدونها، وترك المخطوطة عند ناجى دون أن يطلبها منه وظلت بين أوراقه إلى أن رحل عن عالمنا وهنا قدمها شقيقه إلى اللجنة على أساس أنها له، وهذه القصة تذكرنا بقصة القصيدة المطولة التى كتبها بدر شاكر السياب

بعنوان: «بين الروح والجسد» والتى قيل أنها تناهز الألف بيت، فقد أرسلها السياب إلى على محمود طه ليكتب لها هو الآخر مقدمة، وإلي الآن لم يعثر عليها بين أوراق على محمود طه، والحق أنه كان ينبغى على اللجنة لاعتبارات فنية واضحة أن تميز بين قصائد ناجى وقصائد كمال نشأت، صحيح أن كمال نشأت كان متأثرا بناجى فى بعض قصائده، ولكن هذا التأثر لم يصل إلى حد عدم التمييز بين قصائد الشاعرين، وهناك قصائد أخرى تأثر فيها كمال نشأت أوضح التأثر بشعراء المهجر مثل قصيدة «ربيعى» و «نبع وقطرات» ولم يكن ناجى ممن تأثروا بشعراء المهجر فيما كتب، وهناك قصائد أخرى تتسم بغلبة الصور الحسية مثل قصيدة «فى معبد الليل» وهي مما لا يمكن لناجى أن يكتبه لأنها تخالف طبيعته ومن أبياتها:

فنام الضوء خجلانا على مصباح نشوان
قريرا لا تنبهه سوى أنات تحنان
وكان الليل مرتميا على النافذة الوسنى
تلصص خلسة يرنو إلى معبدنا الأسنى
فشاع السر بين الليل والأنجم والزهر
وإذا بالفجر بساما إلى الفين فى خدر

وهناك قصائد أخرى تتسم بتنويعات عروضية شكلية، لم يكن ناجى قد استخدمها فى قصائده ومنها «انتظار القافلة» و «مارسيان».

٨ - نسب محققو الديوان إلى ناجى أربعين بيتا ليست من شعره، وإنما هى من شعر على محمود طه، وهى أبيات قصيدة بعنوان «المرأة» (ص ١٧١ من الديوان) والحقيقة أن علي محمود طه قد نشر قصيدته هذه عدة مرات فى عدة مجلات قبل أن ينشرها فى «أرواح وأشباح» الذى صدر عام ١٩٤٢.

ومن العجيب، بل من الغريب أن صالح جودت ظل مصراً على الخطأ وأن الخطأ ليس خطأ بل إنه عين الصواب!، فبعد أن كتبت جريدة «أخبار اليوم» - عدد ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٦ عن هذا الخطأ واعتبرته فضيحة أدبية، فإن صالح جودت كتب مقالا فى مجلة «المصور» - عدد ٧ أكتوبر عام ١٩٦٦، وكان عنوان مقاله بالنص: « .. فالأبيات إذن لناجى، لالعلي محمود طه والفضيحة إذن ليست فضيحة لأحمد رامى وصالح جودت وأحمد هيكل الذين نشروا ديوان ناجى .. وإنما هى مردودة على من اخترعوها فى تجرد من النبل ..» ولو كان صالح جودت قد كلف نفسه أن يقلب صفحات «أرواح وأشباح» لعلي

محمود طه، لما كان قد كتب مقاله هذا، ولكان قد آثر الصمت تماما!! ..

٩ - كانت عملية جمع قصائد ناجى التى لم ينشرها في ديوانيه خلال حياته، تتم بطريقة مرتجلة، تعتمد على المصادفة وحدها، ولهذا نسى أعضاء اللجنة أن يجمعوا قصائد كثيرة من صفحات المجلات والجرائد، وقد قُدر لى أن أقوم جمع قصائد عديدة لم يدر ببالي ولا ببال غيري أنها راقدة في ثنايا تلك المجلات والجرائد، هذا بينما اعتمد اعضاء اللجنة على الذهاب إلى ملهمات ناجى لكى يسألوهن عما اذا كان شاعرنا قد نظم فيهن شعرا، ومن الملهمات اللائى ذهب إليهن اعضاء اللجنة كما يذكرون هم (ص ٥ من الديوان) الملهمة «سونيا التى قدمت لنا بعض مناديلها وأمشاطها وأتوجرافاتها، فجمعنا منها أربع قصائد نظمها ناجي فى جلسة واحدة، وتجدونها فى هذا الديوان، وهى «كيف أنساك؟» و «خشوع» و «عيد سونيا» و «دنيا» ..» ..

ولكى أبين خطورة الاعتماد على «الملهمات» وغيرهن فى مجال التحقيق العلمي للنصوص الأدبية، فإني أحب أن أشير إلى أن محققى الديوان قد نشروا بيتين لناجى

وذيلوهما بالهامش التالي «عن مخطوطة قدمتها إلينا الآنسة ضوحية كريمة الشاعر (ص ٢٢١)، والواقع أن هذين البيتين هما آخر بيتين من قصيدة نشرها ناجى فى العدد الخامس من المجلد الثالث عشر من مجلة «مجلتى» وهو العدد الصادر بتاريخ ٢٧نوفمبر ١٩٣٨ - (ص ٢١٩) والقصيدة بعنوان «بعد الشباب» ويمكن أن يطالعها القاريء كاملة نقلا عن: «مجلتى» ضمن «القصائد المجهولة» والواقع أن ناجى قد نشر هذه القصيدة مرتين أخريين بعد نشرها فى مجلة «مجلتى» إذ أنه نشرها في مجلة «الحديث» الحلبية ومجلة «الهلال»..

• «مختارات من قصائد ناجي»

في عام ١٩٧١ صدرت عن دار الآداب - البيروتية مختارات من قصائد ناجي، اختارها وقدم لها أحمد عبدالمعطى حجازى الذى تردى فيما ترددت فيه لجنة تحقيق «ديوان ناجى» على الرغم من أنه هاجم أعضاء تلك اللجنة - فى مقدمته - ونسب إليهم الإهمال ..

وقع أحمد عبدالمعطى حجازى فى أخطاء عديدة، لن أذكر هنا إلا أهمها:

١ - ذكر أحمد عبدالمعطى حجازى أن «ناجى كان يعمل طبيبا فى المنصورة حوالى عام ١٩٢٩» (ص ١٧ من ابراهيم ناجى - قصائد)، والواقع ان هذا غير صحيح فقد عمل ناجى طبيبا فى المنصورة عام ١٩٢٧.

٢ - قال أحمد حجازى «وناجى يعطي نفسه الحرية في أن يجعل التاء المنونة فى كلمة مثل «هادئة» قافية ..» (ص ٢٥ من ابراهيم ناجى - قصائد) والواقع أن التاء المنونة لا تسمى فى العروض قافية، وإنما يطلق عليها حرف الروي، ويمكن لحجازى الرجوع إلى أى كتاب فى العروض لكى يتثبت من هذا،

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذا المثال الذى استشهد به حجازى لم يتكرر مطلقا فى شعر ناجى كما بين حجازى، فضلا عن قبح حرف الروي بالصورة التى أورده بها ناجى، والتى جعلته لا يكرر هذا فى شعره مطلقا، وهذان هما البيتان اللذان جرى فيهما هذا:

وليبقَ يا هذى البحيرة فى حـــاليك ثائرة وهادئةْ

فى باسق للماء منعطفٍ فى رائعاتِ الصخر ناتئةْ

وهذان البيتان هما من قصيدة «البحيرة» المعربة (ص ١٣٩ من وراء الغمام).

٣ - قال أحمد حجازى إن ناجى «فى إحدى قصائده المكونة من مقاطع ثنائية يورد مقطعا مكونا من بيت واحد غير حريص على إكماله ببيت آخر لتظهر القافية» (ص ٢٥ من إبراهيم ناجى - قصائد)، وقد سبق أن ذكرت أن حجازى قد ولد خطأ خاصا من الخطأ الذى وقعت فيه لجنة تحقيق ديوان ناجى، فقد أشرت من قبل إلى الهامش الذى نشره محققو الديوان وذيلوا به قصيدة «لقاء فى الليل» وهذا نصه مرة أخرى: « فى هذا المقطع بيت ناقص، وقد وجدناه ساقطا من

أصل القصيدة فى ديوان «ليالى القاهرة» وهذا بطبيعة الحال غير صحيح، فالبيت الناقص أورده ناجي فى ص ٢٢٦ من ديوان «ليالى القاهرة» وذكر مستدركا أنه سقط من الطبع، ولكن المحققين لم يرجعوا إلى هذه الصفحة، وجاء أحمد حجازى فاعتمد عليهم ولم يرجع إلى ديوان «ليالى القاهرة»، ثم استنتج حجازى من هذا أن «هذا كله ما جر على ناجى سخط النقاد المتعصبين للقواعد كالدكتور طه حسين وجعلهم يحسبون إنهم أمام شاعر غير مكتمل الادوات» (ص ٢٦ من ابراهيم ناجى - قصائد) والواقع أن الدكتور طه حسين - كما هو معروف وكما بينت من قبل - لم ينقد ديوان «ليالى القاهرة» وإنما نقد ديوان «وراء الغمام» فحسب، بينما يرد البيت الذى توهمت اللجنة أنه ناقص فى ديوان «ليالى القاهرة»، ثم إننا لا نستطيع ان نقول عن شاعر إنه جدد فى قوافيه لمجرد إنه أورد بيتا واحدا فى مقطع ثنائي الأبيات على فرض صحة هذا، وهو غير صحيح، فلكى نتحدث عن تجديد شاعر ما فإنه لابد أن يكون لهذا التجديد خصائصه وسماته التى يكون بمقدوره من خلالها أن يشكل ظاهرة واضحة فى شعر هذا الشاعر، على أى حال فهذان هما البيتان

اللذاين يشكلان المقطع الثنائى لكى يتبين لحجازى أن المقطع ليس مؤلفا من «بيت واحد» كما ذكر:

قلتُ اهدئى لمَ ثورة الندمِ كفاك ترتجفان يا أملى
وأخذت أدفيء بردها بفمي لو تنفعنّ حرارةُ القُبلِ

٤ - ذكر حجازى أن ناجى «نشر فى عام ١٩٣٠ أولى قصائده «صخرة الملتقى» فى جريدة «السياسة الأسبوعية»، والحق أنى لست أدرى من أين أتى حجازى بهذا التاريخ؟ ... فقصيدة «صخرة الملتقى» منشورة فى عدد «السياسة الاسبوعية» الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧ - صفحة (٢٠) - كما ذكرت من قبل.

٥ - ذكر حجازى أن ناجى «توفى يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٣» (ص ٢٩ من إبراهيم ناجي - قصائد) وهذا غير صحيح، ولكن من الأمانة أن أقول إن كل المراجع التى ذكرت تاريخ وفاة ناجى قد وقعت فيما وقع هو فيه من خطأ باستثناء صالح جودت الذى قال «وتنتهى قصة الشاعر الخالد فى يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٥٣» (ص٢٣ من مقدمة ديوان ناجى) والواقع أننى راجعت أعداد شهر مارس من جريدة «الأهرام» لكي اتثبت من التاريخ الحقيقي لوفاة الشاعر إلى أن عثرت في

«الأهرام» عـدد ٢٥ مـارس ١٩٥٣ - ص ١١ على هذا النـعى: «أفـزع المحافل الطبية والأدبية بعد ظهـر أمس نبأ مفاجىء نعى اليها الطبـيب الشاعـر المغفـور له .. الدكتـور ابراهيم ناجى .. فكان للمصـاب فـيـه وقع أليم فى نفـوس مـقـدريـه من أصـدقـائه وعـارفيـه، لقـد وهب الفـقيـد حـياته للـطب والأدب فبـرع فى كليهـما وسـخر كفـايته فـيهمـا لخدمـة الانسانيـة والمثل الـعليا، فكان طبه مـلاذا المرضى من الفقراء والمحـتاجين، وكان شـعره إشـراقًا من وحى الروح الأمين، يهـدي إلـى الحق المبين وينيـر الطريق للحـائرين، وكـان الدكـتـور ناجى طبـيـبـا مـوظفـا فى مـصلحـة الـسكك الحـديدية وفـى وزارة الصـحـة وفى وزارة الاوقـاف، ثـم اعتـزل الخدمـة الحكومـية منذ شـهرين، بعـد ان ترك فى كل دائـرة من دوائـر عـملـه أثـرا مـذكـورا بالتـقـديـر والعـرفان على كل لسـان، ولن ينسى أحـد ممن عرفـوه ما كـان عليه من دماثة الخلق وفضيلة التواضع ورقـة الحاشية والسمو بالواجب إلى أعلى المراتب، طيب الله ثراه، وجعـل الجنة مثواه وألهم ذوية وأصدقاءه الصبر الجميل».

٦ - ذكـر حجـازى أن وزارة الثقـافـة «أصدرت عـام ١٩٦٠ ديوان نـاجى الكامل الذى ظهـرت به بضع عشرة قـصيدة من الأشـعار

الأولى للشاعر المصرى كمال نشأت نتيجة لاهمال المكلفين بجمعه وتحقيقه وهم أحمد رامى وصالح جودت والدكتور أحمد هيكل ومحمد ناجى شقيق الشاعر وكان ذلك سببا فى ضجة كبيرة».

والواقع أن الديوان صدر عام ١٩٦١ لا عام ١٩٦٠ كما أنه «لم تظهر به بضع عشرة قصيدة من الأشعار الأولى للشاعر المصرى كمال نشأت» فحسب، وإنما تضمن قصيدة «المرأة» وهى لعلى محمود طه وقد سبق أن بينت هذا.

٧ - على الرغم من أن أحمد حجازى نسب الإهمال إلى لجنة تحقيق ناجى. إلا أنه هو نفسه فقد تردى فيما تردت فيه اللجنة، إذ أنه ضمّن المختارات التى اختارها من قصائد ناجى قصيدة ليست له، وإنما هى لكمال نشأت!! (راجع ص ٧٩ من ابراهيم ناجى - قصائد) والقصيدة بعنوان «نبع وقطرات» ويمكن للقارىء الرجوع إليها فى ص ٥٣ من ديوان «رياح وشموع» للشاعر كمال نشأت، وكان حريا بحجازى بدلا من أن يشغل نفسه بالهجوم على غيره أن يشغل نفسه بقراءة القصيدة بتمعن، لكى يكتشف من خلال موضوعها ومن خلال صورها وتراكيبها اللغوية أنها لشاعر متأثر بشعراء المهجر

تأثرا واضحا، ففى القصيدة أنفاس من ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران بشكل خاص، وهذه بضعة أبيات منها:

كنت فى عمرىَ الغرير نهيرا   يرهب البحر ذا العباب العتى

ويخاف الأعماق فيه ويخشى   من فناء فى لجه الأزلى

فإذا بى الفناء والخلد والليـ   ـل وإشراقة الصباح الوضى

والذى يلمس الاله بجنبيه   يشيم الاله فى كل شى

فى ارتعاش الغصون فى بسمة   الطفل وفى آهة بقلب شجى

فى صلاة النساك فى حانة اللهـ   ـو وفى دمعة البيئس الرضى

والسعيد السعيد من وجد   الكون على قلبه الكبير النقى

إن القارىء لهذه القصيدة يلمس أن صاحبها يترسم خطى ميخائيل نعيمة فى قصيدة «كحل اللهم جفنى» على وجه التحديد، وهى إحدى قصائد ديوانه «همس الجفون»، ولا ننسى هنا رسالة الماجستير فى ذلك الوقت عن «شعر المهجر»، كما أن ناجى - فى شعره كله - لم يكن يلجأ إلى التصغير كأن يقول «نهير» بدلا من «نهر» أو «شجيرة» بدلا من «شجرة»، كما أن البيت الأخير من الأبيات التي أوردتها يشير إلى أن كمال نشأت كان معجبا

بقصيدة «صلوات فى هيكل الحب» للشاعر التونسى أبو القاسم الشابى، وهذا كله يجعل قصيدة كمال نشأت بعيدة الصلة عن روح شعر ناجى إذا ما أردنا أن نلتمس العذر لأحمد حجازى. ولكن ما الذى جعل حجازى يتردى فى كل هذه الأخطاء؟ السبب - فى اعتقادى الثابت - أنه تعجل كتابة مقدمته واختيار قصائد ناجى، فما كان منه إلا أن يلجأ إلى ديوان ناجى الذى حققته اللجنة، وكان ينبغى عليه فعلا أن يلجأ إلى دواوين ناجى نفسها، ويقارن بينها وبين ديوان ناجى، وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أن حجازى لم يرجع إلى دواوين ناجى نفسها، منها على سبيل المثال ورود الشطر الثانى من أحد أبيات قصيدة «العودة» على النحو التالى (لا يرى الآخر معنى للهناء)، وهذا مالا يجده القارىء فى ديوان «وراء الغمام» كما بينت من قبل فى معرض حديثى عن أخطاء اللجنة بل إن حجازى لم يهتم حتى بتصحيح الشكل فى هذا الشطر، فكلمة «الآخر» - وهى فاعل - تجىء مفتوحة لا مضمومة فى نص القصيدة من ديوان ناجى وحده، وهى تجىء على نفس الصورة الخاطئة فى مختارات حجازى، ومن دلائل

اعتماد حجازى على ديوان ناجى وحده، أن عبارات عديدة من عبارات صالح جودت فى مقدمته لهذا الديوان تندس فى ثنايا المقدمة التي كتبها حجازى، فضلا عن قصيدة كمال نشأت التى نقلها حجازى - بطبيعة الحال - من ديوان ناجى ..

• «فى معبد الليل» - الديوان الملفق»

فى أواخر عام ١٩٧٣ صدرت عن دار العودة البيروتية طبعات جديدة من دواوين ناجى «وراء الغمام» و «ليالى القاهرة» و«الطائر الجريح»، وقد وقعت الطبعات الجديدة فى أخطاء عديدة، لكن ما يهمنى الآن هو الإشارة إلى ديوان رابع بعنوان «فى معبد الليل» صدر عن نفس الدار البيروتية، والحق أن هذا الديوان ديوان ملفق بكل معنى الكلمة.

ماذا عن الديوان الملفق؟! .. يضم هذا الديوان خمسا وثلاثين قصيدة، أربع قصائد لم تنشر من قبل لناجى فى المجلات أو الجرائد الادبية وقد صدّر الناشر بهذه القصائد ديوان «فى معبد الليل» الملفق، وهى على النحو التالى: قصيدة «الى أميرتنا» وهى ثلاثة أبيات كتبها ناجى فى عيد ميلاد ابنته «أميرة» (الرابع عشر يوم ١٠/٤/١٩٤٦)، وقصيدة «إلى ابنتى» وهى تتضمن خمسة أبيات كتبها ناجى لابنته أميرة مثل سابقتها وقصيدة «أبد الخلود» وقد كتب تحتها هامش هذا نصه: «عندما زارت الشاعرة نازك الملائكة الدكتور ناجى فى مصر أهدى إليها ديوانه ليالى القاهرة وقد كتب «الإهداء» هذه

القصيدة التى أرسلتها الينا الشاعرة من جامعة الكويت»، ويتضمن هذا «الإهداء» الشعرى أربعة أبيات هى:

ما كان أقصر هذه من زورة　　ما أشبعتنا من بشاشة نازك

كلاً ولا روّى النهى من زهرة　　بالطهر تُفصح عن سمات ملائك

إنّا حمدنا لليالي أنها　　قد قربتنا من سن سمائك

إن كان أسعدنا الزمانُ بساعة　　فكأنها أبدُ الخلود حيالك

أما القصيدة الرابعة فهى قصيدة «تكريم» (ص ٧٣٢) وهى - كما يذكر الهامش المكتوب تحتها (قصيدة الدكتور ناجى فى الحفلة التى أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام المدرسة الحديثة تكريما لصاحب مجلة الحديث الحلبية الأديب الراحل سامى الكيالى سنة ١٩٣٢» ومطلعها:

نفدي النزيلَ ونكرِ مَنْ　　إن لم نكرمه فمَنْ؟

يبقى إذن من القصائد الخمس والثلاثين التى يضمها الديوان الملفق إحدى وثلاثون قصيدة جميعها - بلا استثناء - منقولة بنصوصها وهوامشها التى تعلق عليها من صفحات ديوان ناجى الذى حققه صالح جودت وشركاؤه، وهذه

القصائد مرتبة حسب أولويتها فى ديوان ناجى - فأولى القصائد «إلى أمينة» يجدها القارئ في ديوان ناجي - طبعة ١٩٦١ (ص ٥٤) والثانية «تحت الباب» يجدها القارىء فى ديوان ناجى - (ص ٩٠) والرابعة «عجبا» يجدها القارىء فى الديوان المذكور (ص ١٠١) .. وهكذا تتوالى القصائد دون إشارة ولو سريعة إلى المصدر الذى نُقلَتْ عنه نصوصها وهوامشها!! ..

وفيما يتعلق بقصيدة «فى معبد الليل» التى يحمل الديوان الملفق اسمها فإنها ليست من شعر ناجى، وإنما هي من شعر كمال نشأت كما سبق أن ذكرت وكررت، ومن الغريب أن هذا الديوان مايزال في المكتبات، بل إن «دار الشروق» في مصر قد أعادت طباعته!! أما ماهو أغرب، فيتمثل فيما ذكره الدكتور طه وادي في كتابه عن ناجي، حيث يؤكد أن ديوان «في معبد الليل» قد صدر عام ١٩٤٦ أي خلال حياة ناجي، وهذا التأكيد من جانبه فضيحة علمية بكل المقاييس!!

• قصائد مجهولة

فى سنة ١٩٧٨ صدر عن مكتبة مدبولى بالقاهرة كتاب «ابراهيم ناجى - قصائد مجهولة - جمعها وقدم لها حسن توفيق»، يضم هذا الكتاب خمسين قصيدة مجهولة لناجى، منها اثنتان وثلاثون قصيدة نشرت فى هذا الكتاب لأول مرة بعد أن قمت بجمعها من الجرائد والمجلات القديمة التى نشرت فيها،أما بقية القصائد الثمانى عشرة، فإن ناجى قد غير فى نصوصها المعروفة تغييرا كبيرا، بشكل يجهله تماما كل الذين لم تتح لهم فرصة الاطلاع على تلك النصوص عندما نشرها ناجى لأول مرة فى الجرائد والمجلات المختلفة، وقد تصدرت هذه القصائد مقدمة مطولة مستفيضة، بينت فيها - ضمن ما بينته - مصدر كل قصيدة من تلك القصائد، ولست أريد الحديث عن هذا الكتاب، حتى لا أتهم بمجاملة النفس، لكنى أكتفى هنا ببعض إشارات الآخرين إلى «قصائد مجهولة»، فقد تلقيت رسالة خطية من المهندس حسن ناجى، رأى -عبر سطورها- أن هذا الكتاب أعمق دراسة عن أخيه الدكتور إبراهيم ناجى، أما الشاعر والكاتب القدير كمال النجمى فإنه

أسعدنى حين كتب عن الكتاب مقالا مطولا على امتداد صفحتين فى مجلة «المصور» عدد ٨ سبتمبر عام ١٩٧٨، وفيه يقول: «هكذا كان شاعرنا ابراهيم ناجى .. ذكرته رحمه الله حين تلقيت ديوانه «الجديد» الذى جمع فيه الشاعر الكاتب حسن توفيق قصائد مجهولة من ناجى .. وكتب لها مقدمة طويلة ممتازة، بين فيها ما وقع من الخلط فى جمع شعر ناجى حين قامت بجمعه إحدى اللجان منذ سنوات، وقد أسدى الشاعر حسن توفيق إلى الشعر المصرى الحديث يدا بيضاء بما بذله من جهد كبير فى جمع هذه القصائد المجهولة التى استخرجها من الظلام كما تستخرج الجواهر من المناجم السحيقة» ..

وإذا كنت قد فرحت فرحا عميقا بعد صدور «قصائد مجهولة» إلا أن هذه الفرحة ما لبثت أن تعكرت، بل كادت أن تتبدد، منذ أن علمت أن أحد أصدقاء ناجى الحميمين وأحد المثقفين المصرين القلائل الذين يعملون فى صمت، وهو الكاتب وديع فلسطين، كان قد نشر عدة مقالات مطولة عن ناجى وعن شعره الضائع والمجهول فى مجلة «الأديب» البيروتية، وحين قرأت هذه المقالات بعد صدور

كتاب «قصائد مجهولة» أدركت مدى الخسارة التى لحقت بي ومدى الكسب المعنوي الذي كان يمكن أن يتحقق لو أتيح لى أن أتابع هذه المقالات قبل صدور كتابى هذا، وفى إحدى هذه المقالات يقول وديع فلسطين .. عدد أبريل ١٩٧٩ من مجلة «الأديب» .. «.. لا أريد أن أنتقص من قدر الجهد الذى بذله حسن توفيق، فالواقع أنه فى بحثه عن ناجى وفى جريه وراء شعره الضائع قد صادفه التوفيق، ولكن من الخطأ القول أن الخمسين قصيدة الواردة فى كتابه هى كل شعر ناجى الضائع، فلا بد لأى دارس من أن يضيف إليها ما سبق لي جمعه، ولابد كذلك من التنقيب عن جديد من شعر ناجى الضائع استكمالا لديوانه الذى أصابه النحس منذ صدوره ..».

والواقع أنى لم أقل إطلاقا إن قصائد ناجى المجهولة تتمثل فى خمسين قصيدة، بدليل أننى سعيت - فيما بعد - إلى الاستاذ وديع فلسطين، واستفدت من مقالاته أكبر فائدة، وظللت أعاود البحث بكل ما أوتيت من جهد ومن طاقة، إلى أن أصبحت القصائد المجهولة التى ضمتها «الأعمال الشعرية الكاملة» مائة قصيدة وقصيدة، في

طبعة المجلس الأعلى بمصر سنة ١٩٩٦ أى أنها تضاعفت من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة، ومع كل هذا فإنى أعتقد بضرورة وجود قصائد أخرى مجهولة وإن تكن قليلة، لكنى لم أستطع الوصول إليها وقتها..

• الأعمال الشعرية الكاملة

مع أنى أدرك أن الكمال لله وحده، على اعتبار أن أىّ جهد بشري لا بد أن تشوبه نقائص وسلبيات، إلا أننى أستطيع القول، وأنا مطمئن إلى ما أقول، إن ما يشتمل عليه المجلد الذي صدر عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر سنة ١٩٩٦. هو الذى نستطيع أن نسميه «الأعمال الشعرية الكاملة» للشاعر الرقيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجى ..

تضم «الأعمال الشعرية الكاملة» التي صدرت سنة ١٩٩٦ دواوين وقصائد ناجى على النحو التالى:

١ - «وراء الغمام» - وهو الديوان الأول للشاعر، والذى أصدره فى مايو عام ١٩٣٤، وقد اعتمدت فى تلك «الأعمال الشعرية الكاملة» على نسخة الطبعة الأولى التى تضمها مكتبتى

الخاصة، والتى كتب عليها ناجى إهداء بخط يده لأحد مفتشى وزارة المعارف، كما سبق أن أشرت، وقد حرصت على إثبات مقدمة أحمد الصاوى محمد للديوان وقصيدة «إلى ناجى الشاعر» التى تتصدر الديوان والتى كتبها الدكتور أحمد زكى أبو شادى تحية لناجى ..

٢ - «ليالى القاهرة» - وهو الديوان الثانى للشاعر، والذى أصدره عام ١٩٥٠ وليس عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، كما سبق أن بينت بالدليل القاطع، وقد اعتمدت فى تلك «الأعمال الشعرية الكاملة» على نسختى من الطبعة الأولى التى تضمها مكتبتى الخاصة، والتى كنت قد حصلتُ عليها - هدية - من مكتبة مدرسة روض الفرج الثانوية أيام أن كنت طالبا بها، وقد حرصت على إثبات مقدمة إبراهيم الدسوقى أباظة «باشا» التى تتصدر الديوان، كما أننى لم أسقط القصيدتين اللتين كتبهما ناجى عن الملك فاروق الأول فى عيد ميلاده، وعيد تتويجه، حيث حرصت على إثباتهما كما وردتا فى الطبعة الأولى.

٣ - «الطائر الجريح» - وهو الديوان الثالث للشاعر، والذى صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٧ عن دار المعارف بمصر ضمن

سلسلة «فى ظلال الوحى» وليس عام ١٩٥٣ كما ذكر الدكتور طه وادي، وقد اعتمدت فى «الأعمال الشعرية الكاملة» على النسخة التى تضمها مكتبتى الخاصة من هذه الطبعة الأولى، وحرصت على إثبات المقدمة التي كتبها محمد عبدالغني حسن لهذا الديوان، كما أننى أضفت الأبيات التى كان أحمد رامى قد حذفها من بعض تلك القصائد، أثناء جمعه لقصائد هذا الديوان.

٤ - «قصائد من ديوان ناجى» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الرابع للشاعر، أما القصائد التى يشتمل عليها فهى القصائد المتبقية من «ديوان ناجى» الذي حققته اللجنة المكونة من صالح جودت وأحمد رامى والدكتور أحمد هيكل ومحمد ناجي، وهذه القصائد المتبقية هى التى لم تضمها دواوين «وراء الغمام» و«ليالى القاهرة» و «الطائر الجريح» وعدد هذه القصائد التى جمعها أعضاء تلك اللجنة ثمان وعشرون قصيدة، أضيفت إليها أربع قصائد هى «إلى أميرتنا» و «إلى ابنتى» و «أبد الخلود» و«تكريم» وهى القصائد التى كان الناشر - دار العودة البيروتية - قد أضافها إلى القصائد الثماني والعشرين التى جمعها اعضاء اللجنة، ثم أصدرها مجتمعة

تحت عنوان «فى معبد الليل» والذى سبق أن ذكرت أنه ديوان «ملفق»، وبهذا يكون مجموع «قصائد من ديوان ناجى» الذى تضمه «الأعمال الشعرية الكاملة» اثنتين وثلاثين قصيدة، وقد اعتمدت على الطبعة الأولى من «ديوان ناجى» الذي استعرت نسخة منه من الأستاذ وديع فلسطين بعد ضياع نسختى الخاصة، كما اعتمدت على نسختي الخاصة مما سماه ناشره «فى معبد الليل».

٥ -«قصائد مجهولة» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الخامس والأخير للشاعر، وقد صدر «قصائد مجهولة» فى طبعته الأولى عام ١٩٧٨ بعد ان جمعت قصائده وقمت بتحقيقها وكتبت لها مقدمة علمية مطولة، وصدرت طبعة أخرى من «قصائد مجهولة» فى بيروت عن «المركز العربى للثقافة والعلوم»، دون استئذان أو موافقة منى على صدورها، أى أنها صدرت فى إطار القرصنة الأدبية! وهذه الطبعة ليست مؤرخة، وقد اشتريت نسخا منها من عدة مكتبات فى بغداد عندما كنت أزورها عام ١٩٨٥.

كان ديوان «قصائد مجهولة» فى طبعتيه الأولى والثانية المزورة يضم خمسين قصيدة مجهولة، أما «قصائد مجهولة»

الذى اشتـملت عليه الأعمـال الشعرية الكاملة، فـإنه يضم مائة قصيدة وقصيـدة..

وقد قـمت بترتيب «قصـائد مجهـولة» ترتيبا تاريخـيا أى أن القارئ لهـا يجد قصـائد لناجى كتـبها من عـام ١٩٢١ وهو العام الذى سبق تخرجـه من «مدرسة الطب السلطانية» وحـتى شهر فبـراير عام ١٩٥٣ أى قبلَ رحيله عـن عالمنا بشهر واحـد، حيث أنه قد رحل عن عالمنا - كما نعرف - يوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٣.

وتشـتمل الأعـمال الشـعرية الكاملة» التي صـدرت عن المجلس الأعلى للثـقافة في مـصر على ثلاثمـائة وسبع عشـرة قصـيدة على النحو التالى:

١ - ديوان «وراء الغمام» - يضم أربعا وخمسين قصيـدة،

٢ - ديوان «ليالى القاهرة»- يضم أربعا وسبعين قصيـدة.

٣ - ديوان «الطائر الجريح»- يضم ستا وخمسين قصيـدة.

٤ - «قصائد من ديوان ناجى» - يضم اثنتـين وثلاثين قصيدة .

٥ - «قصائد مجهولة» - يضم مائة قصيدة وقصيـدة.

واذا كنت قد جمعت -وقتها- مائة قصيدة وقصيـدة، وكانت قصائد ناجى كلها (٣١٧) قصيدة، فهذا يعنى أننـى قد جمعت ما يقـرب من ثلث قصائد ناجى التى اشتـملت

عليها «الأعمال الشعرية الكاملة». وقد راعيت أن أثبت تاريخ نشر أو كتابة كل قصيدة من القصائد المجهولة فى الهامش الخاص بكل منها، أما تفاصيل المصادر المتعلقة بتلك القصائد، فإنها موجودة بصورة مفصلة ومستقلة لكى يتابعها الباحثون والدارسون إذا شاءوا أن يتابعوا.

وإذا كانت الطبعة التى صدرت عن «المجلس الأعلى للثقافة» في مصر، هى الطبعة التى نستطيع التى نسميها «الأعمال الشعرية الكاملة» لإبراهيم ناجي، فإن الجهد الذي قمت به هو بطبيعة الحال جهد فردي، وليس جهد «لجنة» كاملة تتألف من عدة أفراد!

لكن الجهد الفردى الذى قمت به لم يكن ليتحقق على النحو الذى تحقق به، لولا مساعدات وتشجيع كثيرين من الذين يعشقون ناجى، ولا بدلي هنا من الاعتراف بفضل الإنسان الرائع الكاتب وديع فلسطين الذى فتح لى آفاقا كبيرة، وأعارنى الكثير من الكتب التى طلبت منه أن يعيرنى إياها، كما أن مقالاته التى كتبها فى مجلة «الأديب» اللبنانية عن ناجى قد أفادتنى كثيرا، والحق أن

وديع فلسطين لم يبخل بوقته وجهده تجاه تلك «الأعمال الشعرية الكاملة» حيث كان يفتح لى قلبه وبيته لأنقب فى مكتبته الخاصة العامرة، ولأستوضحه فيما كان غامضا من أمور تتعلق بناجى، ولا بد أن أذكر هنا شقيق ناجى الراحل - المهندس حسن ناجى الذى استقبلنى فى بيته وأعارنى دراسة مخطوطة عن ناجى، كان قد كتبها الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحى، وهى دراسة أفادتنى وجمعت منها عدة قصائد مجهولة، ولابد أن أشكر السيدة الأستاذة عفت عبدالعزيز ناجى التى اهدتني مقالا نقديا مخطوطا بخط ناجى، وهو مقال مكتوب على أوراق عيادته الطبية ويتعلق بالنقد الأدبى فى تراثنا القديم، كما أتوجه بالشكر لوالدتها الجليلة السيدة جمالات مظهر التى أهدتنى صورة لناجى كان قد كتب عليها قصيدة بخطه، ويرجع تاريخ هذه القصيدة المجهولة إلى شهر سبتمبر عام ١٩٢٤.

ولابد أن اذكر هنا أني كنت أصل الليل بالنهار، إلى أن فرغت من هذه الدراسة يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٩٥، لكي تصدر الطبعة الأولى من «الأعمال الشعرية الكاملة» يوم

٢٤ مارس عام ١٩٩٦ والذي وافق الذكرى الثالثة والأربعين لرحيل الشاعر الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي، وهذا ما كان بحمد الله، وأترك القارئ الآن يستمتع بهذه «الأعمال الشعرية المختارة» من روائع ناجي وقصائده «المجهولة على حد سواء.

«حسن توفيق»



من روائع إبراهيم ناجي

- خمس وعشرون قصيدة -



العـــودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها)

هذه الكعبـةُ كنّا طائفيها
والمصلينَ صباحاً ومساءَ
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها
كيف بالله رجعنا غرباءَ

***

دارُ أحلامي وحبي لقيتْنا
في جمود مثلما تلقى الجديدْ
أنكرتْنا وهي كانتْ إن رأتْنا
يضحك النورُ إلينا من بعيدْ

***

رفرف القلبُ بجنبي كالذبيحْ
وأنا أهتفُ: يا قلبُ اتئدْ

فيجيب الدمعُ والماضي الجريحْ
لَمِ عُدنا؟ ليت أنّا لم نعُدْ!

***

لَمِ عُدنا؟ أو لَمْ نَطوِ الغَرَامْ
وفَرَغْنَا مِن حنينٍ وألمْ
ورَضينا بسكونٍ وسلامْ
وانتهينا لفراغٍ كالعَدَمْ؟!

***

أيها الوكرُ إذا طارَ الأليفْ
لايَرَى الآخرُ معنى للسماءْ
ويَرَى الأيام صفراً كالخَريفْ
نائحاتٍ كرياح الصَّحراءْ

***

آهِ ممّا صنعَ الدهر بنا
أو هذا الطلل العابس أنتَ!
والخيال المطرق الرأس أنا
شدَّ مابتنا على الضنك وبِتّ

***

أين ناديك وأينَ السمرُ

أين أهلوك بساطاً وندامى

كلما أرسلتُ عيني تنظرُ

وثب الدمعُ إلى عيني وغاما

***

موطن الحسن ثوى فيه السأمْ

وسَرَتْ أنفاسُه في جَوِّه

وأناخ الليلُ فيه وجثمْ

وجرَتْ أشباحُه في بهوِه

***

والبلى! أبصرته رأيَ العيانْ

ويداه تنسجان العنكبوتْ

صحت! ياويحك تبدو في مكانْ

كل شيء فيه حيٌ لا يموت!

***

كل شيء من سرور وحَزَنْ
والليالى من بهيجٍ وشجِى
وأنا أسمع أقدامَ الزمنْ
وخطى الوحدةِ فوق الدرجِ

***

ركنَى الحاني ومغنايَ الشفيقْ
وظلال الخلد للعاني الطليحْ
علم الّله لقد طال الطريقْ
وأنا جئتك كيما أستريح

***

وعلى بابك ألقى جَعبتى
كغريبٍ آبَ من وادى المحن
فيك كفُّ الّله عنى غربتي
ورسَا رحلي على أرض الوطنْ!

***

وطني أنتَ ولكنى طريد
أبدىُّ النفي في عالَمِ بؤسي!
فإذا عدتُ فللنجوى أعودْ
ثم أمضي بعد ما أفرغ كأسي!

المآب

(رفيق من رفاق الصبا رآه الشاعر عليلاً محمولاً بعد غربة طويلة)

لِمنَ العيونُ الفاتراتُ ذبولاً
ومَنِ الخيالُ موسَّداً محمولاً
ياهمَّ قلبى في صِبا أيامِه
وسهادَ عينى في الليالى الأولى
عيناى كذّبتا وقلبى لم تَدَعْ
دقاتُه شكاً ولا تأويلا
يا أيها الملكُ العليلُ أفِقْ تجدْ
مضناك بين العائدين عليلا

***

يوم المآب كم انتظرتُك باكياً
وبعثتُ أحلامي إليك رسولا
خاطبتُ عنك فما تركت مخاطباً
وسألتُ حتى لم أدَعْ مسئولا

اغـرقـت في الأمل الجـمـيل فـلم أدع

مـتـخـيّـلاً عـذبـاً ولا مـأمـولا

وبـكـيـت مـن يـأسى عـلـيـك فـلـم أذرْ

عند المحـاجـر مـدمـعـاً مـبـذولا

وأسـائـل الـزمـن الخـفـيّ لـعله

يـشـفـي أوامــاً أو يبـلُّ غـليـلا

«يـا أيـهـا الـزمـن الذى أسـراره

لا تسـتطيع لهـا العـقـول وصـولا»

«بـالـلـه قُـلْ أوَمـا وراءك لحـظـة

جـمـعت خـليـلاً هاجـراً وخـليـلا؟»

هى لحـظةٌ وهى الحـيـاة ومَنْ يـعشْ

من بعـدها يجـد الحـيـاةَ فـضـولا

مـرَّ الـظلام وأنـت ملء خـواطري

ودنا الـصـبـاحُ ولـم أزل مـشـغـولا

وأتى الـنـهـار عـلي فـتى أمـسي بما

حـمـلَ النهـار مـن الشـئـون مـلولا

وكـذا الحـيـاة تُملُّ إن هى أقـفـرت

ممن يـهـوّن عِـبـأها المحـمـولا

كــــدٌ علـى كـــدّ ولست ببـــالغ

إلا ضَنًى مـتـتـابعـاً ونحــولا

صـــدأ الحـــوادث بـدّل الإشـــراقَ في

فكـري وكــدّر خـاطري المصـقـولا

وتتـــابع الأنواء فـي أفق الـصّــبــا

لم يُبق لى صـحـواً أراه جـمـيـلا

ذهب الصــبـا الـغـالى وزالت دوحـةٌ

مَـــدّتْ لنا ظِلّ الوفــاء ظليـــلا

أيام يخــــذلنى أمـــامَك منطقى

فـــإذا سكتُّ فكل شيءٍ قــيـــلا!

ويثــوربي حــبي فـإنْ لفظٌ جـرى

بفـمي تعـثـر بالشــفـاه خـجـولا

يا مَـن نزلـت بنبــعــه أرِدُ الهــوي

فــأذا قنيــه مـحطمـاً ووبيـــلا

مـا راعنـى مـاذقـتُـه وخـشـيتُ أن

ألـقـــاك بالداء الدفين جـــهــولا

فـأشـدّ مــا عـانى الفـؤادُ صـبـابة

شَـبَّتْ وظل دفـينُهـا مـجـهـولا!

ساعة لقاء

يا حبيبَ الروح يا روحَ الأماني

لستَ تدرى عطش الروح إليكا

وحنينى في أنينٍ غير فاني

للردى أشربُه من مقلتيكا

***

آهِ من ساعة بثٍ وشجونْ

ولقاء لم يكنْ لى في حسابْ

وحديثٍ لم يَدُرْ لى في الظنونْ

يا طويلَ الهجر يامُرَّ الغيابْ

***

حلّ يا ساحرُ صفوٌ وسلام

بعد فتك البين بالقلب الغريبْ

ودنا روضٌ وظلٌّ وغمامْ

بعد فتك النارِ بالعمر الجديبْ!

***

مرَّت الساعةُ كالحلم السعيدْ

ومشت نشوتها مشى الرحيقْ

ذهبَ العمر، وذا عمرٌ جديدْ

عشتُه من فمك الحلو الرقيقْ!

***

مرَّت الساعةُ والليلُ دنا

والهوى الصامتُ يغدو ويروحْ

وتلاشتْ واختفتْ أجسادنا

واعتنقنا في الدُّجى روحاً بروحْ

***

تسمع الشعر وشعرى منك لكْ

وبإلهامك أبدعتُ الرويّ

أنت يا معجزة الحسن مَلَكْ

كل لفظ منك شعر قدسيّ

***

كيف يفنىٰ ما كتبناه بنارْ

وخططناه بسهد ودموعْ

يشهد الليل عليه والنهارْ

والشهيد المتواري في الضلوعْ

***

التقتْ أرواحنا في ساحةٍ

كغريبَيْنِ استراحا من سفَرْ

وحططنا رحلنا في واحةٍ

زادنُا فيها الأماني والذكَرْ

***

وتساءلت عن الماضى وهلْ

حسنت دنياى في غير ظلالكْ

يا حبيبي! أين أمضى من خجلْ

وفؤادى أين يمضى من سؤالِكْ

***

شدَّ ما يخجلني جهد المُقِلّ

مِن شبابٍ ضاع أو من نور عينِ

يتمشى السقمُ في قلب الأجلْ

وأراني لك ما وفيتُ دَيْني

***

أنا شاديك ولحنى لك وحدكْ

فاقض ما ترضاه في يومى وأمسى

درج الدهر وما أذكر بعدَكْ

غير أيامِكَ يا توأم نفسى!

***

وأنا الطائرُ! قلبي ما صَبَا

لسوى غصنك والوكر القديمْ

مـــا تبـــدّلـنا! ولا حــال الصِّــبَــا

والـهـــــوى الطاهـر والـودّ الـكـريمْ!

***

لـم تَـزُلْ ذكــــــراه مـن بـالى وبـالِـكْ

كـيـف ينسى الـقلبُ أحـلامَ صــبـاهْ؟

قـد صَحَتْ عـينى على فـجر جمـالِكْ

كـيف يُنسى الفـجـرُ يا فـجرَ الحـيـاهْ؟!

النــاى المحــترق

كم مـرّة يـا حـبـيـبـى والليل يغـشى الـبـرايا

أهيم وحــدِى ومــا في الـظلام شــاكٍ ســوايا

أصـيّــر الدمع لحـنـاً وأجـعل الـشـعــر نـايا

وهل يـلبـي حطـام أشــعلتــه بجــوايـا

النـار توغل فــيــه والـريح تذرو البــقــايا

مـــا أتـعس الـنـاى بين المنـى وبين المـنايـا

يشــدو ويـشـدو حــزينـاً مــرجّـعــاً شكوايا

مــسـتــعـطـفـاً من طـويـنـاً على هواه الـطوايا

حــتى يلوح خــيــالٌ عــرفـتــه في صــبــايا

يدنــو إلىَّ وتدنـو من ثـغــره شــفـــتــايا

إذا بحلمى تلاشى واســتــيـقـظتْ عــيـنايا

ورحت أصــغي وأصــغي لـم ألفِ إلاَّ صــدايا!

الـــــوداع

حـــان حـــرمـــاني ونـاداني النذيرْ
مـــا الذي أعــددْتَ لي قــبل المسـيرْ
زمني ضـــاع ومــــا أنصـــفْــتَني
زاديَ الأول كـــــالزاد الأخــــيــــرْ
ريّ عُــمــــري من أكـــاذيبِ المنى
وطعـــامي من عــفــافِ وضــميـرْ
وعــلى كـــــــفك قــلـبٌ ودمٌ
وعلى بابك قـــيـــدٌ وأســـيـــرْ!

***

حـانَ حـرمـاني فـدعـني يا حـبـيـبي
هذه الجـنةُ ليـــست من نصـــيـــبي
آه مـن دارِ نـعـــــيـمٍ كـلمــــــا
جـئـتـهـا أجـتـاز جـسـراً من لهـيبِ
وأنـا إلـفـك في ظل الـصّـــبـــا
والشـبـاب الغض والعـمـر القـشـيبِ

أنزلُ الـربوةَ ضـيـفـاً عـابـراً

ثم أمـضي عنك كـالـطيـر الغـريبِ

***

لِمَ يا هاجـرُ أصـبـحتَ رحـيـمـا

والحنـان الجمّ والرقـة فـيـمـا؟!

لِمَ تـسـقـينيَ مـن شـهـد الرضـا

وتـلاقـيـني عطـوفـاً وكـريما؟

كـلُّ شيء صـارُ مـراً في فـمـي

بعـد مـا أصـبحتُ بالدنيـا عليـمـا

آه مَـن يأخـذُ عـمـري كلَّه

ويعـيـد الطفـلَ والجـهـلَ القـديما!

***

هـل رأى الحبُّ سكـارى مـثـلـنـا؟!

كم بـنيـنـا مـن خـيـالٍ حـولـنـا!

ومـشـينا في طريـقٍ مـقـمـرٍ

تثـب الفـرحـةُ فـيـه قـبلـنـا!

وتـطـلـعـنـا إلـى أنجـمـه

فـتـهـاوينَ وأصـبـحنَ لـنـا!

وضحكنا ضِحْكَ طفلين معاً

وعدَوْنَا فسبقنا ظلنا!

***

وانتبهنا بعد مازال الرحيق

وأفقنا. ليتَ أنَّا لا نفيقْ!

يقظةٌ طاحت بأحلام الكَرَى

وتولّى الليلُ، واللّيل صَدِيقْ

وإذا النُّور نَذيرٌ طَالعٌ

وإذا الفجر مُطِلٌّ كالحَرِيقْ

وإذا الدُّنيا كما نعرفها

وإذَا الأحْبابُ كلٌّ في طَريقْ

***

هاتِ أسعدني وَدَعْني أسْعدُكْ

قدْ دنا بعدَ التّنائي موردُكْ

فأذقنيه فإني ذاهبٌ

لا غَدِى يُرجَى ولا يُرجَى غَدُكْ

وابلائي من لياليِّ التي

قرَّبَتْ حَيْني وراحَتْ تبعدُكْ!

لا تَدَعْني للَّيالي فغداً

تجْرَح الفرْقة ما تأسو يَدُكَ!

***

أزف البينُ وقد حان الذَّهَابْ

هذه اللَّحظة قُدَّتْ مِن عَذَابْ

أزف البينُ، وهل كان النَّوى

يا حبيبي غير أن أغْلق بابْ؟!

مَضت الشَّمسُ فأمسيتُ وقد

أغلقتْ دونيَ أبواب السَّحابْ

وتلفَّتُّ على آثارهَا

أسْألُ اللَّيلَ! ومَنْ لي بالجوابْ؟!

--*

خواطر الغروب

قلتُ للبحر إذ وقفتُ مساءَ
كم أطلتُ الوقوف والإصغاءَ

وجعلتُ النسيم زاداً لروحي
وشربتُ الظلالَ والأضواءَ

لكأنَّ الأضواء مختلفات
جَعَلَتْ منكَ رَوْضةً غنّاءَ

مَرَّ بي عطرُها فأسكَرَ نفسي
وَسرَى في جوانحي كيف شاءَ

نشوة لم تطل! صحا القلب منها
مثلَ ما كان أو أشدّ عناءَ

إنما يفهم الشبيهُ شبيهاً
أيها البحر! نحن لسنا سواءَ

أنت باقٍ ونحن حرب الليالى
مَزَّقتنا وصيرتنَا هباءَ
أنت عاتٍ ونحن كالزبَدِ الذا
هبِ يعلو حيناً ويمضى جُفاءَ!
وعجيبٌ إليك يممتُ وَجهى
إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ
أبتغى عندك التأسِّي وما تمـ
ـلك رَدًا ولا تجيب نداءَ!

***

كل يومٍ تساؤلٌ ... ليت شعرى
مَنْ ينبى فيحسن الإنباءَ؟!
ما تقول الأمواج! ما آلَم الشمسَ
فولّتْ حزينةً صفراءَ
تركتَنا وخلّفتْ ليلَ شك
أبدىَ والظلمةَ الخرساءَ!

***

وكــأن الـقـــضـــاءَ يـســـخـــرمـنيٌ
حــين أبكــى ومـــــا عـــــرفتُ الـبكـاءَ
ويــح دَمــــعــى وويح ذلـة نــفــــسى
لَـم تَدَعْ لـى أحـــداثه كـــبـــريـاء!

--*

الغــــد

يـاحـنـانـاً كَــــيَــــدِ الآسى الـرؤوم
وشُـعـاعـاً يُشـتـهَى بعـد الـغُـيـومِ
أنا فـي بُعــدِكَ مــفـقــودُ الـهُـدَى
ضَــائعٌ أغـــشـــو إلى نورٍ كـــريمِ
أشـــتـــري الأحـــلامَ فى سُـوق الُمـنى
وأبيـعُ العُــمْــرَ فى سُـوق الـهُـمـومِ!
لا تَـقُلْ لـي في غـــدٍ مـــوعـــدُنـا
فــالـغــدُ الموعُــودُ نـاءٍ كــالـنـجـومِ!

***

أغـــداً قـلتَ؟ فـــعـلمـنّي اصطبـــاراَ
ليــتنى أخـتــصـرُ العُـمْـرَ اخـتـصاراَ
عَــــبَـــرَتْ بي نَـشــوةٌ مَن فَـــرحٍ
فَــــرَقَـــصنـا أنـا والقَـلبُ سكارَى

وعَــــــر انـا طَائفـاً مَـن خَـــــبَلِ

فــاندَفَــعنْـا في الأمــاني نتــبــارىَ

سنَذمُّ الـنـور حـــــتى يتَـــــلاَشى

ونـذمُّ الـليـلَ حـــــتى يتــــــوارَى!

***

انفــــردنـا أنا والـقلبُ عـــشـــيًّــــا

نَنسج الآمــــالَ والـنُّجْــوى ســـوياً

فـــركـــــبنـا الوهـمَ نـبـــغى دارَهـا

وطوينـا الـدهر والعـــالَـم طَيًّــــا

فـــــبلغـنـاها وهـللْنـا لهـــــا

ونـزلـنـا الخُلْدَ فــــــيـنـَانـاً نَـديًّا

ولقـــينـا الحـسـنَ غَـضّـاً والصـبـّـا

وتمـلَّيـنـا الجــــــــــلالَ الأبـديًّـا

***

قـــال لى القـلبُ: أحـــقّـاً مـــا بلغـنا؟

كـــيف نـام القَـــدَرُ السَّـــاهر عـنَّا؟

أتراها خدعةٌ حاقت بنا؟!

أتراها ظِنةٌ مما ظَننَّا؟

قلتُ: لا تجزعْ فكم من منزلٍ

عزَّ حتى صار فوق التمنِّي

أذِنَ اللهُ به بَعدَ النَّوى

فثوينا واسترحنا وأمِنَّا!

***

يا جِنانَ الخُلدِ قدَّمْتُ اعتذاري

إذ يَطوف الخلدَ سقمي ودماري

أيها الآمرُ في مُلْك الهوى!

اعفُ عن لهفةِ روحي وأواري

أشتهي ضمَّكَ حتى أشتقي

فكأني ظامىء آخذُ ثاري!

غير أني كلمَّا امتدتْ يدي

لعناقٍ خِفتُ أن تؤذيكَ ناري!

***

أيهـا النورُ سـلامـاً وخـشـوعـاً

أيهـا المـعـبَـدُ صَـمـتـا وركُـوعـا

مـلكـتْ قلبي ولُـبـيَّ رهـبـةٌ

عـصـفـتْ بالقلب واللُبَّ جـمـيـعَـا

رُبَّ قـولٍ كنتُ قـد أعـددتـهُ

لكَ إذ ألـقـاك يأبى أن يطيـعَـا

وحَـبـيـسٍ من عـتـابٍ في فـمي

قـد عـصـاني فـتـفـجـرْتُ دمـوعَـا!

***

لذعـتنى دمـعـةٌ تلفح خـدِّي

نبـهـتْنى من ضـلالٍ ليس يجـدي

واخـتـفـتْ تلك الرؤى عن نـاظري

وطواهـا الغـيبُ فى سِـحْـرىً بُردِ

وتَـلـفَّـتُّ فـلا أنـت ولا

جنةُ الخلد ولا أطيـافُ سَـعْـدِ

وإذا بـي غـارق فـي مـحـنَـتى

وبلائـي، أقـطـعُ الأيـامَ وَحْـدي

***

هاتِ قيثاري ودَعْني للخيالِ

واسقني الوهمَ! وعَلّلْ بالمحالِ!

ودَعِ الصدق لمن ينشده

الحجى خصميَ فاغمرْ بالضلالِ

وخُذ الأنوار عنّي، ربما

أجدُ الرحمة فى جوفِ الليالي

خلّنى بالشوقِ أستدني غداً

فغداً عندي كآبادٍ طوالِ!

فرحة جديدة

أدركتُ عندك يوميَ الموعودا
ولقيتُ فيكِ مثاليَ المنشودا
وافرحتي بك فرحةَ الطفل الذي
يلهو ويخلق كلَّ يومٍ عيدا
وافرحتي بكِ فرحةَ الطير الذي
ملأ الروابي المصغياتِ نشيدا
طربتْ لصدحته وصفق ظافراً
جذلانَ في عرض الفضاء سعيدا
في موكبٍ من قلبه وحبيبه
من راح تحسَبُه العيونُ وحيدا
وافرحتي بك فرحةَ الضال الذي
يطوي القفار اللافحاتِ شريدا
لاحت له بعد الهواجر أيكةٌ
غنَّاء تبسط ظلَّها الممدودا

ما أعجب الدنيا التي بعثَ الهوى

وأحالها روضاً أغرَّ جديدا

شتى غرائبها وأعجبها فتى

يغدو لهجته عليك حسودا

يتهالكانِ على جمالك صبوةً

يتنافسان ضراعةً وسجودا

يتنازعانك غيرةً وتغضباً

كلٌّ يراك حبيبَه المعبودا

ما أعجبَ الإيمان يغمر خاطري

كالفجر قد غمرَ السماءَ وئيدا

مزقتِ شكى فاسترحتُ لأعينٍ

علمتني الإيمانَ والتوحيدا

--*

إلــى س...

جـــئتُ أشكو لكِ روحى وجــواهـا

وردتْ ظمـــأى وعـــادت بـصـــداهـا

آه مـن عـــينكِ! مــــاذا صنعتْ

بغـريبٍ مـسـتـجيـرٍ بحـمـاهَا؟!

تبــعــتْــه تقــتــفى أحــلامَــهُ

كـلمـــا أغــــفى أطلّت فــــرآهـا

يـاســـــقى اللـه «لليـلى» أيـكةً

وجـــزاهـا الخَــيـــر عـنّا ورعـــاهَا

وغـــــذاهـا مـن أمـــــانيـنـا ومـن

حــبنا الشـهـدَ المصـفّى وسـقـاهَا

قـــربى عـــينكِ منـى قـــربـّى!

ظللينى واغــمـــرينى بـصــفـــاهَا

وأريــنـى هـدأةَ البـــحــــر إذا انْـ

ـبـســطَ البـحـــرُ جـــلالاً وتنـاهَى

وأرينى لجة السحر التى

ضلَّ فى أعماقها الفكرُ وتاها

ألمحُ اللؤلؤ فى أغوارها

وأرى الطيبةَ تطفو فى سناهَا

وأراها تَخبأُ الخلد لمن

باعَ دنياه وبالروح اشتراهَا!

***

نحن أرواح حيارى افترقتْ

ثم عادت فتلاقت فى شجَاهَا

سوف ينسى القلبُ إلاَّ ساعة

مِنْ رضا في وكرك الحاني قضاها

هتف القلبُ وقد حدثتني

أي ماضٍ كشفتْ لي شفتاها

هَمَستْ في خاطرى فاستيقظتْ

روحيَ الحيْرى وأصغتْ لنداهَا

فأنا إنْ لَمْ أكُنْ توأمَها

فكأنى كنتُ فى الغيبِ أخاهَا

نحن أرواحٌ حيارَى شملتْ

وانتشتْ سكرى على لحنِ أساهَا

قرِّبي روحكِ منى قربي!

ظلليني واغمريني برضاهَا!

وتعاليْ حدّثيني! حدّثي!

أنتِ مرآةُ شجوني وصَدَاهَا

فهَبيني ساعةَ الصفو التى

تقسمُ الأيامُ ما فيها سواهَا

ثم أمضي للحياةِ مرةِ

صبْحُها عندى سواءٌ ومساهَا!

الاطـــلال

«هذه قصة حب عاثر، إلتقيا وتحابا ثم انتهت القصة
بأنها هي صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح،
وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت»

يا فـــؤادي رحـمَ اللـهُ الهـــوى
كـان صـرحـاً من خـيـالٍ فـهـوَى
اســـقـني واشـــربْ عـلى أطلالـه
وارْوِ عـنـيَّ طـالـمـا الـدمـعُ روَى
كـيف ذاك الحبُّ أمْسى خـبـرا
وحـديـثـا من أحـاديث الجـوَى
وبســـــاطا مـن نـدامى حُـلُمٍ
هـم تـواروا أبـداً وَهْـوَ انـطـوَى ..

***

يا ريـاحـا لـيس يهـدأ عـصـفُـهـا
نضبَ الزيتُ ومـصـبـاحي انطَفـا
وأنـا أقـتـاتُ مـن وهمٍ عَـفَـا
وأفِي العـمـرَ لناسٍ..مـا وفَـى

كم تقلبتُ على خنجره
لا الهوى مال ولا الجفنُ غفا
وإذا القلبُ على غفرانه
كلما غاربه النصلُ عفَا

***

يا غراماً كان منى في دمي
قدرا كالموت أوفي طعمه
ماقضينا ساعةً في عرسه
وقضينا العمر في مأتمه
ما انتزاعي دمعة من عينه
واغتصابي بسمة من فمه
ليت شعري أين منه مهربي
أين يمضي هاربٌ من دمه

***

لست أنساك وقد أغريتني
بفمٍ عذب المناداة رقيقْ
ويد تمتد نحوى كيد
من خلال الموج مُدتْ لغريقْ

آه يا قِبلةَ أقدامي إذا
شكت الأقدام أشواك الطريقْ
وبريقاً يظمأُ الساري له
أين في عينيك ذياك البريقْ

***

لست أنساك وقد أغريتني
بالذرى الشم فأدمنتُ الطموحْ
أنت روحٌ في سمائي وأنا
لك أعلو فكأني محضُ روحْ
يالها من قممٍ كنّابها
نتلاقى وبسرّينا نبوحْ
نستشف الغيبَ من أبراجها
ونرى الناسَ ظلالاً في السفوح

***

أنت حُسن في ضحاه لم يزل
وأنا عنديَ أحزانُ الطفَلْ

وبقـــــايا الظل من ركب رحلْ

وخـــيــوط النور من نجمٍ أفلْ ..

ألمح الدنيـــا بعـــينيْ سـئمٍ

وأرى حـــوليَ أشـــبـــاحَ المللْ

راقـــصـــاتٍ فــوق أشــلاء الهــوى

مُــعْــولاتٍ فــوق أجــداث الأملْ

***

ذهب العـــمـــر هبـــاءً فـــاذهبي

لم يكن وعـــدُكِ إلا شـــبـــحَـــا

صـــفـــحـــة قـد ذهب الدهر بهـــا

أثبتَ الحبُّ عليـــهـــا ومـــجَـــا

انظري ضـحكي ورقــصي فَــرحَــا

وأنا أحــــمـلُ قلبــــاً ذُبحَـــا

ويراني الناس روحـــــاً طائرا

والجـــوى يطحنني طحنَ الرحَى!

***

كنت تمثالَ خيالي فهوى

المقادير أرادتْ لا يدي

ويحها لم تدرِ ماذا حطمتْ

حطمتْ تاجي وهدتْ معبدِي

يا حياةَ اليائسِ المنفرِدِ

يا يباباً ما به مِنْ أحدِ

يا قفاراً لا فحاتِ مابها

من نجيٍّ .. يا سكونَ الأبدِ ..

***

أين من عيني حبيب ساحر

فيه نبل وجلال وحياءْ

واثقُ الخطوة يمشي مَلَكاً

ظالمُ الحسنِ شهيُّ الكبرياءْ

عَبِقُ السحرِ كأنفاس الربى

ساهمُ الطرف كأحلامِ المساءْ

مشرقُ الطلعة في منطقه

لغةُ النور وتعبيرُ السماءْ

***

أيـن مــنـي مــــــجلس أنـتِ بـه

فــــــتـنَـةٌ تمَّتْ سـنـاءً وسـنى

وأنــــا حــــب وقــــلـــب ودمٌ

وفَـــــراش حــــائـر مـنـك دنـا

ومـن الـشــــوق رســـــول بيـنـنـا

ونـديمٌ قـــــــدَّمَ الـكأسَ لـنـا ...

وســـقـــانـا فــانتـــفـــضـنا لحظةً

لغـــــبــــارِ آدمي مَــــــسَّنـا!

***

قـــد عـــرفنا صــولةَ الجــسم التي

تحكـم الحيَّ وتـطغَى في دمــــاه

وســمــعنا صـــرخــةً في رعـــدها

ســـــوطُ جـــلادِ وتـعـــــذيبُ إلـه

أمــــرتنـا فـــعـــصــينـا أمــــرها

وأبيْنا الـذلَّ أن يغـــشَى الجـــبـــاه

حكـم الطاغي فكنَّا في الـعــصـــاه

وطُـردنا خلفَ أســـوارِ الحــيـــاه

***

يا لمنفيينِ ضلاً في الوعورِ
دمّيا بالشوكِ فيها والصخورِ ..
كلما تقسو الليالي عرفًا
روعةَ الآلام في المنفى الطهورِ ..
طرِدًا من ذلك الحلمِ الكبيرِ
للحظوظِ السودِ والليلِ الضريرِ
يقبسانِ النورَ من روحيهما
كلما قد ضنّت الدنيا بنورِ

***

أنت قد صيرت أمري عجَبا
كثرتْ حوليَ أطيارُ الرُبى
فإذا قلتُ لقلبي ساعة
قم نغردْ لسوى ليلى أبَي
حبٌ تأبى لعيني مأربا
غير عينيك ولا مطلبًا
أنتِ من أسدلها لا تدّعي
انني أسدلتُ هذي الحُجُبا

***

ولكم صاح بَي اليأسُ انتزعها
فيرد القدُر الساخر: دعها
يالها من خطة عمياء لو
أنني أبصر شيئاً لم أطعها
وليَ الويل إذا لبيتها
وليَ الويل إذا لم أتبعها
قد حَنَتْ رأسي ولو كلُّ القوى
تشتري عزةَ نفسي لم أبعها

***

يا حبيباً زرتُ يوماً أيكه
طائرَ الشوق أغنٌي ألمي
لك إبطاء الدلالِ المنعمِ
وتجني القادرِ المحتكمِ
وحنيني لك يكوى أعظمي
والثواني جمرات في دمي
وأنا مرتقب في موضعي
مُرهِفُ السمعِ لوقعِ القدمِ

***

قــــدمٌ تخطو وقلبي مــــشـــبـــهٌ
مـــوجـــة تخطو إلى شـــاطئـــهـــا
أيهــــــــا الـظالمُ بـاللّـه إلى كَمْ
أســفـح الدمـعَ على مـــوطـئـــهـــا
رحــــمـــةٌ أنـتَ فـــهل مـن رحـــمـــةٍ
لـغـــريـبِ الروحِ أوظـامـــئـــهـــا
يا شـــفـــاءَ الروح روحي تشـــتـكي
ظـلمَ آســـيـــهـــا إلـى بارئـهـــا ..

***

أعـطـنـي حـــــــريـتـي أطـلـق يـديّ
إننيَّ أعـطيتُ مــا اســتـبـقـيتُ شيّ
آهِ من قـــيـــدك أدمَى مـــعـــصـــمي
لـمَ أبقـــيـــه ومـــا أبـقَى عليّ
مــا احــتــفـاظي بعــهودٍ لـم تصنهـا
وإلامَ الأســـــرُ والـدنـيـــا لـديّ
ها أنا جَــفَّتْ دمـوعـي فـاعفُ عنـهـا
إنـهـــا قـــبـلك لم تُـبـــذَلْ لحيّ

***

وَهَب الطائرَ عن عشك طارا

جَفّتِ الغدرانُ والثلجُ أغارا

هذه الدنيا قلوب جَمَدت

خبت الشعلةُ والجمر توارى

وإذا ماقبسُ القلبِ غدا

من رمادٍ لا تسله كيف صارا

لا تسلْ واذكرْ عذابَ المصطلي

وهو يذكيه فلا يقبسُ نارا

***

لارعى الله مساءً قاسيا

قد أراني كل أحلامي سُدَى

وأراني قلبَ من أعبده

ساخراً من مدمعي سُخرَ العِدا

ليت شعري أيُّ أحداث جرتْ

أنزلت روحكَ سجنا موصدا

صدئتْ روحُك في غيهبها

وكذا الأرواحُ يعلوها الصدا

***

قـــد رأيتُ الكونَ قـــبـرا ضـــيـــقـــا

خـــيم الـيـــأسُ عـليـــه والسكوتْ

ورأتْ عـــيـني أكـــاذيبَ الهـــوى

واهيـــاتٍ كـــخـــيـوط العنكبـوتْ

كـــنـت تـــرثـــي لـــي وتـــدري ألــي

لورثـى للـدمع تمثـــالٌ صــمـــوتْ

عـند أقـــدامكَ دنيـــا تنتـــهي

وعـلى بـابـك آمـــــــالٌ تمـوتْ

***

كنتَ تـدعـــونيَ طفـــلا كلمـــا

ثـار حــــبي وتـنـدَّتْ مُـــــقـلي

ولـك الحقُّ لـقـــد عـــاش الهَـــوى

فيَّ طـفـــــلاً ونمَا لـم يعـــــقـلِ

وأرى الـطعـنـةَ إذ صـــوبتَـــهـــا

فـــمـــشتْ مـــجنونـة للمـــقـــتلِ

رمَـتِ الـطفـلَ فـــأدمـتْ قلبَـــه

وأصـــابـت كـــبـــريـاءَ الرجلِ

***

قلت للنفس وقد جُزْنَا الوصيدا
عَجِّلي لا ينفع الحزمُ وئيدا
ودعي الهيكلَ شبَّتْ ناره
تأكل الركَّعَ فيه والسجودا
يتمنّى لي وفائي عودةً
والهوى المجروح يأبَى أن نعودا
ليَ نحو اللهبِ الذاكي به
لفتةُ العود إذا صارَ وقودا

***

لست أنسى أبدا ساعة في العُمُرِ
تحت ريح صفَّقَتْ لارتقاصَ المطر
نوّحت للذكرِ وشكت للقمرِ
واذا ما طربتْ عربدتْ في الشجرِ

هاك ما قد صبت الريح بأذن الشاعرِ
وَهْيَ تغري القلبَ إغراءَ النصيحِ الفاجرِ

أيها الشاعر تغفو   تذكر العهد وتصحو

وإذا ما التامَ جرحٌ   جَدَّ بالتذكار جرحُ

فتعلمْ كيف تنسى   وتعلمْ كيف تمحو

أو كلُّ الحبِّ   في رأيك غفرانٌ وصفحُ

***

هاك فانظرْ عدد   الرمل قلوباً ونساءْ

فتخير ما تشاء   ذهبَ العمر هباءْ

ضلّ في الأرض الذي   ينشدُ أبناءَ السماء

أي روحانية تُعصرُ   من طينٍ وماءْ ..

***

أيها الريح أجلْ لكنما

هي حبي وتعلاتي ويأسي

هي في الغيب لقلبي خُلِقَتْ

أشرقت لي قبل أن تشرق شمسى

وعلى موعدها أطبقتُ عيني

وعلى تذكارها وسدتُ رأسي

جنَّت الريحُ ونادته شياطينُ الظلام ..

أختاماً كيف يحلو لك في البدء الختام

يا جريحاً أسلمَ الجرحَ حبيباً نكأه

هو لا يبكي إذا الناعي بهذا نبأه

أيها الجبار هل تُصرعُ من أجل امرأه ..

يالها من صيحةٍ ما بعثتْ

عنده غير أليمِ الذكرِ

أرقت في جنبه فاستيقظتْ

كبقايا خنجرٍ منكسرِ

لمع النهر وناداه له

فمضى منحدراً للنهرِ

ناضب الزاد وما من سفرِ

دون زادٍ غير هذا السفرِ

***

يا حبيبي كلُّ شيء بقضاء

ما بأيدينا خُلقنا تعساء

ربما تجـــمـــعنا أقـــدارُنَا

ذات يوم بعـد مـاعـزَّ اللقــاء

فـــإذا أنـكـرَ خِلٌّ خـلـه

وتلاقـينا لقـاء الغـربـاء

ومـضى كلٌّ إلى غـايتـه

لا تقل شـئنَا! وقل لي الحظُّ شـاء

***

يا مـغنِّي الخلدِ ضـيـعتَ العُـمُـرْ

في أناشـيـدَ تُغنى للبـشـرْ

ليس في الأحـيـاء مَن يسـمـعنا

مـالنا لسنا نغنِّي للحـجـرْ

للجـمـادات التي ليستْ تعي

والرميـمـاتِ البـوالي في الحُـفـرْ

غنِّها .. سـوفَ تراها انتـفـضتْ

تـرحُـم الشـادي رتـبكي للوتـرْ

***

يا نداء كلما أرسلته
رُدَّ مقهورا وبالحظِّ ارتطمْ

وهتافاً من أغاريدِ المنى
عاد لي وَهْوَ نواحٌ وندمْ

رُبَّ تمثالِ جمالٍ وسنا
لاح لي والعيشُ شجوٌ وظُلَمْ

ارتمى اللحن عليه جاثيا
ليس يدري أنه حُسنٌ أصمّ

***

هدأ الليل ولا قلب لَه
أيها الساهرُ يدرى حيرتَكْ

أيها الشاعر خُذْ قيثارتك
غن أشجانك واسكبْ دمعتَكْ

رُبَّ لحن رقصَ النجُم له
وغزا السُّحْبَ وبالنجم فتَكْ

غنه حتى نرى سِتْر الدجى
طلع الفجرُ عليه فانهَتكْ

***

وإذا مـــــــازهـرات ذُعـــــــرتْ

ورأيـتَ الرعـبَ يغـــشى قلبَـــهَـــا

فـــتـــرفقْ واتئـــدْ واعـــزف لهـــا

من رقـــيق اللحن وامـــسح رُعـبَـهَـا

ربمـا نامـتْ عـلى مـــهــــد الأسى

وبكتْ مـــســـتـــصـــرخـات ربَّهَـا

أيـهـــا الشـــاعـــرُ كـم من زهـرة

عـــوقـــبتْ لم تـدرِ يومـــاً ذنبَـــهَـا

روايـــة

نزلَ الستارُ ففيمَ تنتظرُ
خلَت الحياةُ وأقفر العمرُ
لم يبقَ إلا مقفرٌ تعسٌ
تعوي الذئاب به وتأتمرُ
هو مسرح وانفض ملعبُه
لم يبقَ لا عينٌ ولا أثرُ
ورواية رُوِيَتْ وموجزها
صحبٌ مضوا وأحبةٌ هجروا
عبروا بها صوراً فمذْ عبروا
ضحك الزمانُ وقهقه القدرُ

يأس على كأس

(١)

أصـــــبـــحتُ مـن يأسي لو أن الـردى
يـهـــتف بـى، صـــحت به هـيًّـــا
هيـــا فـــمـــا فى الأرض لـى مطمح
ولا أرى لـى بـعـــدها شـــيّـــا
مـــاذا بقـــائى هاهـنا بـعـــدمـــا
نفـــضتُ مـنه الـيـومَ كـــفـــيًّـــا
أهـرب مـن يـأسـي لـكـأسـي الـتـى
أدفـن فـــيـــهـــا أملي الحـــيًّـــا
يـا أيـهـــا الـهـــارب مـن جنـتـى
تـعـــالَ أو هـاتِ جناحـــيّـــا
نـبكي شـــبـــابـينا ونـبكي المنـى
وتـرتمـي بـين ذراعـــــيّـــــا

***

(٢)

إنـى علـى يـأسي وكـــأسيَ كــــابـي

وعلـى ســـرابـي عـــاكفٌ وشــــرابي

ولقـــد فـــرغتُ من الـتـــعلل بالمنى

إلا ومــيـــضـــاً فى الرمـــاد الخـــابي

رمــــقـــــاً يعللنى بـأنك عــــائـد

يـومـــا لقلبـى قـــبل يـوم ذهابـي

حـــتى إذا الأقـدار شــئنَ وعــدتَ لى

راجــعتُ نفــسي واتـهــمتُ صـــوابي

أأرى شـــروقك فـى أفـــول مـــغــاربى

وأشمُّ عـطرَكَ فـى ذبول شــــبـــابي!

***

(٣)

هات اسـقني واشــربْ على ســر الأسى

وعلى بقــايا مــهــجــةٍ وشــجــاها

مـهـلا نديمي! كـيف ينسى حبَّـهَـا

مَنْ يـنـشــدُ الـسلوى على ذكـــراها

مــازالت تسـقـيـنـي لتنسـيني الهـوى

حــتى نسـيتُ، فـمــا ذكـرتُ سـواها

كــانـت لنا كـــأسٌ وكــانت قـــصـــة

هـذا الحــبـــاب أعـــادها ورواهـا

الآنَ غَـــشَّـــاها الـضــبـــابُ وهـا أنا

خـلـف المـآسى والـدمـــــــوع أراهـا

غــالَ الزمــانُ ضــبـابهـا وحــبـابهـا

وتبـــخــرتْ أحـــلامُــهــــا ورؤاها

أحـبـبـتُـهـا وطويتُ صـفـحـتـهـا وكم

قـــرأ اللبـــيبُ صــحـــيـــفـــةً وطـواها

تـلـك الـوليـــــدةُ لم تَـطُلْ بـشــــراهـا

لـمـا تكـد تطـأ الثـــــرى قـــدمـــاهـا

زفَّ الـصـــبــــاح إلـى الرمـــال نـداءها

وســرى الـنـســيـمُ عـشـيـــةً فنعـــاها

--*

عاصفة روح

(الزورق يغرق والملاح يستصرخ)

أين شط الرجاءْ   يا عباب الهمومْ
ليلتي أنواءْ   ونهاري غيومْ

أعولي يا جراح   اسمعي الديانْ
لايهم الرياح   زورق غضبانْ

البلى والشقوب   فى صميم الشراع
والضنَى والشحوب   وخيال الوداع

اسخري يا حياه   قهقهي يا رعود
الصبا لن أراه   والهوى لن يعود

الأماني غرور   فى فم البركان
والدجى مخمور   والردى سكران

راحت الأيام   با بتسام الثغور
وتولّى الظلام   فى عناق الصخور

كان رؤيا منامْ   طيفُك المسحورْ
يا ضفافَ السلام   تحت عرش النورْ

اطحني ياسنين   مزقي يا حراب
كل برق يبين   ومضه كذاب

اسخري يا حياه   قهقهي يا غيوب
الصبا لن أراه   والهوى لن يؤوب

اذكـــــري

اذكـــــري ذاك المســــاءَ
كـــيف كـنا ســـــعـــــداءَ

لـم يـدعْ عـنـدىَ هـمـــــا
ومـــحـــا عنـك الشـــقـــاءَ

مـــلأ الدنـيـــا صـــفـــاءَ
عنـدمـــا شـــئـتِ وشــــاءَ

أحـــــــسن الـدهـرُ إلـيـنـا
بـعـــــدمـــا كـــان أســـــاءَ

كلـمـــا أقـــبـلـت الـســحُبُ
فـظـلـلـنَ الســــــمــــــاءَ

قـــاتمات غـــائـمـــات
يـتـــــهـــــادينَ بِـطـاءَ

لاح نجـمٌ من بـعـــيـــــد
فـــــتـــــجلّى وأضــــاءَ

وتـصــــدى قـــمـــرٌ
راح عـلـى الأرضِ وجـــــاءَ

رسائل محترقة

ذوتِ الصبابةُ وانطوتْ وفرغتُ من آلا مِهَا
لكننى ألقى المنايا من بقايا جامِهَا
عادت إلىّ الذكرياتُ بحشدها وزحامِهَا
في ليلة ليلاءَ أرقني عصيبُ ظلامِهَا
هدأتْ رسائل حبها كالطفل، في أحلامِهَا
فحلفتُ لا رقدتْ ولا ذاقتْ شهىً منامِهَا
أشعلتُ فيها النار ترعى في عزيزِ حطامِهَا
تغتال قصةَ حبنا من بدئها لختامِهَا
أحرقتُها ورميتُ قلبى في صميم ضرامِهَا
وبكى الرماد الآدميُّ على رماد غرامِهَا

الغريب

يا قاسيَ البعد كيف تبتعدُ

إني غريب الديار منفردُ

إن خانني اليوم فيك قلت غداً

وأين مني ومن لقاكَ غدُ

إنّ غداً هوةٌ لناظرِها

تكاد فيها الظنونُ ترتعدُ

أطلُّ في عمقِهَا أسائلها

أفيكِ أخفَى خياله الأبدُ

يالامسَ الجرح ما الذى صنعتْ

به شفاهٌ رحيمةٌ ويدُ

ملء ضلوعى لظىً وأعجبه

أنّي بهذا اللهيب أبتردُ

يا تاركي حيث كان مجلسنا

وحيث غناكَ قلبى الغردِ

أرنو إلى الناس في جموعهم

أشقتهمُ الحادثاتُ أم سعدوا

تفرقوا أم هم بها احتشدوا

وغوَّروا هابطينَ أم صعدُوا

إنيَّ غريبٌ تعالَ يا سكنى

فليس لى زحامهم أحَدُ

كل الورى

كل الورى يدَّعون حُبَّكْ

أنا الوحيد الذى أحَبَّكْ

صدرك فيه اضطرابُ شوقٍ

يقرع قرعَ العبابِ جنَبكْ

فكيف تخلي به مكانى

وتُسكنُ الغادرينَ قلبَكْ

لمَّا اعتنقنا على اشتياقٍ

لمستُ بالساعدَيْنِ خطبَكْ

تعالَ لا تعتذرْ لذنبٍ

بقدرِ حبيَّ غفرتُ ذنبَكْ

***

طالَ على المتعب الطريقْ

بلا حبيب ولا صديقْ

قـــد بَعُـــدَ الشـــاطيء المرجّى

والمـوج لا يـرحـم الغـــــــريـقْ

فـي واضـحِ الـنـور جـنـحُ لـيـلِ

وفي الـرحـابِ الفـسـاح ضـيقْ

يـا أرجـوانَ الغـروب مـهـلاً

ولتـتـئدْ أيهـا العـقـيقْ

صـبـغـتَ عـمـري فـصـرتُ أمـشى

علـى دمـائـى التـى أريـقْ ...

***

يا مـسـرحـاً والفـصـولُ تترَى

عليـه مـالي بك اغـتـرارْ

فـلا بـخـيـرٍ ولا بـشـرٌ

ولا طوال ولا قـصـارْ

مـاخنتُ عـهـدى لمن تولّى

كـلا ولاخـاننى اصطبـارْ

أيـن الـليـالى التـى تُسـرُّ

بـلا لـقـاء ولا مـزارْ

كم قلتُ ذا مشهدٌ يمرُّ
ولم أقلْ إنه سِتَارْ

***

إن كان للمشجياتِ رسم
إنيَ تمثالها المقامْ
بلا دموع ولا شكاةٍ
قد جمدَ الدمعُ والكلامْ
يا طالبَ الحزن في المآقي
لا تنشد الدمعَ في الرخامْ
وخذه من أخرسٍ مريرٍ
من شفة دمعها سجامْ
فهل فمٌ قد بكى بكائي
من ذا رأى دمعة ابتسامْ

السراب في السجن

يا ســـجينَ الحـــيـــاة أين الـفـــرارُ

أوصـــــدَ الـلـيـلُ بابَـه والـنـهـــــارُ

فـلمنْ لـفـــتـــةٌ وفـــيـم ارتقـــابٌ

لـيس بـعـــد الـذي انـتـظرتَ انـتـظارُ

والتـــعـــلاتُ مـن هوى وشـــبـــاب

قـصـــةٌ مـسـدل عليـهـا السّـتـارُ

مـــا الذي يبـــتـــغي العليـل المسجّى

قـــد تـولّى العُـــواد والـســـمـــارُ

طال لـيلُ الغـــريب وامــتـنع الغـــمْضُ

وفـي المضـــجـع الغـــضـــا والنـارُ

***

وهَب الســـجن بابه صـــارا حـــراً

لـكَ لاحـــــائـلٌ ولا أســـــوارُ

وعـفـا القـيـد عنك كـفـا وسـاقـا

فـــإذا الأرض كلـهـــا لـك دارُ

أين أيـن الرحـــيل والتـــســيــارُ

بـعـــدتْ شـــقـــة وشطٌ مـــزارُ

والخطى المثـقـلات باليــأس أغـلالٌ

لســاقــيكَ والمـشــيـب عــثــارُ

مـا انتـفـاع الفـتى إذا عـفـت الجنة

وأجــتــاحَ دوحَــهــا الإعـــصــارُ

عــشتُ حــتى أرى خـمــائلَ حــبي

تتــهـــاوى كـــشـــامخٍ ينـهــارُ

تحت عـيـني ويذبل الحُسْنُ فـيـهـا

ويمـــوت الـــربـــيـــعُ والأنـــوارُ

مـا انتـفـاع الفـتى بموحشٍ عـيشٍ

بقـــيتْ كـــأســه وطاحَ العــقــارُ

وبقـــاء البـــســـاط بعـــد الندامى

كـــأس سمٌ بهـــا يدور البـــوارُ

ما انتفاعي وتلك قافلةُ العيش

وفي ركبِهَا اللظى والدمارُ

الدمار الرهيبُ والعدمُ الشامل

واللفحُ والضنى والأوارُ

يا ديارَ الحبيبِ هل كان حلماً

ملتقى دون موعدٍ ياديارُ؟

يا عزيز الجنَى عليك سلامٌ

كيف جادتْ بقربك الأقدارُ

بورك الكَرْمُ والقطوفُ وأوقاتٌ

..كأن العناقَ فيها اعتصارُ

كلما أطلقتْكَ كفي استردتْكَ

كما يحفزُ الغريمَ الثارُ

المنصورة

بأيِّ معجزة في الحب نتفقُ
يا قلبُ لا يتلاقى الفجرُ والغسقُ
يا قلب إنَّا لقينا اليومَ معجزةً
تكاد في ظلمات الليل تأتلقُ
ظللتُ أسأل نفسي كيف تعشقها
بقية من بقايا العمر تحترقُ
وافيتها وفلولُ النور دامية
تطفو وترسب أوتعلو فتعتلقُ
لم أدرِ حين تبدَّتْ لي إذا شفقي
أبصرتُه أم على المنصورة الشفقُ؟
يامن منحتِ الأمانى البيض معذرة
إنّى بهذي الأماني البيض أختنقُ
أين الهدوء المرجَّى في جوانبها
إني رجعتُ وليلي كلُّه أرقُ

أقــــبلتُ أنــشــد أمـناً فـي هواك بهـــا

فـلـم أنـلْ وتـولـى قـلـبـيَ الـفــــــرَقُ

لا بــالـقــلــوب ولا الأرواح يــا أمــلــي

إنّــا بـشـيء وراء الـروح نـعــــــــتـنـقُ

ويحي على كـفـك الـبـيـضـاء إذ بُسطتْ

عنـد الســــلام وويحـي حين تـنطبقُ

هل يـســمـع النيلُ إذ ســرنـا بجـانبـه

والموج مـجـتـمـع فـيـه ومـفـتـرقُ

صـــوتـاً تماوَجَ في روحـي فــجــاوبَه

من جـانب الـقلب مـوجٌ راحَ يصطفقُ

تـظـل تـنهـب أذني مـن أطـايـبـــــه

كــأنهــا من خـفــايا الـغـيب تـسـتـرقُ

يا جـنـةً مـن جنـان الله أعـــبــــدها

لن تبـــعـدي ولديَّ الســحــرُ والعــبقُ

عينان

طوى السنينَ وشقَّ الغيبَ والظُّلَمَا
برقٌ تألقَ في عينيك وابتسمَا

يا ساريَ البرق من نجمين يومض لى
ماذا تخبىء لي الأقدارُ خلفهمَا

أجئتَ بي عتباتِ الخلد أم شركاً
نصبتَ لى من خداع الوهم أم حُلُمَا؟

كأنني ناظرٌ بحراً وعاصفة
وزورقا بالغد المجهول مرتطمَا

حملتَنى لسماءٍ قد سريتُ لها
بالروح والفكر لم أنقلْ لها قدمَا

شفّت سديماً ورفت في غلائلها
فكدتُ أبصر فيها اللوحَ والقلمَا

رأيت قلبين خطَّ الغيبُ حبهما
وكاتباً ببنان النور قد رسمَا

وسحرِ عينيك إني مقسم بُهما
لا تسألي القلب عن إخلاصه قَسَمًا
واهاً لعينيك كالنبع الجميل صفا
وسالَ مؤتلقَ الأمواجِ منسجمًا
ما أنتما؟ أنتما كأسٌ وإن عذبتْ
فيها الحِمَامُ ولا عذرٌ لمن سلمًا
لمّا رمى الحب قلبينا إلى قدرٍ
له المشيئة لم نسألْ لمن ولِمًا
في لحظة تجمع الآبادُ حاضرها
وما يجيء وما قد مرَّ منصرمًا
قد أودعت في فؤاد اثنينِ كلَّ هوى
في الأرض سارت به أخبارها قدمًا
كلاهما ناظرٌ في عين صاحبه
موجًا من الحب والأشواق ملتطمًا
وساحة بتعلات الهوى احتربتْ
فيها صراعٌ وفيها للعناق ظمًا

يا للغديرين في عينيك إذ لمعَا

فالراويان هما والظامئان همَا

بأىِّ قوس وسهم وصائب ويدٍ

هواك يا أيها الطاغى الجميل رمَى

يرمي ويبريء في آنٍ وأعجبه

أن الذي في يديه البرء ما علمَا

وكيف يُبْرئني من لستُ أسأله

برءًا وأوثر فيه السهدَ والسقمَا

لو أن للموت أسباباً تقربني

إلى رضاك لهان الموت مقتَحَمَا

إن الليالى التى في العمر منك خلتْ

مرتْ يبابًا وكانت كلها عقمَا

تلفتَ القلبُ مكروبًا لها حسرًا

وعضَّ من أسفٍ إبهامَه ندمَا

خمــرالرضــا

يا حبـيـبى اسقنى الأمـانيَّ واشربْ.. بوركتْ خمـرةُ الرضا وَهْىَ تُسكبْ

بورك الكأس والحـباب الذي يرقص فـى الكأس والشعـاع المذهَّبْ

نضبتْ رحمـةُ الوجود جميعا وبك الـرحمةُ التي ليس تنضبْ

وإذا ضـاقت السـمـاء بشجـوى فـالسـمـاء التي بعـينيك أرحب

كم تمنيتُ والصـــدور تجــافــينـى وتَزورُّ والوجـــوه تَقطبْ

كم تمنيـتُ صـدرك البَّـريـرتاح على خـفـقـه الطريدُ المـعـذَّبْ

هاتِ وسـدنـى الحنانَ عليـه .. جـسدى مـتـعَبٌ وروحىَ مـتـعبْ

الخريف

يا حبيبي غيمةٌ في خاطري   وجفوني وعلى الأفْق سحابة

غفر اللّهُ لها ما صنعتْ   كلما شاكيتُها تندَى كآبة

صرخ القفر لها منتحبا   وبكى مستعطفا مما أصابه

فأصمَّ الغيث عنه أذنه   ما على الأيام لو كانَ أجابه

***

كثر الهجرُ على القلبِ فهل   من سلوٍّ أو بعادٍ يرتضيه

أنت فجر من جمالٍ وصبا   كل فجر طالع ذكرنيه

كيف جانبتُك أبغي سلوةً   ثم ناجيْتُك في كل شبيه

أيها الساكن عيني ودمي   أين في الدنيا مكانٌ لست فيه

***

عندما أزمع ركبُ العمرِ   رحلةً نحو المغاني الأخَرِ

ظهرتْ تجلوك كفُّ القدرِ   صورةٌ أروع ما في الصورِ

تتراءى في الشباب العطرِ   نفحةٌ تحمل طيب السحرِ

وقف العمرُ لها معتذرا   وثنى الركبُ عنانَ السفرِ

***

عندما أقفرت الدنيا جميعا

لحتَ لي تحمل عمرا وربيعا

إن يكنْ حلما تولى مسرعاً

أجملُ الأحلام ما ولّى سريعا

إن يكنْ ما كان دَيْناً يقْتضى

خلني أدفعْه عنك دموعا

قد شريناه عزيزاً غاليًا

إن تكنْ بعتَ فإني لن أبيعا

***

يا ندامى الحب سُمَّار الهوى

سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب

أرقوني أجرع السقْمَ وبي

صفرةُ الكأس وأوهامُ الحباب

كلما تُقْبلُ أيامُ المنى

تنجلي النعماء عن ذاك السراب

وترى أياميَ الحيرى على

عرسها الضاحك أحزانَ الضباب

***

لم أقيدك بشيء في الهوى
أنت من حبي ومن وجدي طليق
الهوى الخالص قَيْدٌ وحده
رُبَّ حر وَهْوَ في قيد وثيق
مزقتْ كفيك أشواكُ الهوى
وأنا ضقتُ بأحجار الطريق
كم ظمئٍ بظمئٍ يرتوي
وغريق مستعين بغريق

***

يا ليالي العمر ما سرُّ الليالي
البطيئاتِ المملاتِ الطوالِ
مسرعات مبطئات ولها
خفة الموت وأثقالُ الجبالِ
كاسفات البال عرجاء المنى
عاثرات الحظ شوهاء الظلالِ
عجباً للعمر يمضي مسرعا
للمنايا بسلحفاةِ الملالِ

***

يا كَنار الروضِ في أيك الهوى

جفت الروضةُ من بعد النديمْ

حل بالأيكِ خريف منكر

وظلال قاتمات وغيومُ

ماتت الروضة إلا طائفا

من هوى حي على الذكرى يقومْ

فإذا أنكر ما حلَّ بها

فرَّ يبغي سربَه بين النجومْ

***

شاهت الدنيا وجوهاً ورؤى

وتولاها سهوم ووجومْ

يا عذارى الحسن في ظل الصبا

كل حسن بعد ليلايَ دميمْ

يا نعيم العيش في ظل الرضا

آه لو أعرف ما طعم النعيمْ

أنكر الجنةَ قلبٌ ضجِرٌ

أبدىّ النار موصولُ الجحيمْ

***

طالما موهتُ بالضحكِ فما

غَيَّرَ التمويه رأياً لك فيَّا

كلما تنظر في عيني ترى

سريَ الغافي ومعنايَ الخفيَّا

وترى في عمقِ روحي زهرةْ

قد سقاها الحزنُ دمعاً أبديًا

ويراه الناس طَلاً وترى

أنت دمعا غائما في مقلتيَّا

***

يا فؤادي ما ترى هذا الغروب

ما ترى فيه انهيار العمرِ؟

ما ترى فيه غريقاً ذا شحوب

يتلاشى في خضم القدرِ؟

ما تراها اتأدتْ قبل المغيب

ورمت من عرشها المنحدرِ

لفتةَ الحسرة للشط القريب

قبل أن تسقطَ خلف النهرِ

***

يا فـــؤادي قـــاتل اللّه الـضـــجــرْ

وعـــذابـي بين حلٍ وســـفـــرْ

مـــا تـرى قـنـطـرة مـن بعـــدها

راحـــة ترجى وبـالٌ يســـتــقـــرّ

ذلـك الجـــرحُ ومـــا أفـــدحـــه

مـــا عليـــه لو إلـى السلوَى عـــبَــرْ

قـــد طـواه الـيـــومُ فـي بـردتـه

وأتـى الـليـلُ عـلـيــه فـــانـفـــجــرْ

***

مـــرّ يـومـي فـــارغـــا مـنك ومـن

أملِ الـلـقـــيـــا فـــمـــا أتـعسَ يـومي

أنـتَ يومـي، وغـــــدي أنـتَ، ومـــا

مـن زمـــانٍ مـــرّبـي لم تـكُ همـي!

آه كم أغــدو صـغـــيـــرا، حـاجـتي

لـك كـــالطـفـلِ إلـى رحــــمـــةِ أمّ

ولـكـم أكـــــبـــــر بـالحب إلـى أن

أغـتــدى مـــسـتـشـرفـاً آفـاقَ نجمِ

***

أيّ سرٍّ فيك إني لست أدري
كل ما فيك من الأسرار يغري
خطرٌ ينساب من مفتر ثغرِ
فتنةٌ تعصف من لفتةِ نحرِ
قدر يُنسج من خصلةِ شعرِ
زورق يسبح في موجةِ عطرِ
في عبابٍ غامض التيار يجرى
واصلاً ما بين عينيك وعمرى

***

ذات ليلٍ والدجى يغمرنا
أترى تذكر إذ جزنا المدينة
كلما روعت من نار شج
حرمًا يصلى تلمست جبينه
بيدٍ شفافة مثل الندى الرطب
تعيد النارَ برداً وسكينةَ
أيها الآسي لناري هذه
ما الذي تصنع بالنارِ الدفينه؟

***

أخيـــــــــالاً كـــــان هـذا كـلـه
ذلك الجـســــرُ الذى كـنا عـليــــه؟
والمصـــابيـحُ التي فـي جـانـبـيــه
ذلك الـنيلُ ومـــا في شـــاطئـــيــه؟
وشـــــعـــــاعٌ طـوفـتْ في مــــائـه
وظلالٌ رســبتْ فـي ضـفــتــيــه
وحــــبــيب وادع في ســـاعـــدي
ووعـــود نلتــهــا من شــفــتــيـه؟

***

رب لحـن قـصٌ فـي خــــــاطـرنـا
قـصـــةَ الحـادي الـذي غنىً سـهــاده
وكـــأن الصـــــمـتَ منه واحـــةٌ
هيــأتْ من عــشـبـهـا الرطب وســاده
ها أنـا عــدت إلى حــيـث التــقــينا
في مـكان رفـرفـتْ فـيــه السـعــاده
وبه قـــد رفـــرف الـصــمـت علينا
إن في صــمـت المحــبين عــبــاده

***

رفــــرف الصـــمت ولكن أقـــبلتْ

من أقــاصـي السـهل أصـداءٌ بـعـيـدة

تتـــهـــادى في عــبـــاب ســاحـــرِ

مـــرسل للشط أمـــواجــاً مــديده

كم نـداء خـــافت مـــبـــتـــعـــد

تشـتـهي أذنُ الهـوى أن تسـتـعـيـده

عـــاد منســاباً إلى أعـــمـــاقـــهـــا

هامـــسـاً فـيــهـا بأصـداءٍ جـديده

***

رفـــــرف الـصــــمت ولـكـن هاهنا

كل مـــا فـــيك من الحُـــسْنِ يغنيٌّ

آه كـــم مـــن وتـــرٍ نـــام عـــلـــى

صـــدرِ عـودِ نـومَ غــافٍ مطمـــئنٌ

وبـه شـــــتّـى لحــــون من أسى

وحـــنـــين وأنـــين وتمـــنـّـــي

رقـــد الـعــاصفُ فــيــه وانطوتْ

مــهــجــةُ العــود على صـمتٍ مُـرنّ

***

هذه الدنيـــا هجـــيـــر كلهـــا

أين في الرمـــضـــاء ظلٌّ من ظلالِكْ

ربما تزخـــــر بالحـــسنِ ومـــا

في الدُّمى مهما غلَتْ سُّر جمالِكْ

ربما تزخـــــــر بالنورِ وكم

من ضيـاء وهو من غيرك حالك

لو جرتْ في خاطري أقصى المنى

لتمنيتُ خيالا من خيالِكْ

***

أنا إن ضاقت بيَ الدنيـا أفيء

لثوانٍ رحبةٍ قد وسعتنا

إنما الدنيـا عبـاب ضمنا

وشطوطٌ من حظوظ فرقتنا

ولقـد أطفـو عليـه قلقًا

غارقـا في لحظةٍ قد جمعتنا

كلما تترى المعاني أجتلي

خلف معناها لأسرارِكِ معنى

***

مـــا الذي صـبك صـبًّـا في الفـــؤادْ
مـــا الذي إن أقْـصِـــه عنيَ عـــاد
طاغـيـا يعـصفُ عـصـفـاً بالرشـاد
ظامــئـا سـيـانِ قـــربٌ وبعــاد
ساهر العـينين مـوصـول السـهـاد
مـا الذي يجـري لهـيـبـاً في الرمـاد
مــــا الـذي يـخـلـقـنـا مـن عـــــدمٍ
مـا الذي يُجـري حـيـاةً فـي الجمـاد

***

كم حــبـيـب بعــدتْ صــهــبـاؤه
وتبـقـتْ نفـحــةٌ من حــبـبــهظ
فـي نســيـج خـــالد رغـم البلى
عــــبث الـدهرُ ومــــا يعـــبث بـه
مـــا الـذي في خــصـلة من شـعــره
مـــا الـذي في خطِّه أو كــتــبــه
مــــــا الـذي في أثـر خـلـفـــه
من أفـــانين الـهــوى أو عــجــبــه

***

مـــا الذي فـي مـــجلس يـألفــــه

عـــقــدَ الحبُّ عليـــه مـــوعـــده

ربمـا يبـكـي أسى كـــــرســـيــــه

إن نــأى عـــنــه وتــبـكـى المـائـده

ربمـا نحــــســـبــهـــا هَشَّتْ إذا

عـــائـدٌ هشَّ لـهـــا أو عـــائـده

ربمـا نحــــســـبـهـــا تـســـألنـا

حـين نمـضـي أفـــــراق لـعــــــده؟

***

كم أعــــدتْ لك ســتــراً فـي الخـفــاء

وتـوارتْ عـن عــيـــون الرقـــبـــاء

كم أعــــدتْ نفــــســـهـــا وانـتـظـرتْ

واســتـوتْ مـوحـشـةً تحت الـسـمـاء؟

وَهْيَ لـو تملك كـــفّـــا صـــافـــحتْ

كـــفـك الحلوةَ في كـل مـــســـاء

وَهْـيَ لـو تمـلـك جــــــوداً بـذلـتْ

كل مـــا تمـلكُ كـفٌّ من ســـخـــاء

***

رُب كَـــــرْمٍ مـــــدّه الـلـيـل لـنـا
فـتـــواثبنا له نبـغـي اقـتطافــه
وعلى خـــيـــمــتـــه أسْــوده
عــربيّ الجـود شــرقيّ الضـيـافــه
وجـــد العـــرس على بهـــجـتـُـه
وسناه دون وردٍ فـــأضـــافـــه
ثـم وارت يـده جـنـيـــــــةً
وطوتـه كـــأســاطـيــر الخــرافــه

***

أرج يعـــــبق فــي أنحـــــائه
حـــملتْــه نحـو عـــرشَــينا الـرياح
كل عـطـر في ثـنـاياه ســــرى
كـان سـرًا مـضـمـرا فـيــه فـبـاح
يالهـــا من حـــقـــبــةٍ كـانت على
قِـصَـرٍ فـيـهــا كـآمـادِ فــســاح
نـتـــــمنى كلمـــا طابتْ لـنـا
أن يظل الـليلُ مــجـهـولَ الصـبــاح

***

يا فـــؤادي..العـــمـــر سِـــفْـــر وانطوى

وتبـــقتْ صـــفـــحـــة قـــبل الـنوى

مـــا الـذي يغـــريك بـالدنيـــا ســـوى

ذلـك الـوجـــــه، وذيّـاك الـهـــــوى

زازا

أنا وحدي فى البِيدِ حيرانُ هائم
فمتى تَذْكُرُ القِفارَ الغمائمْ
رحمةً يا سماءُ إن فمي جفّ
وحَلْقي عن الموارِد صائم
غاض نبعُ المُنى ولم يبقَ حتّى
ومضةُ الحُلْمِ فى محاجرِ نائم
أيها الطاعمُ الكرَى مِلءِ جفنَيْـ
ـك وجفنى من الكرى غيرُ طاعم
أبْكِني واستَبِدَّ بي وافْضِ ماشا
ء لك الحسنُ فىَّ واظلمْ وخاصم
غيرَ هذا النّوَى فإنّ ليا
ليه ظلالٌ من المنايا حوائم
تضمحلُّ الحياةُ فيه وتنهدُّ
كأنّ النهارَ معْولُ هادم

لا تَكلنـي لذلك الأبَد الأسْـــــ
وَدِ فى قــاعِ مُــزبِدِ اللّج قــاتم
لا تكلنى لِهُـوَّةٍ تعـصفُ الأشـــ
باحُ فى جَـوفِـهـا وتَعـوي السَّمـائم
لا تكلنِي إلى جناح عُــقــاب
فى ضلوعـي مُـحَلِّقِ الرُّعب جــاثم
لا تكلنِي لضـــائعٍ فى حنـايا
هَا غــريبٍ فى مَـهْـمَـهٍ من طَلاسم
يســأل الزهرَ والخـمــائلَ والأنْـــ
ـــوار عن تربْها الضحوكِ البـاسم
ذاق مـــا ذاق فى الصـــبــابة إلاّ
ذَبْحَـةَ الرّوحِ وانفـصـالَ التـوائم
إن تَعُـدْ مـحـسناً إليّ فَـعُـدْ بي
للعـهـودِ المقـدّسـاتِ الكرائم
وإذا مـــا رأيتَ عــزميَ ينهـــا
رُ فَـثْـبتْ بالذكْـريَاتِ الدعـائم
جِـئتَنِي فى الخـريف والروضُ عـارٍ
فكسوتَ الرُّبَى عـذارَى البــراعم

وأجـالَ الربيعُ أخـضَـر كـفَّـيْـــ

ــه ليـمحـو اصـفـرارَه المُتـراكم

رحـلـةٌ للـنجــوم لـم تَـكُ أوها

مـاً وبعضُ النعـيم أوهامُ حـالم

آهِ كـم لـيـلـةٍ أراجـعُ أيـا

مِي أعُـدُّ العُلى وأحْـصِي العظائم

وحـسبتُ الخسارَ فـيـها فكانَ الـ

ـغَـبْنُ عندي زَمـانِيَ المتـقـادم

قـبل أن نلتـقي فلمـا تلاقَـيْـ

ـنا عـرفتُ الغِنَى وذُقْتُ المغـانم

حـيـثـمـا أغْـتَـدي فـإنّ الدراري

ملءُ روُحي وفي خـيـالي بـواسم

إن أبِتْ جـائعـاً فـشـمّـةُ زادي

أو أبِتْ مُـعْـسِـراً فـثَمّ الدراهم

وعـجـيبٌ قـد كنتَ لـى حـسدَ الحسّا

دِ فـيـهـا وكنتَ أنت التـمـائم

بـالذى صُنْتُ عـهـده لـم أخُنْه

ومـتى خـانت الأكفُّ المعـاصم؟

والذى حكْمُه كأقدارِ عينيـ
ـك فما منهما ولا منه عاصم
أىُّ صوتٍ من الغيوب يناديـ
ـني فأطوي له الدُّنَى والمعالم
قدَرٌ مُشْعَلٌ على شفةِ تد
عو فأخطو على اللَّظى غيرَ نادم
وفؤادي يحومُ بالنَّارِ لا يَحْـ
ـفِلُ أنّى على المنيَّةِ حائم
الهوى مَصْرَعي وكم من حِمامٍ
كان بابا إلى الخلود الدائم
وطريقاً من الأسنّةِ والشو
كِ رَوَتْ أرضَه الدموعُ السواجم
شهد اللهُ ما قضيتُ الليالى
ناعمَ الجَنْبِ فوق مَهْدٍ ناعم
أىُّ جيشَيْك مُغْرِقِي ليْلي الطا
غي أم الشوقُ وحده وهو عارم؟
آه مِن رُبَّما ومن أملٍ يُمْـ
ـسكُ نفسى رجاءَ يومٍ قادم

قــد تجـيءُ الأنبــاءُ من شــاطئ النـــ
ـــــيل غــداً والمـبـشّــراتُ النســائم
وتكـونُ النجـــاةُ فى الـقـــمـــر الســا
ري علـى زورقٍ من الـنـورِ حـــــالـم

ظلام

لا تَقُلْ لي ذاك نجمٌ قد خبا
يا فؤادي كلُّ شيءٍ ذهبا
ذلك الكوكبُ قد كان لعيني
السماواتِ وكان الشُّهُبا
هذه الأنوارُ ما أضيَعَهَا
صِرْنَ في جَنْبي جراحاً وظُبى
كلما أهدَتْ شعاعاً خلَّفَتْ
بعده سجناً ومَدَّتْ قُضُبا

***

قلتُ أسلوك وكم من طعنةٍ
بالمُداراةِ وبالوقتِ تهون
فإذا حُبُّكِ يَطغَى مُزْبِداً
كَتَدفُّقِ السَّيلِ طُغيانَ الجنون

وكـــذا تمضي حـــيـــاتـي كلُّهَـــا

بـــين يـأسٍ ورجــــــــــاءِ وظـنــون

مـــا على الهـــجـــر مـــعـينٌ أبداً

وعلى الـنّـســـيـــانِ لاشـيءَ يُعـين

***

ذلـك الحبُّ الـذى فُـــــــــــزتُ بـه

لا أبـالي فـــــيــــه ألـوانَ المَلامـــه

ذلـــك الــشــطُّ الــذى ذُقْـــتُ بـــه

بعـــد لُجِّ البـــحـــر أمناً وســلامـــه

إنّـه مــــــزّق قـلبي قـــســـــوةٌ

وســقــانـى المُرَّ من كـاسِ الـندامـــه

صــــــارَ نـاراً ودمــــــاراً فـى دمـي

وصــــراعًــــا بين قـلبٍ وكــــرامـــه

***

ذلــك الحـــبُّ الــذى عَــلَّــمَــنــى

أن أحِبَّ الـناسَ والدنيــا جـمـيـعــا

ذلك الحبُّ الذى صـــوَّر من
مُجدِب القفرِ لعينىَّ ربيعا
إنه بصّرنى كيفَ الورى
هدموا من قُدسه الحِصنَ المنيعا
وجلالي الكونَ فى أعماقِه
أعيُناً تبكى دماءً لا دموعا

***

لَمْ تُعينينى على صَرفِ النَّوى
آهِ كنتِ على الدهرِ أعَنْتِ!
قدَرٌ نكّسَ منّى هامتي
آذن الدهرُ بِبَينٍ وأذِنت
وعجيبٌ أمرُ حبّ لم يَهُن
هو لَوْ هانَ على نفسى لَهُنْتِ
لهفَ قلبي لهفةٌ لا تنقضي
كنتِ دنياى جميعاً كيفَ كُنْتِ؟

***

كنتِ في برجٍ من النورِ على
قِمةٍ شاهقةٍ تَغزو السحابا

وأنا منك فَراشٌ ذائبٌ
فى لُجَينٍ من رقيق الضوءِ ذابا

فَرحٌ بالنّورِ والنارِ معاً
طارَ للقمّةِ محموماً وآبا

آب من رحلتِه مُحترقاً
وهو لا يَألوكِ حُبّاً وعتابا!

***

بَرِئَتْ نفسي من الحقد ولم
أخفِ ضِغناً لكِ بين العَبَرات

إن يوماً واحداً أسعدني
جمعَ الأفراحَ طُرّاً من شَتات

وهو عمرٌ كاملٌ عشتُ به
كلَّ أعمارِ الورى مُجتمعات

لستُ أنساكِ وقد علّمْتِني
كيف يحيا رجلٌ فوق الحياة

***

افـرحي مـا شِـئتِ يا روحي افـرحي

أنْشـدي مــا نَقَلَتْــهُ الطيــرُ عَنّي!

واغنـمي نَـفْحَ الصَّــبــا وانـتــقـلي

في الصَّبــا المِـراحِ من غُـصنٍ لغصن

وعــلــى أيـكـكِ نَــاغـي كـلَّ مــن

مـــــرَّ بـالأيـكِ ونـادِي كلَّ خِــــدْن

لن يُـحــبــوك كــحـبي! لـن تَرَيْ

ضـاحكاً مـثـلي ولا حُـزْناً كـحـزني!

***

يـا كـــتــاب الحُــسْن جَلَّت آيـةٌ

من جــمـــالٍ وكــمـــالٍ وشــبــاب

زعـــمـــوا أنّيَ قـــد خَلَّدتُهـــا

بـأغـــانٍ وألحـــانٍ العِـــذاب

مــــا أنا شـــادٍ ولـكن قـــارئٌ

سُـوَراً مـن ذلك الحسْنِ العُـجـاب

لـم أزَلْ أقــرأ حــتـى سـجـدوا

وَجَــعَلتُ الخُلْدَ عُـنوان الكتـــاب

***

يا ابنةَ الأصدافِ والبحرُ أبي
قبلَ أن يُلقي بي الموجُ هُنا
سائلي الأعماقَ عن غوّاصها
أنا صيّادُ لآليها أنا!
إن هَجَرنا القاعَ والليلَ إلى
قِمَمٍ شُمٍ وعِشْنا في السَّنا
فَبِنا الأمواجُ والصخرُ وما
بَرِحَ العاصفُ في أعماقنا!

***

عاصفٌ عاتٍ تمنّيت له
هَدأةٌ أينَ له ما تطلبين
اسألي عن مقلةٍ مخلصةٍ
خبأتْ رسمَكِ في جفنٍ أمين
سهرتْ تَرْعاك مهما لقيتْ
في سبيلِ العهدِ والودُّ المكين
أقسمتْ لا تسألُ النّومَ ولا
تطلبُ الرحمةَ منه بعضَ حين!

***

بعـــدَ مـــا غـَــوَّر نجـــمي ودليلي
مـــا مـــســـيـــري دون تِرْبٍ وخليلِ؟
في طـريق الشَّـوكِ والـصـخــر وفي
شُــــــعَبِ الإرْهـاق والـكَـدِّ الـوبـيـلِ
الغـــريبـــانِ عليـــهـــا الـتـّـقَـــيَـــا
يســـتـــعـــينان على الدَّربِ الطـويلِ
مــا انــتــفــاعـي بحـيــاتي بعــد مـا
سَـاقَكِ الـتـيــارُ فى غــيــر سـبـيـلي؟

***

يـا لجَــــهْـلِ اثـنين أقــــــدارَهمـــــا
آه يا لـيـــتـــهـــمـــا قـــد عَــرَفَـــا!
مـــــا الـذي نصـنـعُ بـالعـــــيشِ إذا
مـا صَـحَـا القلبُ غـريبـاً وغَــفَــا؟
مـــــا الـذي نصـنـعُ بـالعـــــيشِ إذا
مــا الـسـبـيـلان عـليـه اخــتلفَــا؟
مـــــا الـذي نصـنـعُ بـالعـــــيشِ إذا
صــارَ تَـذْكــاراً فــأمْــسَى أســفَــا؟

***

عندمـــا تُقْــفِــرُ دارٌ مـن رِفــاقِ

وتُحِسُّ الـسمَّ فى كـــاسٍ وســـاقِ

عـنـدمـــا يـكشِفُ بؤسٌ وجــهَـــه

ســافــرَ اللَّعنـةِ مــفـقـودَ الخـلاقِ

عندمـــا تُـمْــسِي بِظِلٍ عــالقًــا

وبخــيطِ الوهم مــشــدودَ الـوثاقِ

يـا فــــؤادي انـظـرْ وفـكـرْ وأفِقْ

أىُّ قَــيْــدٍ لك بـالأحـــبـــابِ باقِ؟

***

كل جِـــدٍ عَــبَثٌ والـدهرُ ســاخِــرْ

وخـــبِيءِ السـرِّ لـلعــيـنين ظاهر

أدَّعِـى أنـى مـــقـــيمٌ وَغَـــدًا

رَكْـبِـيَ المُضْنَى إلى الصـحْـراءِ ســائر

عنـدمـــا صــافــحتُ خــانَتْنـي يدي

وَوَشَى خـــافٍ من الأشـجـانِ ســافِــرْ

كَـــذَبَتْ كـفٌّ عـلى أطـرافِـــهـــا

رِعْـشَـةُ البُـعْـدِ وإحـسـاسُ المسافـرْ!

***

يا دياراً يومُها من سُحُب

وغيومٍ وضبابٌ أفقُ غَدْ

كلّ نَبْتٍ عبقريّ أطلَعتْ

جعلتْ منه طعاماً للحسَدْ

أخلَفَ الميثاقَ من كان بها

كلّ آمالي فلم يَبْقَ أحد

ضاعَ عمرٌ وحصادٌ وغَدا

من هشيم كلُّ ما كنتُ أعِدْ!

***

قُمْ بنا والكونُ جَهمٌ كالدجى

نتَلَمَّسْ من جحيمٍ مَخرَجا

وانجُ منه ببقايا رَمَقٍ

أو حُطامٍ وقليلٌ مَنْ نجا

لا تُدرْ أياً به أضيَعُ مَن

في لظاه مستعينٌ بالحِجا

واسألِ الرحمنَ أن يُصلِحَ عهـ

ـداً كسيحاً وزماناً أعرَجا

***

عشتُ وامتدَّتْ حياتي لأرَى

فى الثرى مَنْ كان قبلاً فى القممْ

انهيار المُثُلِ العُلْيا وإنـ

ـكار آلاءٍ وكُفْرٌ بالقِيَمْ

مَنْ يَكُنْ عَضَّ بنانًا نادمًا

فأنا قطَّعتُ إبهامَ النَّدَمْ

وإذا انحَطَّ زمانٌ لم تَجِدْ

عاليًا ذا رفعَةٍ إلاَّ الألم!

***

ضِحْكةٌ ساخرةٌ هازلةٌ

وخيالٌ تافهٌ هذى الحياه

هذه الأكْذوبةُ الكبرى التى

خَدَعَ الناسُ بها واأسفاه!

ذلَّ فيها المالُ والجاهُ إلى

أنْ غدا أحقرَها مالٌ وجاه

نَحْمَدُ اللهَ على أنَّا بها

لم نَصُنْ من ذِلَّةٍ إلاَّ الجِباه

***

عَبَثاً أهربُ من نفسي ومن
ذلك الساكنِ روحى والبَدَنْ
من لقلبٍ مُستطارِ اللُّبِّ مَنْ
كلما عاوده التَّذكارُ جُنّ
أينما أمضي فحولي ذِكَرٌ
وحبيبٌ ومكانٌ وزمن
وربيعٌ دائمُ الخضرةِ فى
روضة النفس وطيرٌ وفَنَنْ

***

قصةٌ خالدةٌ لا تنتهي
وهى ما كان لها يومُ ابتداءِ
أنا لا أدرى متى كان ولا
أين عند الله أسرار اللقاءِ
حينما لاح شِهابٌ فى سمائي
أسمرُ النور رفيعُ الخُيلاءِ
عبقرىٌّ موحشٌ منفردٌ
متعالٍ قلقُ الأضواء ناءِ

***

هـو فى الأفـقِ بـعــــيــــدٌ وهـو دانِ

هو لـي نفـــسي وروحـي وكــيــاني

مــخطيءٌ مـن ظنّ أنّا مُــهــجــتــان

مـــــخـطيءٌ مـن ظـنّ أنّا تـوأمــــان

هـو شطـرُ الـنّفسِ لا تـوأمــــهـــا

هـو منـهـــا هو فــيــهـــا كـلّ آنِ

نـحـنُ نــبـضٌ واحــــــدٌ! نـحـن دمٌ

واحــدٌ حــتى الردى مــتّــحـدانِ!

رباعيات

صيّركَ الحسنُ أميرَ الوجود والشعر من دراته كلّلكْ
مستلهماً منك معاني الخلود فكل تاجٍ في العلى منك لك

***

فناهبٌ برق الثنايا العذاب وسارقٌ ياقوتةً من فمك
وكل تغريد الهوى والشباب أغنيّةٌ حامت على مبسمك

***

وذلك الماس الرفيع السنا والجوهر الغالي الذي صدتّهُ
أرفع من فكر الورى معدِنا وكل فضلي أنني صُغتُهُ!

***

لا فكر لي، عشتُ على فكرتك أقبس ما أقبس من غُرّتك
ودمعتي تقتات من عبرتك فانظر بمرآتي إلى صورتك

***

أشقانيَ الحبُّ وقلبي سعيد يَعُدُّ هذا الدمع من أنعمك
أجزلُ ما كافأ هذا الشهيد بلوغُه المجد على سُلّمك

***

لاشيء من يوم النّوى منقذي إني امرؤٌ عنك وشيك المسير
وأنت باقٍ والجمال الذي غنّى به شعري ليومي الأخير

***

انظر إلى آيات هذا الجمال ترتدُّ عنها عاديات البلى
عاجزةً الباع ويأبى الزوال لوردةٍ من عَدْن أن تذبلا

للأنفس الظمأى إليك التـفات ولهفـةٌ ملْءَ اللّحـاظ الجيـاع
ولى التـفـاتٌ لسرىّ الصّـفـات واللؤلـؤِ اللّمــاح خلف القـناع

***

قلبي مع الناس وفكري شَرود في عالمَ رَحْب بعيـد الشّعاب
عـيني على سـرٌ وراء الوجـود وبغيتى عـرشٌ وراء السحاب!

***

كم طرتَ بى واجتزت سور الضباب والضوء ملْء القلب ملْءُ الرحاب
وعــلتَ بى للأرض أرض السّــراب والليـل جـهـمٌ كــجناح الغــراب

***

أريْتَنـى الغـيـب الذي لا يُرى كـشفتَ لي مـا لا يراه البصـر
ثم انحـدرنا نسـتـشفُّ الثـرى علّ وراء التُّـرب سـرٌ السـفـر

***

صـدرى وسـادٌ زاخـرٌ بالحنان تـصوُّرى أعجب مـا في الزمان
مـوج علـى لُجَّـتـه خـافـقـان قَـرأً على أرجـوحـةٍ من أمـان

***

كمـركب فى البـحر يومَ اغـتراب مـا أبعـد المحنةٌ بعـد اقـتـراب
هيهات يُنْجِي من شطوط العذاب إلاّ عــبــابٌ دافقٌ في عــبــاب

***

مـلأت كـأسي وانـتظرت النديم فـمـا لساقى الرُّوح لا يُـقـبلْ
شوقي جحيمٌ وانتظاري جحيم أقلُّ مــا فى لفْـحـهِ يقـتلُ

***

أنتَ كـريم الودّ حُلو الوفـاء   فـمـا الذي عَـاقَكَ هذا المساء؟
ومـا الـذي أخّـر هذا اللقـاء   وحـرّم النبع وصـدّ الظّمـاء

***

أذمّ هذا الـوقت فـي بُطئـه   آخـرُه يعـثـر في بَدئه
لله مـا أحـمل من عِـبئـه   ومـا يُعـانى القلب من رزئه

***

تدقّ فـيـه سـاعـةٌ لا تدور   وإن تَدُرْ فهو صراعُ اللُّغوب
رنينُهـا يُقلق صُمّ الصـدور   وطَرْقُـهـا يقـرع بـاب القلوب

***

يا ذاهبـاً لم يَشفِ مـنـى الغليل   ما أسرع العقربَ عند الرحيل
هتـفتُ قـف لم يبق إلا القـليل   وكل حيّ سـائرٌ في سـبـيل!

***

يومٌ تـولّى أو ظـلامٌ سـجـا   كلاهما بالقرب منك انتصارْ
أأحـمـد اليـوم تـلاه الدُّجى   أم أحـمـد الليل تلاه النـهـار؟

***

إن نَـوّر الـنجـم بـه مـــرّةً   فـإن إشـراقك لى مـرتان
وكيف يُـبقي الشكُّ لى حـيـرةً   ولي على برج المنى نجمتان؟

***

فـهـذه تلـمع في خـاطري   ملءُ دمى إشـراقُـهـا والبـهاء
وهـذه تُـومِيءُ لـلـسـاهـرِ   والليلُ صـافٍ وأديم السـمـاء

***

وهذه تجلو كثيف الغيوم وهذه تَدرأ عنّي الهموم
وتَمحق الحزن وتأسُو الكلوم فما الذي أجْرَى دموع النجوم؟

***

هيهات أنسى دُرَّة الأنجمِ إليَّ من آفاقها ترتمي
وفى جريحِ أعزلِ تحتمي من أي هولٍ؟ هي لمْ تعلمِ؟

***

إنَّ ضلوعاً تحتمى في ضلوع مقادرٌ ليس بها من رجوع
أخلدُ أصفاد الجوى والنزوع هوى الحزانى وعناق الدموع

***

رضيتُ بالدهر على ما جَنَى وأبْتُ بالحكمة بعد الجنون
ومرّ يومى هادئاً ساكناً وأىُّ شيء خادع كالسكون

***

أرنو إلى الصحراء حيث الرمال نامت كأنَّ اللفح فيها ظلال
ياليت لى والدهر حالٌ وحال من وقدة الإحساس بعض الكلال

***

فأقبلُ الدنيا علي حالها مسلّماً بالغدر في آلها
وراضياً عنها بأغلالها محتملاً وطأة أثقالها

***

الرُّغبُ سيَّان بها والأمان والحسن زادٌ سائغٌ للزمان
والوهم في حالاتها كالعِيان والحبُّ والكره بها توأمان

***

وَدِدْتُ لو قلبي كهذى القفار أصمٌّ لا يسمع ما فى الديار
أعمى عن الليل بها والنهار وددت لو قلبي كهذي القفار

***

وددتُ لو عنديَ جهلُ الثرى تَعْمُر أو تُقفر هذى البيوت
غفلان لا يعنيه أمرٌ جرى أيُولَد الحىُّ بها أم يموت

***

وليلةٍ تمضى وأخرى وما جئتَ فهل ألهاك عني أحد؟
ما ضاء من ليلاتنا أظلما والسبت خَدَّاعٌ بها كالأحد

***

يمتليء السطح على ضيقه والوقت عندى كانفساح الأبد
حسدته والقلبُ في ضيقه أنا الذى لم أدرِ طعم الحسد

***

وذلك (الجاز) وهذا النغم منتقلاً بين الرضا والألم
يحمل لي طيف خيال قدِم تراه عيني في ثنايا حُلُم

***

في واحةٍ يرسو عليها الغريب فكلٌّ ما فيها لديه غريب
وهكذا الدنيا خداعٌ عجيب إذا خلتْ أيامها من حبيب

***

وهكذا يومٌ ويومٌ سواه ينكرها القلب الصَّبور الحمول
وهكذا يذهب طيب الحياه بين التمنّي واعتذار الرسول

***

هنا مهاد الحب هل تذكرين   وهاهنا بالأمس طاب السمر
وتلك أحلام الهوى والسنين   يحملها التَّيار فوق النَّهرَ

***

والقمر الفضيُّ بين الغيوم   يخفق كالمنديل عند الوداع
يا حسرتا! هل صوَّرته الهموم   كالزورق الغارق إلاّ شراع

***

قد جلَّلته غيمةٌ عابرة   تسحب أذيال ياالأسى والندم
وأغرقته موجةٌ غامرة   فأطبق الصمت وَرَانَ العدم

***

ضممت أضلاعى على نعشه   فلم يزل فيها لها وشعاع
لأىِّ غورٍ زال عن عرشه   وغاص فى اللجِّ إلى أىِّ قاع

***

أرثي لحظَ الأفق وهو الذى   يرمقنى بالنظرة الساخره
وتهرب الأنجم هذي وَذي   ويجثم الليل على القاهره

***

ويزحف الكون على خاطري   كأنه في مقلة الساهرِ
سَدٌّ من الرُّعب بلا آخرِ   يعبُّ عَبَّ الأبد الزاخرِ

***

وفى ظلال الموت موتِ الوجود   وخلفَ أطلال البلى والهمود
وبين أنفاس الرَّدى والخمود   وتحت سُحبٍ عابساتٍ وسود

***

تدفعنى عاصفةٌ عاتيه   تقصف من خلفي وقُدّاميه
قد مزّقت روحى وآماليه   وقرّبتْ لى طرَف الهاويه!

***

تلمع في الظلمة أحداقها   قد رحّبَتْ باليأس أعماقها
شافيةٌ النفس وترياقها   مشتاقةٌ أقبل مشتاقها

***

قد كان لي عندك عزُّ الذليل   وكان للآمالي ومضٌ ضئيل
يلمع في ظنّيَ قبل الرحيل   فانطفأ النور ومات القليل

***

فداك يا جاهلةً مابيه   قلبي وأنفاسي الظّماء الحِرار
وكيف أنسى ليلتى الداميه   ولهفتى ألهَثُ خلف القطار؟

***

وعودتى أجرع كأس الحياة   مُعاقراً سُمَّ الفناء البطيء
أنكرُ أو أفزع ممن أراه   سيان من يذهب أو من يجيءْ

***

وليلةٍ فاضت بوسواسها   تعجب من إلفَين بين البَشَر
ذلك يعدو خلف أنفاسها   وهذه تتبع سير القمر

***

تتبعه بين الرُّبى والشِّعاب   تتبعه يسري خلال السحاب
كم هلَّلتْ وهو يضيء الرِّحاب   والتفتَتْ محسورةً حين غاب

***

وذلك الطفل اللهيف الغيور   فى فلكٍ من ضوء ليلى يدور
يقفو خطاها وهى بين الطيور   لهـا جناحـان مـراحٌ ونور

***

كزورق يعبر بحر الوجود   له شـراعـان ولحظٌ شَرُود
كم شرقًا أو غربًا في صعود   وارتفعا حتى كأنْ لن يعود

***

ليلى أرجعى إنى شقىّ كئيب   أهتف مفقودَ الهُدَى والقرار
يا هاته الأوطانِ إني غريب   وعالمي ليس هنا يا ديار!

***

تركتني وحدي وخلّفتني   أرزح تحت المُبكيات الثقال
أنكرتِ ميثاقي وأنكرتني   أكُلُّ ماضينا وليد الخيال؟

***

فرغت من أحلامه وانطوى   بِمُرِّهِ وارتحتُ من عذبه
الأمرُ ماشئت فذنب الهوى   على الذى يكفر يومًا به

***

كان إلى اللّه سبيلى وما   كان إلى الإيمان دربٌ سواه
وكان فى جُرح الهوى بلسما   وكان عندي منحة من إله

***

مهما تكُنْ ناري فإن الجحيم   أرأفُ بى من ظلم هذا البعاد
ورُبَّ همٍّ مقعد أو مقيم   قد لطّفَتْه نسمات الوداد

***

فخفّت النار وقرَّ الهشيم   وعاودتنى الذكَرُ الغابره
والنيل يجرى هادئاً والنّسيم   معربدٌ في الخُصَل الثائره

كم تهتف الأيام: خانت فخُنْ   ويح حياتى إنْ تَخُنْ أمسها

إن هنتُ هذا عهدها لم يَهُنْ   ولا لياليها وإن تنسها

***

تُهيبُ بى الفرصةُ قبل الفوات   ويعرض الصَّيد فلا أقنصُ

إني امرؤزادي على الذكريات   وما غلا عندىَ لا يرخصُ

***

ومطلبٍ في العمر ولّى وفات   وكان همىٌّ أنه لا يفوت

كأن فجراً ضاحكا فىّ مات   وملءُ نفسى مغربٌ لا يموت

***

في السَّأم الحىِّ الذي لا يبيد   والأملَ الطاغي بأن ترجعي

أجدِّدُ العيش وما من جديد   وأدّعي السّلوان ما أدّعي!

***

كم خانني الحظُّ ولا أنثنى   أقضى زمانى كلّه في لعلّ

وتُقسم المرآة لي أنني   رَقَّعتُ بالآمال ثوبَ الأجل!

***

قد فاتنى الصيف وخان الربيع   وكان همّي كلُّه في الخريف

وما شكاتي حين شملي جميع   وأنت لى أيكٌ وظلٌّ وريف

***

والآن قد مزّق عندي القناع   موتُ الأباطيل وزحف الشتاءْ

وبدّد الوهم وفضّ الخداع   بَرْدُ المنايا وشحوب الفناءْ

***

وأسِفَ القلبُ لكنزي الذي غصَّتْ به أفئدة الحُسَّد
صحوت من وهمي ولا كنزلي قد صَفِرَتْ منها ومنه يدي

***

أين زمانٌ مكتسٍ يومُه بالحبِّ مَوشيٌّ بحُلْم الغد؟
من هاته الأيام محرومةٌ عريانةَ الآمال والموعد

***

قد قتل الدهرُ هنائي كما ماتت بثغري ضحكات السعيد!
وربما رقَّ زمانٌ قسا فانعطف الجافي ولان الحديد

***

محقّق الآمال أو واعدٌ بفرحةِ يوم لقاء وعيد
فإن يَعِدْني ثار شكِّي به كأنما وعد الليالي وعيد!

***

واآسفا هذا سجلٌّ كُتِبْ خَطَّتْهُ كفُّ القَدَر المحتجب
ففيم عَوْدي لقديم الحِقَبْ وفيم تَسْآليَ عمَّا ذهب؟

***

ضاقت بنا مصرُ وضقنا بها وكلّ سهلٍ فوقها اليوم ضاق
وضاقت الدنيا على رحبها أين نداماي وأين الرفاق؟

***

كفٌّ تَلُمُّ العمر والعُمر راح وقبضةٌ تجمع شمل الرياح
لا حَبَبٌ باقٍ ولا ظل راح ليلٌ تولّى وتولّى صباح

***

هذا نـهـار مــات يا لَـلنَّهــار كل مـسـاءِ مـصـرعٌ وانهـيـار
مال جـدار النور بعد انـحدار وغـابت الشـمس وراء الجـدار

***

وذا مـسـاءٌ صـبـغـتـه الهـمـوم بلونهـا الـقـاني وهـذي غـيـوم
تحـوم والظلمـة فـيـهـا تحـوم تـبــسـط مـهـداً ليّناً للنجـوم

***

كـأن ثـوباً في السمـاء احتـرق فلم يزل حتى اسـتحال الأفق
ظلّ دخــانٍ أو بقــايا رمق ولم يـعُـدْ إلاّ ذيولَ الشـــفق

***

وتـزحـف الظلماء زحف المُغيرْ حـاجبـةً مـا دونها كالسـتّـار
وكـل حـيٍّ وادعٌ أوقــــريـر ما اختلف الشأن ولا الحظّ دار

***

العــيش أمـرٌ تافــهٌ والمنونْ والحكمةُ الكبرى بها كالجنونْ
وهكذا نمضي وتمضي السنون وهكذا دارت رحـاها الطحـون

***

في شَـجْهَا حـيناً وفى طَعْنِها سينقضي العمرُ وأين الفرار؟
وثورةُ الشـاكين مـن طحنهـا نوحُ الشظايا وعـتـاب الغُبـار!

***



من القصائد المجهولة لناجي

- خمس وعشرون قصيدة -



صخـــرة الملتـقى

سـألتكِ يا صخــرةَ الملتـقى | مـتى يجمع الدهرُ ما فرَّقا
فـيـا كعبـةً شهـدتْ هائمَيْن | أفـاءا إلى حـسنهـا المنتـقَى
إذا الـدهـرُ لَجَّ بأقـــــداره | أخـذنا عـلى ظهـرِهَا الموثقا
أرقَّ الهـوى عندها مـجهـداً | وأنَّ النسـيمُ بهـا مــرهقَـا

***

رمى البـحـرُ نحوكِ أمـواجَـه | فـعـانَدتِ تيـارهَ الأزرقـا
وصــــدتْ نواحــيكِ هدارةً | كمـا أغـضبتْ أسـداً مـوثقَا
قـرأنا عليكِ كـتـابَ الحـيـاة | وفضَ الهـوى سـرَّهَا المغلقـا
نـرى الشمسَ ذائبـةً في المحيط | وننـتـظر البـدرَ في المـرتقَى
إذا نـشــــر الغـــــربُ أثوابَـه | فـأطلقَ في النفس ما أطلقـا
نقول هل الشمسُ قد خضبـتـه | وخلَّت بـه دمَـهَـا المهـرقـا
أم الغـربُ كـالقلب دامي الجراح | له طلبـةٌ عــزَّ أن تُلحـقـا
فـيـامهـجـةً خـلف هذا الغـمـام | بكتْ نـضـرةً وصـبـاً رَيِّقـا
ويا صـورةً في نواحي السـحـاب | رأينـا بهــا همَّنا المغــرقـا
لنا اللّه من صـورةٍ في الضـمـيرِ | يرراها الفـتى كلَّما أطرقـا
يرى صـورةَ الجـرح طيَّ الفـؤا | د مـازال ملتـهـبـاً مـحـرقـا
فـيـأبى الوفـاءُ عليـه انـدمـالا | ويأبى التـذكُّـر أنَّ يشـفـقـا

***

(١) نشرت في أغسطس ١٩٢٧

ويا صخرةَ العهدِ جاشَ العُباب ولاقاك محتدماً محنقَا
وجاورك القَفْر يعيي الظنونَ إذا الفكر في كنهه حقَّقا
أرى في العبابِ كفاحَ الحياة وتيارها الجارفَ الأحمقَا
وألمح فيها عراكَ الرجال إذا لاحقَ الزورقُ الزورقَا
وكيف على رُحْبِ هذا المجا ل ننزلُها منزلاً ضيِّقَا!
وقفتُ على اليمِّ أسألُ نفسى بعيدَ الهواجسِ مستغرقَا
هل الله من قَبْلِ خلْقِ الحياة أراد على الموج أن تخلقَا؟
ومثّلَ في القفر لغزَ الحِمام ولم نكتشفْ سره الأعمقَا

أرى في ابيضاضِ الرمالِ المشيب والكفنَ الشاحبَ المقلقَا
أرى في السرابِ غرورَ النفوسِ والأملَ الخائبَ المخفقَا
وقد جعل الله ذا الصخرَ بين الحياةِ وبين البلى موبقَا

ومثَّلَ فيه عتوَّ الدهورِ لن تستباح ولن تخلقَا
تريد الحياةُ لقاءَ المماتِ ولا يأذن الله بالملتقىَ
ويا صخرةَ العهد أبثتُ إليكِ وقد مَزَّقَ الشملُ ما مزقَا
أريكِ مشيبَ الفؤادِ الشهيدِ والشيبُ ما كلَّلَ المفرقَا
شكا سره في حبالِ الهوى وودَّ على الله أن يعتقَا
فلما قضى الحظُّ فكَّ الإسارِ حنَّ إلى أسره مطلقَا

لمن زيَّنَ الله هذى السماءَ أو جمَّلَ الكونَ أو نسقَا؟

لمن يطلعُ الفجرُ في أفقها فيبدو بها ضاحياً مونقاً؟
لمن مسَّ هذا النسيمُ الغمامَ فرقرقَ منه الذى رقرقاً؟
إذا ذكرتهُ الحمائمُ أنَّ وأنْ ضاحكتْه الربى صفقَا
أللطائرِ المفردِ الروح يمضي يرودُ الواردَ عن مستقَى؟
وربِّكَ ليس لهذا ولكنْ لروحينِ في أفق حلَّقَا!

«المنصورة»

اللقـــاء

عــادتْ لطائـرها الذي غَـنَّاهَا وشـدا فهـاجَ حنينَهـا وشجَاهَا
أىُّ الحظوظ أعـادَهَا لـوفـيِّهـا ونجيِّ وحـدتهـا وإلف صبـاهَا
مشـبوبةَ التَّـحنان تكتم نارَها عـبـثًـا وتأبَى أن يَبِـينَ لظاهَا

***

يا إلـفَى المنـشــود سِـــرُّكَ ذائعٌ نارُ الحنـينِ دفـينُهـا أفـشــاهَا
فـيم السـؤالُ؟ أمـا يدلكَ جـارفٌ من صبـوتي جازَ المدى وتناهَى
ودمــوعُ أشـعــار أثـرتَ نواحـهـا وجـمــالُكَ الوحي الذى أمــلاهَا
ما يصنعُ الرقـباءُ في حبٍّ طغى وصبابـة جُنَّتْ وضاعَ حِـجاهَا
مدَّ الخـريفُ على الرياضِ رواقه ومضى الربيعُ الطلقُ ما يغشاهَا
مــا بالرياض كـآبةٌ في أرضهــا وسـحابةٌ تغـشَى صـفـاءَ سمـاهَا
جـملتْ حـمـائمُ أيكهـا وأنا الذى شـاكيـتُها فـاغرورقتْ عـيناهَا

***

لهـفي عليـهـا أينَ أناتُ الصـبــا وتنـاوحُ الغـــدرانِ بين ربـاهَا
أجرى عليها الصمتُ حتى لم يعدْ الامخـيِّب صرخـتي وصداها؟
مــاذا لقــينا مـن لقــاءٍ خــاطف وعشيـة كالبرق حانَ ضحـاهَا
يا ويح هـاتيكَ الثــواني لـم تقفْ حــتى نُسـيـغَ هناءةً ذقنـاهَا
حـــتى يمتَّع باليـــقين مـكذبٌ عـينيـه في رؤيا يـضلُّ سناهَا

(١) نشرت في ١٢ نوفمبر ١٩٢٧

تمضى لها الأبصار والهةُ الهوى ... وتحولُ عنها ما تطيقُ لقاها
عادَ الزمانُ لها بسرٍّ دموعها ... وخيالِ يقظتها وحلمِ كراها

***

تخبو العواطفُ في الصدورِ وتنتهي ... ويجفُّ في زهر القلوب نَدَاها
وأنا أحسُّ اليومَ بدءَ علاقة ... وعنيفَ ثورتها وحزَّ مُداها
وأحس طغيان الهيامِ لكوكبى ... ومنارِ أيامى وفجرِ هواها
لم تُرْوَ منكَ نواظرى وخواطرى ... ورجعتُ أزكى مهجةٌ وشفاها

***

ما حيلةُ القربِ الوشيك بمهجة ... الدهرُ أجمعُ ما يبلُّ صداها
ما حيلةُ الآمال في معبودة ... قرَّحتُ أجفانى على مغناها
إلا التذكُّر وهو زادٌ منهكٌ ... ماذا تقوتُ خواطرى ذكراها
قضَّيتُ أحلامى أضمُّ خيالها ... وأضعتُ أيامى أقولُ عساها

«المنصورة»

الشـــك

بي مـاتحس وفـى فـؤادكَ مـا بى ... فـتـعـالَ نبكى يا نجىَّ شـبـابي
تجـرى الدمـوعُ وأنت دانٍ واصلٌ ... كـمـسـيلهنَّ وأنتَ في الغُـيَّـاب
أنكرتَ بى ناري عـشـيةَ لا مـستْ ... شـفـتـاىَ منك أناملَ العناب
ومـشتْ يمينى في غـزيرِ حَالك ... مـسـتـرسل كـالجدول المنسـاب
وسألتَ: مـا صمتى ومـا إطرافتى ... وعـلامَ ظلّتْ حـيــرةُ المرتاب
أقـبلْ! أنقـنـي مـا اليـقينُ وهاته ... خلواً من الآلامِ غــيـرَ مـشَاب
أقـبلْ! لأقـسمَ فـي حـيـاتـي مـرةً ... أنَّ الذى أسـقـاه لَيسَ بـصـاب
لهـفي على هذا اليـقين وطعـمـه ... بفـمى وتكذيبي شهيٌّ شـرابى
من أنتَ؟ من أى العـوالمِ سـاحـرٌ ... مــسـتــأثر بـأعنَّة الألبـــاب
مـهلاً سليلَ النور! مـا هذى الدنى ... أبدًا مـكان جـلالكَ الخــلاب
حـدثتُ نفـسى إذ رأيتـك باديًا ... وأطلتُ تسـآلي بغـيـر جـواب
مـا يصنع المَلَكُ الطهـورُ بعـالمٍ ... فـــانٍ وأيام كـلمـع ســـراب
مـا يصنـعُ الأبرارُ في الأرضِ التى ... سـاوتْ من الأبـرارِ والأوشـاب
دوارةً أبدَ السنينِ كـعـهـدهـا ... من ليـلِ آثامٍ لصـبـحِ مـتـاب
تغلو الحـيـاةُ بهـا إلى أن تنتـهى ... عندَ الترابِ رخيـصةً كـتراب
أغفرْ خليلي الشكَّ في الرؤيا التى ... ملكتْ عليَّ مشاعري وصوابي
يا طالما ضـجَّ الفـــؤادُ من المنى ... وشكا التـمـاعَ سـرابهـا الكذَّاب

---

(٣) نشرت في ١٩ مايو ١٩٢٨

يا هيكل الحسنِ المباركِ ركنُه الساحرُ النورِ الطهور رحابِ

لا صدقَ إلا في لهيبكَ وحده وجلاله الباقي على الأحقاب

قدمتُ قرباني إليه بقيةً من مهجةٍ تَلفتْ على الأحباب

فإذا سمحتَ دفعتُ فيه دماءها ورجعتُ أحمدُ من ذراكَ مآبي

وأذبتُ جوهرها فداء نواظرٍ علويةٍ قدسيةِ المحرابِ!

«المنصورة»

خواطر الغروب

«النص الأول»

قلتُ للبحر إذ وقفْت مساءَ ... كم أطلتُ الوقوفَ والإصغاءَ

وجعلتُ النسيمَ زاداً لروحي ... وشربتُ الظلالَ والأضواءَ

وكأنَّ الأضواءَ مختلفات ... جعلتْ منكَ روضةً غناءَ

مرَّبى عطرُهَا فأسكرَ نفسي ... وسرى في جوانحي كيفَ شاءَ

فاطَّرحتُ الهمومَ والأعباءَ ... ونسيتُ العذابَ والبرحاءَ

وكأني أرى بعين خيالى ... ساحرَ المقلتينِ يغضي حياءَ

وكأن الوجودَ لم يحوِ إلا ... حسنَه والطبيعةَ الحسناءَ

نشوة لم تطلْ صحا القلب منها ... مثلَ ما كانَ أو أشدَّ عناءَ

إنما يفهم الشبيهُ شبيهاً ... أيها البحر نحنُ لسنَا سواءَ

أنت باقٍ ونحن حَرْبُ الليالى ... مزقتنا وصيرتنا هبَاءَ

أنتَ عاتٍ ونحنُ كالزبَدِ الذا ... هبِ يعلو حينا ويمضى جفاءَ

وعجيبٌ إليكَ يممتُ وجهى ... إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ

أبتغي عندك التأسي وما تملكُ ... ردًا ولا تجيبُ نداءَ

كل يوم تساؤلٌ .. ليتَ شعرى ... مَنْ ينبيٌ فيحسنُ الإنباءَ

ما تقولُ الأمواجُ! ما آلمِ الشمـ ... ـسَ فولَّتْ حزينةً صفراءَ

تركتنا وخلَّفَتْ ليلَ شكٍّ ... أبديٍّ والظلمةَ الخرساءَ

يا لهذا الجلالِ والأبدِ المجـ ... ـهولِ يزدادُ حيرةً وخفاءَ

---

(٤) نشرت في ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠

روعتنى ضآلةُ الناسِ فيه ... فبكيتُ الحياةَ والأحياءَ

وبكيتُ الغرورَ والأملَ الوا ... سعَ والسخطَ والرضى والرياءَ

ما تُرجِّيه ريشةٌ في مهب الريح ... تَلْقَى الإعصارَ والأنواءَ

ما يرجيه ذلك القبسُ الخَا ... بي وشيكاً كأنه ما أضاءَ

والخَيالُ الذى تراءى وولّى ... غيرَ وانٍ كأنه ما تراءى

نحن ألعوبةُ القضاءِ ومن ... يملك أمراً ومن يردُّ القضاءَ

ولعلَّ القضاءَ يسخر منى ... حين أبكي وما عرفتُ البكاءَ

فليدعني القضاءُ أبكى لأشفى ... لم تَدَعْ ذلةُ الهوى كبرياءَ

لاح خلفَ الدموعِ وجهُ حبيب ... لا أرى غيرَه لقلبى عزاءَ

قلتُ للقلب جاءَ ريك فانهل ... كم ظمئنا فما وجدنا الماءَ

لم تُثبنَا الحياةُ إلا بهذا ... حسبنا وجهُه الجميل جزاءَ

المســـاء

يا غلةَ المتلهفِ الصـــادي   يا آيتي وقصيدتي الكبرى
زادي لقــاؤكِ: طابَ من زادِ   وإذا نأيتِ أعيشُ بالذكـرى

***

يلقى خيالكِ كيفمَا باتا   صبٌ له لفتـاتُ مسحـورِ
يَرْوَى ويشبع منك هيهاتا   لا يرتوي بصـرٌ من النورِ

***

بعد الأوارِ يدبُّ في الغرسِ   لا يرتوي عـودٌ من الطلِّ
ومَن احتسى من لفحة الشمسِ   لا يرتوي أبداً من الظلِّ

***

ذقتُ المنايا عَدَّ أنفـاسي   والبعثُ كان شبابَكِ الزاهي
ومن ارتوى من سخط الناسِ   لم يروهِ غيـرِ رضا اللهِ

***

يا للمساء العبقريِّ وما   منحتْ من النفحات عيناكِ
أوَ كانَ رؤيا واهمٍ حلُماً   ما كانَ أقدسَه وأسناكِ

***

يا للنسائمِ مسبِّحةً   خشعتْ بهيكلِ ذلك الوادي
فحفيفُها همساتُ أجنحةٍ   ورفيفها صلواتُ عُبَّادِ

***

(٥) نشرت في ١٦ سبتمبر ١٩٣٥

نمشي وقــد طالَ الطريـقُ بنا ونـودُّ لـو نمـشـي إلـى الأبـد
ونودُّ لـو خَلَتِ الحــيــاةُ لـنا كطـريقنا وغَــدَتْ بلا أحـد

***

نبني عـلى أنقـاضِ مـاضـينا قـصــراً من الأوهامِ عـمـلاقـا
ونظـلُّ ننشــدُ من أمــانيـنا وشـيــاً من الأحــلامِ بـراقــا

***

وأظلُّ أســقـيــهــا وتمـلأُ لي من منبع فوق الـظنونِ خفي
حــتى إذا سـكرتْ مـن الأملِ وتـرنحتْ مــالتْ على كـتـفي

***

حلفتْ بـأني أغـتـدي مَـعـهـا حيث اغتدتْ وهوايَ في دمِها
فـمـسـحتُ بالقـبلاتِ أدمـعَـهَـا وطبـعتُ أقـسامـي على فمـهـا

***

إنَّا لـقــومٌ أنكـروا الجــســدَا فاعـجبْ لمفترقَـيْن ما افتـرقَا
أوَمـا ترى روحـيــهـمـا اتحـدَا أو مـا تـرى ظلِيـهـمَـا اعـتـنقـاَ

الأطلال - الضائعة

يا لَمنفيينِ ضلاً في الوعورِ — دَمياً بالشوكِ فيها والصخورِ
طرُداً من ذلك القصرِ الكبيرِ — للحظوظ السودِ والليلِ الضريرِ
كلما تقسو الليالي عَرَفاً — روعة الآلام في المنفى الطهورِ
يخلقانِ النورَ من قلبيهما — في دُجاها كلما ضنَّتْ بنورِ

***

كلَّما تقسو الليالي أنبتَاَ — ناديات الوردِ من صخر الطريقِ
كلما جَدَّتْ قيودٌ جَدَّ دَاَ — سبحاتِ الروحِ في القيدِ الوثيقِ
كم بَسطنَا الخُلدَ في القصرِ السحيقِ ونشرنَا الأفقَ رحباً من مضيقِ
وخلَقْنا عالماً من عدمٍ — يا حبيبي ونجيي وصديقي

***

إن يكنْ ذاكَ الهوى حلماً كذوباً — إن يكن طيفاً تَوَلّى لن يؤوباً
فلقد كنت لقلبي أملاً — أطأ الدهرَ إليه والخطوباً
أعبرُ الدنيا اليه ساخرا — وألاقي الكربَ بساماً طروباً
ألمحُ الأمرَ بعيني مُلْهَمٍ — فكأنّي بكِ أبصرتُ الغيوباً

---

(٦) نشرت في يوليو ١٩٣٧.

بعد الشباب

ذَهَبَ الشبابُ فجئتِ بعد ذهابه

تذكينَ ما أطفأتِه بيديكِ

لتكادُ تلفحُني النسائم كلما

حمَّلتُها حُرَقَ الغرام لديكِ

ألفي لها وهجاً على خديكِ

وأرى لها جمراً على شفتيكِ

لا تُدْمِني نظراً إليَّ فهو الذي

جَعَلَ الهوى قَدَراً على كفيكِ

ما تلتقي عيني بعينكِ لحظةً

إلاَّ رأيتُ صِبايَ في عينيكِ

---

(٧) نشرت في ٢٧ نوفمبر ١٩٣٨

أنــــوار

(مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب)

طابتْ بك الأيامُ وافــرحتــاه أنتِ الأمــاني والغنــى والحـيــاه

قــد وَجَدَ الضليلُ نورَ الهُدَى يا حلمةَ .. يا نجمةَ ... يا سناه

فليــذهبِ الـليلُ غـفــرنا له ما دامَ هذا الصبحُ عـقبى دجاه

جـمــالُك الطاهرُ عـندي له إيمانُ قلبٍ في خـشوع الصلاه

وَلي إلى ذاك الجـمـالِ اتجـاه ولي بـسلطانكِ عـــز وجـــاه

قــد طَرَقَ البابَ فـتىً متـعبٌ طالَ به الـسيــرُ وكلَّتْ خطاه

نَقَّلَ في الأيامِ أقــدامَــــه يبـغي خـيـالاً مـاثـلاً في مناه

عندكِ قـد حطَّ رحـالَ المنى وفي حِمَى حسنـكِ ألقىَ عصاه

أينَ شـقـاءٌ صـاخبٌ في دمي جـرَّ عنـي الضنكُ إلى منتـهاه

له إذا دوَّى بـه ســـاخــــراً ضحكُ الـتَّشفِّي وجنون الـطغاه

شكـراً لذات هبـطتْ مـن علٍ تحــدَّت النحس فـــشُلَّتْ يداه

بـأيِّ كف طعـنـتْ قلبــــه فـمــاتَ في قلبي حــتَّى صداه

قـــد هَدَأَ الـليلُ وران الـكرى إلا أخَـا سـهــدٍ يغـنـيٌ شـجـاه

---

(٨) نشرت في ديسمبر ١٩٣٩.

ناداكِ من أقصى الربى فاسمعي ... لِمَنْ على طولِ الليالي نِداه

نادَى أليفاً نام عن شجوهِ ... عذبٌ تجنِّيه عزيزٌ جناه

أحبَّكِ الحبَّ وغنَّى به ... عفَّ الأماني والهوى والشفاه

وإنما الحب حديثُ العلى ... أنشودةُ الخلدِ ونحنُ الرواه

أحــــلام ســـــوداء

رُبَّ ليلٍ قـد صفـا الأفقُ به ... وبما قـــد أبْدَعَ اللّه ازدهرْ

قد سرى فيه نسيمٌ عبقٌ ... فكأنَّ الليلَ بســتـان عطر

قلتُ يا ربَّ لمن جملتـه ... ولمن هذى الثـريـاتُ الغـرر

فـخليٌّ نائمٌ عنه القـدرْ ... نامَ لم يسعدْ بهاتيك الصور

وشجيٌّ القلبِ يشدو للذكرْ ... دامِيَ الألحانِ مجروح الوتر

كلُّ شيءٍ مأتمٌ في عينه ... لا الكرى طابَ ولا طابَ السهر

غام وجهُ الأفقِ وار بدَّتْ به ... سُحُبٌ حامتْ على وجهِ القمر

كلمـا تَقْـرُبُ تمتـدُّ له ... كـأكف شـرهات تنتظر

قاتمات كـذئـاب حُـوَّمٍ ... جائعاتٍ مثل غربانِ الشجر

صحتُ بالبدرِ تنبـهْ للنُذر ... أدرِكِ الهـالةَ حُفَّتْ بالخطر

لا تبحْ مـائدةَ النورِ لهمْ ... لا تبحْـهَا لسوادٍ مـعتكر

فـهقه الرعدُ ودوّى ساخراً ... فكأنَّ الرعدَ عربيدٌ سكر

قمتُ مذعورا وهمَّتْ قبضتي ... ثم مُدَّتْ ثم رُدَّتْ من قصر

لَهَفُ القلب على الدنيا إذا ... عَجَزَ القادرُ والباعُ خور

(٩) نشرت في ١١ ديسمبر ١٩٣٩.

لَهَفُ القلبِ على الحسنِ إذا قهقه الغربانُ والذئب سخر

تحتمي الوردةُ بالشوكِ فإنْ كَثُرَ القُطَّافُ لم تُغْنِ الإبر

آهِ من غصنٍ غنىً بالجنَى ومنَ الطامعِ في ذاك الثمر

آه من شكٍّ ومن حبٍّ ومنْ هاجساتٍ وظنونٍ وحذر

كَسَتِ الأفق سواداً لم يكنْ غيرَ غيمٍ جاثمٍ فوق الفكر

طالما قلتُ لقلبي كلّما أنَّ في جنبي أنينَ المحتضر

إن تكنْ خانتْ وعقّتْ حبَّنا فأضفْهَا للجراحاتِ الأخر

كان طيفاً من ظنونٍ لم يدمْ وسحابا من جنونٍ .. وعَبَر

إثنان في سيارة

مـن أى أكــــــوانٍ وأي زمـــــــانِ
يا ســــاعـــةً بسطتْ ظلالَ أمـــانِ؟
هل كنتِ حين هبطتِ غــيــر ثوانى
ومـــداك فـــوق الظنِّ والحـــســبـــانِ
العـــمـــر أكـــثـــره ســـدى وأقلُّه
صـــفــوٌ يتــاح كـــأنـه عـــمـــرانِ
كم لحظةٍ قـــصـــرتْ ومــــدت ظلَّهـــا
بعـــد المغـيبِ كـــدوحـــةِ البـــســـتـــانِ
ويمر في الــذكــرى خــيــال شــبــابهـــا
فكأن يقـظتَـــهـــــا شـــبـــــابٌ ثـانِ
مَنْ ذلـك الطيف الرقـــيق بـجــانـبى
كَـــفَّـــاه فـى كَـفـىٍّ هاجــعـــتـــانِ
إنى الـتـــفـتُّ إلـى مكانكِ بـعـــدمـــا
أخليـــتـــهِ فـــبكيتُ ســـوءَ مكانى

---

(١٠) نشرت في ٢٦ فبراير ١٩٤٠.

لكأننا والأرضُ تُطوى تحتنا
نجمان في الظلماء منفردانِ
لكأننا والريحُ دونَ مسارنا
خَطَّانِ في الأقدار منطلقانِ
هل كان ذاكَ القربُ إلا صيحةً
همت بها شفتانِ ترتجفانِ
هل كان ذاكَ القربُ إلا لوعةٌ
ونداءَ مسغبةٍ إلى حرمانِ
والناس مُستَبقونَ كلٌّ يبتغي
غرضاً يكافحُ دونه ويعاني
حُمىً مقدرة على الإنسانِ
تبقى بقاءَ الأرضِ في الدورانِ
وكأنما هذى الحياةُ بضوئها
وضجيجها ضربٌ من الهذيانِ

الربيع - عام ١٩٤٠

لمنْ هذا الجلالُ جنى وظلاً
وَمنْ بَسَطَ الجمال ومن أهَلاً
ومن نشر الضياءَ على البرايا
ومِن مِن أوجِه العالى أطلاً
أطلَّ فلم يَدَعْ ركنا صغيراً
ولم يتركْ على الدنيا محلاً
أجل هذا الربيع وما رأينا
أحبَّ ولا عرفنا منه أحلَى
تعالى الله، مدَّ لنا بساطاً
وأودع نعمةً فيه وعدلاً
فليس به غنيٌّ أو فقيرٌ
جميع الناس منه تصيبُ فضلاً
لقد عاد الربيع فقلْ لقومِ
هنالك أمعنوا فتكاً وقتلاً

---

(١١) نشرت في أبريل ١٩٤٠.

لمن هذا الربيع إذا اقتتلتمْ

وجَفّ الحب فيكم واضمحلاّ

لمن وردٌ على الأغصانِ زاهٍ

وهذى الأرض بالأحزان ثكلى؟!

صخرة المكس

تعالَ نزفُّ للثغر السلامَا
ألست ترى على الثغر ابتسامَا

ألم تشعرْ كأن يَدَيْ عزيز
مَسَحْنَ لك المواجعَ والسقاما

كأن خُطى العبابِ خطى حبيب
كأنَّ الموجَ أفئدةٌ ترامى

سلاماً يا عروس الماء إني
أحبُّكِ لا أملُّ بك المقاما

أسيرُ إلى لقائكِ نضوَ شوق
وأرجع عن ربوعكِ مستهاما

أراكِ فتنتشي روحي وقلبي
كأني قد سُقيتُ بك المدَاما

وإن طُوِيَ البساطُ فنصبَ عيني
عليك خيالُ أحبابي القدامى

وإنْ طاحَ الزمانُ بكأس حبي
فلا الساقي نسيتُ ولا الندامى

***

(١٢) نشرت في ٢٩ أبريل ١٩٤٠

فؤادى قمْ بنا نذكرْ شجانا
لصخر في جوار المكس قاما
تعالَ ولا تقلْ هذا جمادٌ
وكيفَ ترومُ بالصخر اعتصاما؟
فكم في الحيِّ من قلبٍ أصمٍّ
تنكَّر أو تجَاهَلَ أو تعَامى
وكم صخرٍ أحسَّ بما عنانا
وما عَرَفَ الحديثَ ولا الكلاما
وكم في الناسِ من رجلٍ قويٍّ
شديد البأسِ يقتحمُ اقتحاما
تَعرَّضَ للحوادث لا يبالى
تَلقَّاها نصالاً أم سهاما!
فإن عَرضتْ له الذكَرُ الخوالى
رأيتَ الكونَ في عينيه غاما
عرته الرجفةُ الكبرى وراحتْ
جيوشُ الصبرِ تنهزمُ انهزاما

***

بربكِ أيها الأنوارُ ماذا
صنعت بساهرٍ ألف الظلاما
بربك أيها الأمواجُ ظلَّتْ
على الشطئانِ ترتطمُ ارتطاما

أتيـــتُك أبتـــغي منك التــأسّي
وأنشــدُ في نواحـيك الســلامـا
أراكِ فـتـحتِ لى شـجناً جـديداً
وكنـتُ أرومُ للمـاضى التـئـامـا
وهيتُ وخـــانـنـى جَلَدى وإلاَّ
فـهـذى الدمـعـةُ الحـرّى عـلامـا
أيا بلد التــأسي كـيـف أنسى
زمـاني فـيك كـهـلاً أو غـلامـا
ويومَ أتـيتُ مـكتـئـبـاً عليـلاً
أحسُّ البَـيْنَ يـدنو والحِـمـامـا
أجـرجـرُ فـيكِ أقـدامـاً ثـقـالاً
واجـمـعُ مِنْ عـزيمتـيَ الحطامـا
وعــلاتـي وأدوائـي كـبـارٌ
شـربنَ دمـى وأبـلينَ العـظامـا
أراكِ فـــلا أبـالى بـالمنـايـا
وأحـمـدُ عند شـاطئكِ الخـتـامـا
وكم طافَ الرفـاقُ وغـادرونـى
كَـعُـوّادٍ ومـروابي كـرامـا
تمـربـيَ الحـيـاةُ ولستُ أدرى
أيومٌ مـرَّام قـضَّـيْتُ عـامـا

عـــرفـــتك والشــتـــاء يمدُّ ظلاً

وينـشــرُ فى جــوانبكِ الغـمــامــا

عـــرفـــتــكِ والمصـــيـفُ عليك زاهٍ

وقـــرنُ الـشـمسِ يضطرمُ اضطرامــا

عــرفـتـكِ والعـواصفُ فيك غـضـبَى

نشـــرنَ على مـــحـيــاكِ القــتـامــا

عـــرفـــتكِ والفــلائـكُ فـــيك بيضٌ

مـــجنحـــةٌ يحـــاكينَ الحَـــمـــامــا

عـــرفـــتكِ هادئـاً والفـــجـــرُ غـــافٍ

كـــأنَ البـــحـــر وسّـــده فنامـــا

عـــرفـــتكِ كـــالصـــديقِ بكلِّ حـــالٍ

وكنـتِ شـــراب روحـي والطعـــامـــا

ومـلحـكِ فـي دمـى وشـــــذاكِ باقٍ

وهذا الـصـــوتُ أســـمـــعـــهُ دوامـــا

تعـــالـيْ صـــخـــرةَ الماضي أجـــيـــبى

وقـــــوفـك وانـتـظـارُك إلامـــــا

لقــيتِ من الـعــبــابِ كـمــا لقــينًا

مـن الأيّام قـــــرعـــــاً واصـطدامــــا

كـــــــأنـك لـلورى هـدفٌ وهـذى

جـمــوعٌ تبــتــغي أمــراً جــســامــا

إذا مـا أخـفـقـوا رجـعـوا فُـرَادَى

وإن هَمُّـوا وجـدتهُمْ زحـامـا

***

فـؤادي إنْ تغـيـرتِ الليـالى

فـمـثلك مَنْ رَعَى فـيـهـا الذمـامـا

بلغنَا كـعـبـةَ الآمـالِ فـاخـشع

ودعْنـا فى مناسِكهَـا قـيـامـا

خُـذِ السلوانَ من حـجـرِ صـوت

فـمـا أحـراكَ بـالحـجـرَ استـلامـا

بـربـكَ أيـن أحـلامٌ غـوالِ

وعـمـرٌ قـد قطعناه نـيـامـا

ونسُـقـاه أمـانيَ أو خـيـالاً

ونطعـمُـه قـصـيداً أو غـرامـا

وعـهـدٌ كـانَ فـيك ربيع وردِ

كـهـذا اليـومِ حـسْناً وانـسـجـامـا!!

ليلـــةمن ليالى القاهرة

قـــالتْ تعـــالَ .. فـــقلتُ لبـــيك

هيـــهـــاتَ أعـــصي أمـــر عـــينيك

أنا يا حـــبـــيـــبـــةُ طائـــرُ الأيك

لِـــمَ لا أغـــنِّـــي في ذراعـــــــــيك

أنا يا حـــبـــيـــبـــةُ جـئـتُ أنتـظرُ

إنـــى امـــــرؤ بـهـــــواكِ مـــــؤتَمـنُ

مـــهـــمـــا يكنْ في حـــبِّكِ القـــدرُ

مـــهـــمـــا يطلْ فـى وعـــدكِ الزمنُ

ظُـلـــمٌ عـلـــى ظـلـــمٍ عـلـــى ظـلـــمٍ

وفـــتـى غـــريـبُ القلبِ منفـــردُ

غـــشـى السكون فـليس من قـــدمٍ

وخـــلاَ المكانُ فـــمـــا هنا أحـــدُ

وطغـى الهـــوى فـى صـــدر مـــخـــتَنِقِ

فـى ليلةِ صـــيـــفـــيـــةِ الريـحِ

---

(١٣) نشرت يوم الثلاثاء ٢٢ أبريل عام ١٩٤١.

يــرنـــو بــنـــاظـــرِه إلـــى طُـــرُقٍ

عـــمـــيـــاءَ زرقـــاء المصـــابـيحِ

أصـــغي لـصـــوتِ خطاكِ في وهـمى

مـــســتـيــقناً حـيناً ومـــفــتــرِضـاً

مـــســـتـــغـــرقـــاً فـى نشــوةِ الحلمِ

فــيـــردُّ صـوتُ القلب مـــعــتـــرضـاً

ياعـينُ هـذا مـــــدلـجٌ ســـــارى

فـــمــنِ المـلـمُّ كـــأنـه شـــبـحُ

الـلـيـلُ غـلّـفَـــــه بـأســـــرارِ

يالـيــتـــه يدنـو فـــيـــتـــضحُ

يـا أذنُ تـلـك خـطـى، أتـقـــتـــربُ؟

لا بـل خـطـى تنـأى وتبـــتـــعـــدُ

إنـي عـلـى الحـــالَيْـن مـــرتـقـبُ

لويصْـــدُقُ المـيـــعـــاد مَـن يعــدُ

وإذا بمـقـــــبـلـةٍ عـلـى جـــزع

بـسـطـتْ إلـيَّ يمـينَ مـــــــرتجـفِ

وإذا ارتـعـــــاشـــــةُ طـائـرٍ فـــزع

أحـــســـتُـهـا إذ لامـــستْ كـتـفى

وكأنَّ ألسنةَ السماءَ لها

لغةٌ إذا اقتربتْ كواشفُها

همستْ: تأملْ فالتفتُّ لها

فإذا بها شحبتْ مراشفُها

شحَبتْ كلون المغربِ الباكي

وتألقتْ كالنجمِ عيناها

وتلفتتْ كَحبيسِ أشراكِ

وحكا اضطرابَ الموجِ نهداها

راجعتُ نُبْلي واتهمتُ دمي

وسألتُ قلبي أين حجتُه

فوجدتهُ خلواً من التهمِ

وتحدَّتِ الشبهاتِ عفتُه

قلتُ اهدئي لَمِ سورةُ الندمِ

كفاكِ ترتجفان يا أملي

واخذتُ أدفيء بردَهَا بفمي

لو تنفعنّ حرارةُ القُبلِ

وجذبتُها بذراعِها نمشي

نمشي وما ندري لنا غرضَا

إلفانِ قد فرَّا من العشِّ

يتبادلانِ سعادةً ورضَا

وحديقة نامتْ بلا شجنٍ
وغفتْ على أمنٍ أزاهُرهَا
لِمَ لا وقد سكنَتْ إلى غُصُنٍ
وغداً لها طلٌّ يباكُرُهَا
كم أبصرتْ قبلي ومرَّ بها
مثلي ومثل حبيبتى اثنانِ
وهنيهة ما كانَ أعذبهَا
إذ يلتقي فى الحبِّ قلبانِ
يا لحظةً ما كانَ أسعدَها
وهناءةً ما كان أعظمهَا
مر الغريبُ فباعدتْ يدَها
وخلا الطريقُ فقربتْ فمهَا
مرت بنا سيارةٌ ومَضَتْ
خطافةٌ فضاحةُ النورِ
كشفتْ لعينينا وقد ومَضَتْ
ظلَّيْنَ معتنقينِ في السورِ
ضحكتْ لظلينا وقد عجبتْ
مما يصوِّرُ قلبُ مذعورِ
وكأن ضحكتهَا وقد طربتْ
قطراتُ ماءٍ فوق بلُّورِ

لم تَدْرِ هاتيك الحبيبةُ مَا

كان الهوى في خاطري يوحي

ما نقَّلتْ في جانبي قَدَمَا

إلا خَطَتْ تمشي على روحي

عوذتُها من شرِّ أمسيةٍ

تعيا بها وتضلُّ أبصارُ

وكواكبٌ ليستْ بمجديةٍ

ظُلَمٌ مكدسةٌ وأحجارُ

عثرتْ بها فرفعتُها بيدي

حُسْناً يكاد يشفُّ في الظُلَمِ

ويرف مثل الزهر وهو نَدِي

ويجفُّ مثل عرائسِ الحُلُمِ

وكأنني مما يسوءُ خَلِي

وحياتِي انجابتْ حوالكُها

أرمي الطريق بناظرىْ رجلٍ

وأنا لها طفلٌ يضاحكُها

مَلَكتُها الدنيا بما وسعتْ

وأنا أهامسُها بأسراري

وأسرُّها بحكايةٍ وقعتْ

وروايةٍ من نسجِ أفكاري

وإذا الطريق يسير منعطفَا
وإذا رياحٌ تضربُ السدفَا
وكأنّ منها منذراً هتفَا:
بلغَ المسيرُ نهايةً فقِفَا
يا توأماً من صدرىَ انتُزِعَا
يا مَنْ دعا قلبي له فسعى
لم أيها الداعى هواكَ دعَا
والدهر يأبى أن نظلَّ معَا
انظرْ ذراعيَّ اللذين همَا
قد طوقاكَ مخافةَ البينِ
أقسمْ بأنكَ عائدٌ لهما
إني لممدودُ الذراعين

الميعاد الضائع

يا مَنْ طواها الليلُ في ظلمائه
روحا مفزَّعَةً على بيدائه
تتلفتين إليَّ فى أنحائه
لهف الفؤادِ على الشريد التائه

***

إن تظمئي لى كَم ظمئتُ إليك
جَمعَ الوفاءُ شقيةً وشقيا
يا مُنيتي قَستِ الحياةُ عليك
وجرتْ مقادرُهَا الجسامُ عليًا

***

إني التفتُ إلى مكانك والمنى
شُلَّتْ وقلبى لا يطيقُ حراكا
فصرختُ يا أسفاً لقد كانتْ هنا
لِمَ عاقنى القدرُ الخئونُ هناكا!

***

(١٤) نشرت في ٢٨ يوليو ١٩٤١

عَبَسَتْ وسودتِ السماءُ ظلالَهاَ
فكأنَ عقباناً تحطّ رحالَهاَ
وكأنَّ أطوادَ السحاب حيالَهاَ
أرْسَتْ على الكتفِ الصغير ثقالَهَا

***

تستصرخين لك السماء وقد خبت
وطوتْ بشاشةَ كلَّ نجمِ مشرقِ
إن خلتِهَا استمعتْ اليك وقاربت
ألفيتهَا صارتْ كلحدِ ضيقِ

***

يا مَنْ هربتِ من القضاء وصرفه
عجباً لهاربة تلوذ بهاربِ
إمـا هَوىَ نجمٌ ومال لضعفه
أبصرتِ حظَّكِ في الشعاعِ الغاربِ

***

أسفاً عليك وأنتِ روحٌ حائرُ
والكونُ أسرارٌ يضيقُ بها الحجَى
تجتازُ عابرةٌ ويسرعُ عابرُ
وتمرُّ أشباحٌ يواريها الدُجَى

***

فى وجنتيكِ توهجٌ وضرامُ
وبمقلتيكِ مدامعٌ وذهولُ
وكذا تمرُّ بمثلكِ الأيامُ
مجهولةٌ وعذابُهَا مجهولُ

***

وَلَيْتِ قبلَ لقائنا يا جنتي
لم تظفرى منيٌ بقولِ مسعدِ
وكعادةِ الحظ الشقىُّ وعادتي
أقبلت بعد ذهاب نجمى الأوحدِ

***

تتعاقبُ الأقدارُ وَهْىَ مسيئةٌ
كم عقّنا ليلٌ وخانَ نهارُ
وكأنما هذا الفضاء خطيئةٌ
وكأن همسه نسيمه استغفارُ

***

وكأنه احزان قومٍ ساروا
هذى مآتمهم وَثَمَّ طلالُهَا
عَفَتِ القصورُ وظلّت الأسوارُ
كَمَنَاحَةٍ جمدتْ وذا تمثالُهَا

***

غـــامَ الســـوادُ على وجــوه الدورِ

وســـرى إلىّ نحـــيـــبُـــهُـــا والأدمعُ

وكـــأنـنى فى شـــاطىءِ مـــهـــجـــورِ

قـــد فـارقـــتـــهُ سـفـــينةٌ لا تـرجعُ

***

حـــملتْ لـنا أمـــلاً فـلمـــا ودّعَـتْ

لم يَـبْقَ بـعـــدَ رحـــيـلهَـــا لـلنـاظرِ

إلا خـــيـــال ســـعـــادةٍ قـــد أقلعتْ

ووداع أحـــبـــاب ودمع مـــســـافـــرِ

الكـــأس

لا تـبكـهــــا ذَهَـبَتْ ومــــات هواهـا
في القلبِ مـــتــــسعٌ غَـــداً لِســـواها
أحــبـبـتُــهـا وطويتُ صـفـحــتَـهـا وكمْ
قـــرأ اللبـــيبُ صـــحــيــفــةً وطـواها
يا شــاطئَ الأحــزانِ كـم مِنْ مــوجـةٍ
هبَّــهـــا ارتطامــةً مــوجــةٍ وصـداها
تـلك الـوليـــــدةُ لم تَـطُلْ بُـشْـــرَاهـا
لمَّا تكَدْ تطأ الثـــرى قـــدمـــاهـا
زفَّ الصـــبـــاحُ إلـى الرمـــال نـداءَها
وســرى الـنـسـيـمُ عــشـيــة فنعــاها
هاتِ اسـقنى واشــرب على ســرِّ الأسى
وعلـى صـبــابةِ مــهــجــةٍ وجــواها
مــهــلاً نديمي كـيفَ ينسى حـبـّــهـا
من يـنـشـــدُ الـسلوى على ذكـــراها

(١٥) نشرت في ١٨ أغسطس ١٩٤١

مـازالت تسـقـيـني لتنسـيني الجـوى

حـتى نسـيتُ فـمـا ادكـرتُ سـواها

كـانت لنا كـأسٌ وكـانتْ قـصـةٌ

هـذا الحـبـابُ أعـادَهَا ورواهـا

كـأسي وشـمس هوايَ والسـاقي الذي

عَـصَـرَ الشـعـاعَ لمهـجـتى وسـقـاها

الآنَ غـشّـاها الضـبـابُ وهـا أنا

خَـلْفَ المدامـعِ والهـمـومِ أراهـا

غـالَ الفناءُ حـبـابَهَـا وضـبـابَـهَـا

وتبـخـرتْ أحـلامُـهَـا ورؤاها

الــــــورد

يا مـــرحـــبـــاً بـالورد فـى إبَّانـه
وبمـوكب الآمــــالِ فى بـســتـــانـه
يا مـــحـــسـنا للعين فـى إقــبـــاله
مـــا تـنـتـهى الـعـيـنانِ من إحـســانه
قـل لـى أهـذا الـطَلُ دمـعٌ حـــائـرٌ
يروي الـربيعَ النَـضْـر من أشـجـانه
عـجـبــاً له والحـسنُ ملءَ عـيـونه
يبـكى عـليكَ وأنتَ فـى أحــضــانه
إنى رأيـتكَ بعـــدمـــا ولَىَّ الـصـبِــاَ
فــبكى الـشـبــابُ على ربيعِ زمـــانه
ورأيتُ عـــرسَك فـي مـــجــالي أنســه
والـطيـــــرُ صـــــدَّاحٌ عـلـى أفـنانـه
فـــتَـلفـــتتْ روحـي تُرَجـيُ قطـرةً
من كـــأسِـه أو وقـــفـــةً فى جـــانه

(١٦) نشرت عام ١٩٤٢

قلـــق

عــبــثـــاً أبتـــغي لقلبي السكينه

والـليـــــالى بهـــــا عليَّ ضنـينـه

هاكِ مـا قـــد أبقَـيتــهِ يا حـــيــاتى

من حـــيــاتى فــداكِ مــا تـبـقــينه

فـظلالٌ مــن الغــــــــــروبِ دوامِ

وبـقـــايا من المغـــيـبِ طعـــيـنه

يا غـــــريبَ الـفــؤادِ قلبى غــــريبٌ

وســجينَ العـذابِ نـفـسي ســجـيـنه

أيهــا الشـاطيءُ الـذى غـابَ عن عـيني

أمـــا حـــانَ أن تؤوبَ الســـفــيـنه

واحـنـيـنـى لـلمــــحـــةِ مـنه إنـيّ

جـــســــدٌ ذائـبٌ وروحٌ حـــزيـنه

كـيف خـانتْ مـدامـعي فـيك قلبـاً

لم تـكن قــبل عُــودتْ أن تـخـــونه

(١٧) نشرت في يناير ١٩٤٣

سبقتُهُ إليك يوم التلاقي

وأبتْ فى وداعِنَا أن تعينه

قد عرفتُ الهوى كما تعرفينه

وارتقبتُ الغد الذي ترقبينه

وأنا في انتظار يومٍ بعيد

ما ارتيابي وقد ضمنتُ يقينه

بعدما صَوّحَ الشبابُ وولّى

وطوى حُلْمَهُ وأفنَى سنينه

غيـــوم

إنْ تجــدْ ياقلبُ قلبــاً قــد لَهَــا
عن حــبـيبٍ مــات فــيــه وَلَهــا
رُبَّ شــــمسٍ منحـــتْنَا ظلَّهـــا
وتــخلَّت .. غـــفـــر الله لَهَـــا

***

ذنــبُ من يهـــواكَ أو ذنــبُ الــسنـينْ
ذلكَ الهـــجـــرُ ولا لــومَ عليكْ
أذنَــبَتْ ســـاعــــة نجـــوى وحنــينْ
وســدتْ راحـــتَــه فــى راحــتــيكْ

***

آهِ لــو تــعـــــرفُ يــومـــــاً ألمى
مـــســــتـطاراً تــأكلُ الــنارُ ضلوعى
أو شـــريـداً يلفحُ القـــفـــرُ دمى
أو طريـداً تشـــربُ الريـحُ دمـــوعى

---

(١٨) نشرت في مارس عام ١٩٤٣.

القمــــر

أضيءْ على النيل واخطر بين شطآنِ
وفضّضِ الرمل من سهلٍ وكثبانِ
لأنت قلب الوجود المحض منطلق
على السماء ينادي كلَّ إنسانِ
وأنت دون سحابٍ ثغرٌ فرحانِ
وأنت خلف سحابٍ غل أشجانِ
وأنت عند شجيٍّ دمعةٌ سكبت
على الفضاء فظلت دون أكفانِ
وأنت للأرض هادٍ وهي ما فتئتْ
حيرى تدور على أعقاب حيرانِ
وأنت في الكون ظل الخلد منتشر
على البرية من قاصٍ ومن دانِ
لا يبلغ الزمن المحدود جانبه
وكيف للخلد تحديد بأزمانِ

---

(١٩) نشرت في يوليو عام ١٩٤٦.

للتـــقـى السـعــداء اللمـح ممن قــصــر

والعــمــر في نــورك المحــبــوب عــمــرانِ

من أنت يا من سرى فى خاطرى ودمى

وصــمــتــتــه الحلو يــســرى ملء آذانى

يا لـلفـــتى الـغـــريد العـــبـــرقى إذا

شـــــدا عـلى وتــربا بـالـصــــمت رنـانِ

يظـل يهـــتف فـى روحى فـــيـــسكرن

فــمــا احــتــيــاجى لى تــرجــيعِ ألحــانِ

يا طاويًا فى الليــالى الســر أجــمــعــه

ويـاكـــتـــاب الـلـيـــالـى دون عنـوانِ

عــجـــبت لليـل يحــوى جـنة خلعَتْ

نور الـصــبــاح على أعطافِ بسـتــانِ

أمل

حبيبةَ قلبي حياتي الفدا
وان كان في مقلتيك الردَى
إذا مر يومى بلا ملتقى
أقول لقلبي انتظرها غداً
رويدك إن غدا فدفدٌ
خفىّ الدروب بعيد المدَى
إذا لم نجد لفحة فى الرمال
فإن الهوى مضجع من مُدَى
لعينيكِ أطوي الحياة اصطبارا
شقيا بها عانيا مفرداً
هبيني لأجلك ضيعتُها
فوالله لم أقضِ عمرى سدَى
فأنت الوجود وأنت الخلود
وأنت النداء وأنت الصدَى

---

(٢٠) نشرت يوم ١٠ يناير ١٩٤٩.

وكـيف بغـيـرك تحلو الحـيـاة

ويَعْـذب مـوردها مـوردًا

وأنتِ النعـيم وأنت العـذاب

وأنت مـواردها والصـدًا

وأنتِ أحب المحـبين فـيـهـا

وأنت كـذاك أحب العـدًا

تـناديـنـني إن قلـبـي إليـكِ

غـدا هاتفـاً وسَـرى منشـدًا

وأنت اللهـيب وإني الفـراش

فـهـاتي على نارك الموعـدًا

تظنيـنني ناعـمـا بالرقـاد

وإني الذى خـاصمَ المرقـدًا

سـأسـهـر عـمـري حـتى أراك

وأجـعل من حـبنا مـعـبـدًا

على ضفاف النيل

سحر الجمال على ضفاف النيلِ
في مشرقٍ أو في احمرارِ أصيلِ
والعين تنتهب المفاتن كلها
وتجول بين مزارعٍ ونخيلِ
طب النفوس وراحة العاني إذا
حل الضنى وشفاء كلٍّ عليلِ
ونعيم أحلام ومتعة ناظر
متنقل من رائع لجميلِ
ولربما بخلَ الزمان على الورى
والنيل بالخيرات غير بخيلِ
وكفاه أن النفس في وقد اللظى
تأوي لظل في رباه ظليلِ
وكفاه أن شهد الحضارةَ مولداً
لا ريب كل حضارة بأصولِ
والمجد أعراق وهذا شاهد
عن سامق من مجدنا ونبيلِ

(٢١) نشرت في مايو ١٩٤٩.

عاصفة غضب

فى ليلةٍ عاتيةٍ صاخبه
ثارتْ علىَّ الفتنةُ الغاضبه
وفى اشتباكاتِ الهوى والقلى
ومن سِنَانِ الكَلِمِ الواثبه
ذاقَ فؤادي طعنةً طعنةً
مرارةُ الموتِ بها ذائبه
أطبقتْ عيني وخيالُ الردى
يحوم في وجنتى الشاحبه
وأطبقَ الليلُ سوى بقعةٍ
حمراءَ من دمعتي الساكبه

***

وطافياتٍ من حطام المنى
على متونِ الرقْمِ الراسبه
وحائماتٍ من فلول القوى
ومن بقايا الهممِ الغاربه
مستنقذات من جحيم الجوى
تزحفُ خلفَ الجنة الهاربه

(٢٢) نشرت في فبراير عام ١٩٥٣، أى قبل رحيل ناجى عن عالمنا بأكثر من شهر واحد ..

بايعتُ حسنك

بايـعتُ حُـسنكِ أولاً وأخـيـراً
ورضيـتُ حـبَّكِ سيِّداً وأمـيـراً
وحنـيتُ رأسي واطَّرحـتُ تمردي
وأتيتُ أرسف في القـيـود أسـيـراً
آمنـتُ بالحبِّ القـويِّ ورعـدةً
سبقتْ غـرامَكِ غازيـاً ومغـيـرا
يجـتـاح أيامي ويجعل مضجعي
شـوكـاً، وليلاتي الطوالَ سعـيـراً
واهاً لـنارِك..إفـتـحي أبـوابَهـا
للقلب.. يـسـتـقـبلْ لظاك قـريراً
النارُ والآلامُ.. مـا أحلى الفـدى
مـادام حـبُّكِ بالـفـداء جـديراً
وروعـةُ الإيمانِ في مـحـرابه
والصمتُ يغمر مهجةً وشعـوراً
وارهبـةُ العاصي تقـربَ واغتـدى
طفلا لـدى النور الكبيـر صغيراً
وارجـفـةُ الجـبـأر قـدَّم قلبـه
وجـثـا..وسلَّمَ..طائعـاً مـقـهوراً

---

(٢٣) نشرت في يناير عام ١٩٣٦ .

صخور وأشواك

كل يوم يمرُّ يُخفي جروحي

كل يوم يزيد غربةَ روحي

كل يوم يضيقُ حتى محا الضيـ

ـق رجائي بقرب يومٍ فسيحِ

لم تَحِنْ هدأتي ولا أذن اللـ

ـه لرأسي بضجعة المستريحِ

وأراني إن مزق الشوكُ أقدا

مي وزاد العثارُ في التبريحِ

أمسكُ القلبَ مستجيرا كأني

صرت أمشي على فؤادي الذبيحِ

---

(٢٤) نشرت في يناير ١٩٣٦.

إلى أم كلثوم

ليسعد النيلُ وليهتفْ لك الجيلُ
لك الخلودُ وللشعر الأكاليلُ
تلفّتي تجدي مصراً بأجمعها
تحنو عليك ويرنو نحوكِ النيلُ
جرى النسيمُ على وجه الغدير به
كأنه في شفاه الفنّ تقبيلُ
تسمّعي في العُلىَ همساً وأغنية
أذاكَ صوتُكِ أم في الخلد ترتيلُ
على الثرى لك أكبادٌ مصفقةٌ
وفي السماوات إكبارٌ وتهليلُ
قد يجلُوكِ وهل في العبقريةما
يكفي لتمجيدها فخر وتبجيلُ
ولِمْ تقامُ تماثيلٌ ممجدةٌ
وفي قلوب الورى هذى التماثيلُ

---

(٢٥) ألقيت مساء ٢٢ أكتوبر عام ١٩٤٩.

وحسبُ صوتك أن يـعدو بناسوَرا
كـأنه في كـتـاب الفن تنـزيلُ
رأي الحـقيـقـة رأي العين منطلقٌ
مـصـفدٌ بقـيـود العـيش مكبـولُ
سرى له الصوتُ مسرى النور فانقشعتْ
عنه وعن قلبه الصافي الأضاليلُ
فإن يكن حُلُماً كالوهم طاف به
فـإنه الحـقُّ.. والبـاقي أباطيلُ
فليـفخر النيـلُ وليزهَى بمعـجزة
لهـا على قـدرة الخَّـلاقِ تـدليلُ
من أنت؟ ما أنت..فالأفهام حائـرة
وكـيف للفـن تفـسـيـر وتعـليلُ
لـلـفنِّ عـنـدك آيـات مـنـزلـةٌ
أنتِ الفـراقينُ فـيـهـا والأناجيلُ
وحـسـبـهُ وقطوفٌ منكِ دانيـةٌ
بأنه في وجـومِ العـيشِ تجمـيلُ

مصادر القصائد المجهولة



١- صخرة الملتقى - نشر النص الكامل المجهول لهذه القصيدة فى عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ ٦ اغسطس ١٩٢٧ -ص ٢٠، وتصدرتها مقدمة نثرية هذا نصها: «صخرة ألفناها في صبانا وتعرفنا عليها إلى شلى وبيرون وكيتس، واوحت الينا كثيرا من شعرنا جثمت بين العباب المائج والصحراء المنبسطة،عدنا اليها بعد كر السنين فكتبنا عليها القطعة التالية»، والواقع ان هذه المقدمة مضللة لقارئها، اذ أنها توحي له بأن الشاعر قد أصبح كهلا، بينما حقيقة الأمر تبين انه لم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين ممن عمره عندما نظم القصيدة، ثم إنه لم يعمل بالمنصورة ولم يتعرف فيها على رفاق الشعر والحب والشباب إلافي عام ١٩٢٧، فكيف بالله عاد الى «صخرة الملتقى» بعد كر السنين؟ ترى لماذا اذن كتب مقدمته؟ هل كتبها في وقت من أوقات الضيق التى يحس فيها حتى الشباب بالكهولة النفسية؟ أم أنه اراد بها ان يثبت لهيئة تحرير «السياسة الأسبوعية» أنه رجل مكتمل النضج وليس حدثا صغيرا، وبذلك يتسنى لقصيدته ان تنشر؟ لا ادري! على أي حال فاننى قد سبق ان بينت كيف ان على محمود طه كان

أسبق من ناجي في مجال نشر قصائده في «السياسة الأسبوعية»، فقد نشرت له عدة قصائد قبل قصيدة ناجى هذه، ثم نشرت له في عدد ١٦ يوليو ١٩٢٧ قصيدة «صخرة الملتقى» التى نشرها - فيما بعد - في ديوانه الاول «الملاح التائه» (ص ١١٨) وفيها يقول:

صخرة الملتقى أتيتك بعد الأين أشكو من الحياة أذاتى

أنا ذاك الشادى الذى نسلت ريش جناحيه هبة العاصفات

وهذه الحقائق التاريخية الواضحة تتناقض مع ما قاله صالح جودت في مقدمة ديوان ناجي (ص ١٦) حيث قال: «..وفي المنصورة نظم ناجي «صخرة الملتقى» التى تجدها في هذا الديوان، وبعث بها إلى السياسة الأسبوعية، وكان من أمهات الصحف الأدبية في ذلك العهد، فاحتفت بها الصحيفة ونشرتها في مكان كريم، وبدأنا نفعل ما فعل ناجي، بعد أن كنا نشفق من إرسال شعرنا إلى الصحف وأخذنا طريقنا منذ يومئذ إلى الناس» ثم ذكر صالح جودت (ص ٢١٠) إن شاعرنا ناجى «نظم هذه القصيدة في المنصورة حوالى عام ١٩٢٨» مع أن الحقيقة - هي كما بينت - أنها نشرت (أى بعد أن نظمت بطبيعة الحال)

في يوم ٦ أغسطس ١٩٢٧، على أن صالح جودت يبدو أقرب إلى الحقيقة من أحمد عبدالمعطى حجازى الذى جزم بأن ناجي «نشر في عام ١٩٣٠ أولى قصائده «صخرة الملتقى» في جريدة «السياسة الأسبوعية» وهي يومئذ من أمهات الصحف الأدبية وكان يشرف عليها طه حسين والمازنى وهيكل»، جزم حجازى بهذا ولم يتواضع بأن يقول «حوالي» كما فعل صالح جودت، ولم يبين لنا المصدر الذى رجع اليه في هذا إن كان هذا المصدر موجودا ولم يتسنَّ لمثلي أن يطلع عليه!!..

مهما يكن من أمر فإن ناجى اختصر أبيات قصيدته اختصارا عجيبا، ونشرها ثانية في العدد الرابع عشر في مجلة «الأسبوع» بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٣٤، ثم عاد فنشرها مرة ثالثة ضمن قصائد ديوانه «وراء الغمام» ولكن بعد أن رضي عن عدة أبيات كان قد حذفها من النص المنشور في مجلة «الأسبوع»، وقد صدرها بعبارة أصدق مما سبق أن قاله عندما نشر القصيدة لأول مرة، إذ قال، «صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا» وقد نشرت القصيدة مرة رابعة ضمن ديوان ناجى، واعتمد المحققون

النص المنشور في «وراء الغمام» وليس في هذا مأخذ عليهم مادام الشاعر ارتضى ذلك النص وضمنه ديوانه وبطبيعة الحال فإن النص المنشور ضمن «قصائد مجهولة» هو النص الأول الذى يجعله قراء ناجي الجدد، بل القدامى أيضا ممن لم يقرأوا له غير دواوينه نفسها، والنص المنشور هنا يتألف من تسعة وثلاثين بيتا، بينما يتألف النص المنشور في مجلة الأسبوع من احد عشر بيتا أى أن الشاعر حذف منه ثمانية وعشرين بيتا، وأما المنشور في ديوان «وراء الغمام»، وهو نفسه المنشور في ديوان ناجي، فإنه يتألف من سته عشر بيتا أى أن الشاعر حذف من النص الأول ثلاثة وعشرين بيتا هى: الرابع والخامس والسادس والثاني عشر، والأبيات من االسابع عشر إلى التاسع والعشرين، والأبيات من الرابع والثلاثين إلى التاسع والثلاثين، وقد غيرّ الشاعر نص الشطر الأول من البيت الثانى بحيث أصبح نصه في «وراء الغمام» و«ديوان ناجى»

فيا صخرة جمعت مهجتين

أفاءا إلى حسنها المنتقى

أما نص الشطر الأول الذى يطالعه قارىء القصيدة هنا فهو:
فياكعبة شهدت هائمين.. أفاءا ..

--*

٢- اللقاء - نشرت في جريدة «السياسة الأسبوعية» بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٢٧ ص ٩ وقد ذيلها الشاعر باسم المدينة التي نظمها فيها وهى «المنصورة» وقد نشرت هذه القصيدة فيها بعد - ضمن قصائد «وراء الغمام» بعنوان «رجوع الغريب» بدلا من «اللقاء»، كما أن ناجي استبقى منها سبعة عشر بيتا أى أنه حذف ثمانية أبيات من النص الذى ننشره هنا نقلا عن السياسة الأسبوعية، والأبيات التى كان الشاعر قد حذفها هى: الخامس والسادس والسابع والحادي عشر والثاني عشر والسابع عشر والعشرون والثانى والعشرون والثالث والعشرون والرابع والعشرون، وقد أبدل لفظة «المنشود» بلفظة «المعبود» في الشطر الأول في البيت الرابع (يا ألفى المعبود سرك ذائع ...» كما أنه أبدل لفظة «أحلامى» بلفظة « أيامى» في الشطر الأول من البيت الخامس والعشرين (قضيت أيامى أضم خيالها)

٣- الشك: نشرت في عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر

بتاريخ السبت ١٩ مايو ١٩٢٨ - ص ٢١ وتصدرتها مقدمة نثرية هذا نصها: «كنا نتحدث عن الألم في ليلة ما فانبرى أديب يذكر أن هناك نوعا من الألم الحقيقي لا يتذكر أن أحدا من الشعراء قد وصفه، ذلك الألم الذى لا نفهم سببه ونحن ممتعين بكل ما نحب وبالغين مآربنا في لقاء أحبابنا ..ألخ ..

قلت أذكر أني قرأت شيئا من هذا للأستاذ العقاد في كلامه عن المنفلوطى رحمه الله وقد أسماه ألم النفس الانسانية .. وقال: هو ذلك الألم الذى يعتري المرء وهو شاعر تام المآرب .. أما آلام الجوع والمرض فليست بإنسانية، بل يشترك فيها الانسان والحيوان .. قال صديقى: لو حللنا ذلك الالم لوجدناه مزيجا من الإحساس بالجراح القديمة وشكا في الحاضر إذا قسناه بالماضى وما أثاره، وخوفا من المستقبل .. وتفكيرا في الزمن المتقلب وسرابه الكاذب .. أليس جديرا بالشعرأن يصف لنا الدموع في السعادة لا في الشقاء وأن يصف الشك فيها وهى مقبلة طارئة لا نكاد نثق أنها هى بعينها، والتقينا بعد يومين فدفعت اليه بالقصيدة التالية»: وقد حذف الشاعر هذه المقدمة عندما نشر القصيدة ضمن قصائد «وراء الغمام» وكتب

بدلا منها مقدمة موجزة نصها: قد يظفر المرء بقرب حبيبه، لكنه يشك في النعيم الذى لقيه، فيبكى فى النعمة كما يبكى في الشقاء»، ونص القصيدة كما نشرته السياسة الاسبوعية يتألف من اثنين وعشرين بيتا، استبقى الشاعر منها ثمانية عشر بيتا، وحذف أربعة هى: العاشر والسادس والسابع عشر والحادي والعشرون، وقد أبدل الشاعر لفظة «ومشت» بلفظة «وجرت» في الشطر الأول من البيت الرابع بحيث اصبح:

(وجرت يمينى فى غزير حالك ...)

***

٤ - خواطر الغروب - نشرت في عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ السبت ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠، ولم يذيلها الشاعر باسم المدينة التى نظمها فيها، لكننى أجزم بانه قد نظمها في الأسكندرية، اذ يبدو من خلال الإعلان المنشور بجريدة «مسامرات عزمي» ان الشاعر قد افتتح عيادة فى الاسكندرية، وهذا هو نص الإعلان المنشور في العدد ٦٣ الصادر بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٣٠ أى قبل نشر قصيدة «خواطر الغروب» بأقل من شهر: «الدكتور إبراهيم ناجي - اختصاصي في الأمراض

الباطنية والأطفال - شارع فؤاد الأول نمرة ٥ - الاسكندرية - العيادة من ٨ - ١٠ صباحا و ٤ - ٧ مساء»، وفى هذا العدد ذاته نشر ناجى قصيدة «في هيكل الهوى» التى ضمنها ديوانه «وراء الغمام» بعد ذلك، وكان ناجي قد نشر قبل قصيدة «خواطر الغروب» قصيدتين ذيلهما باسم المدينة التى نظمهما فيها وهى الاسكندرية، هاتان القصيدتان هما «إهداء اشعار» وقد نشرها في جريدة «السياسة الاسبوعية» بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩٣٠ وقد صدر بها ناجى ديوانه «وراء الغمام» فيما بعد، وهذا ما ضلل محققي ديوان ناجى على نحو ما ذكرت من قبل فى معرض حديثي عن الاخطاء التى وقع فيها محققو ديوان ناجى، اما القصيدة الثانية التى ذيلها الشاعر باسم الاسكندرية فقد نشرها في عدد «السياسة الاسبوعية» الصادر بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٩٣٠ وهى قصيدة «رباعيات الشاعر والعزلة» وهى نفسها القصيدة التى نشرها في مجلة أبولو بعنوان «ليالي ناجي - الشاعر والنهر» ثم ضمنها ديوانه «وراء الغمام» وأطلق عليها «الليالى»، كما أن الشاعر ذيل قصيدته التالية لقصيدة «خواطر الغروب» باسم مدينة الأسكندرية، وهذا ما يجعلنى

أجـزم بأن ناجي كـان في الاسكندرية يـعـمل بـهـا طيـلة تلك الفـتـرة، فـضلا عن أن قـصيـدة «خواطر الغـروب» تتحـدث عن تأملات الشاعـر عندما وقف أمام البحر مساء ..

والنص الذى نشـرته «السيـاسـة الأسبـوعيـة» لهذه القـصيـدة يتألف من ثمـانية وعشرين بيـتا، استبـقى الشاعـر منها سـبعة عشر بيتا عندما نشرها في عدد ديسمبر ١٩٣٣ من مجلة أبولو - ص ٣٣١، ثم عاد فـحذف بيتين آخرين عـندما نشر القصيدة في «وراء الغمام»، وهذان البيتان هما:

وكـــأني ارى بـعـين خـــيـــالى

ســاهر المقلتين يـغـضـى حـيـــاءَ

وكـــأن الـوجـــود لـم يـحـــوالا

حـــسنه والـطبــيـعــة الحـسـناءَ

والحق أن الشطر الاول بنـصه مـن ثانى هذين البـيـتين ليس لناجى، وإنما لعلى محـمود طه، ففى قـصيدة «صخـرة الملتقى» «ص ١١٤» من ديوان «الملاح التائه» يطالع القاريء هذا البيت:

وكـــأن الـوجـــود لـم يـحـــوإلا

ذلـك الصـــخـــر رائع الجنبـــات

ومن الغريب أن عبدالعزيز الدسوقى قد نقل نص قصيدة «خواطر الغروب» من مجلة أبولو، ونقل بطبيعة الحال البيتين اللذين حذفهما ناجى من نص القصيدة في «وراء الغمام» وقد نقل عبدالعزيز الدسوقى نص القصيدة في ص ٤٥٢ من كتابه «جماعة أبولو» لكنه لم يتنبه الى البيتين المحذوفين ويبدو أنه لم يشغل نفسه بهذا خاصة وان دراسته ليست تحقيقا لنصوص أدبية وإنما هى دراسة شاملة لشعراء جماعة ابولو مجتمعين، والذى يجعلنى أقرر أن الدارس لم يتنبه إلى هذين البيتين هو الهامش الذى ذكر به قصيدة ناجى في كتابه ونصه: «مجلة أبولو - المجلد الثانى - ٣٣١ (ديسمبر سنة ١٩٣٣) وراجعها في ديوان وراء الغمام لناجى ص ٨٥ وما بعدها» .. إذا عدنا الى النص الذى ننشره ضمن «القصائد المجهولة» نقلا عن«السياسة الاسبوعية» فإننا سنجد أن الأبيات التى حذفها ناجى هى الخامس والسادس والسابع، ثم الأبيات من السادس والعشرين الى الثامن والعشرين، وقد أبدل الشاعر لفظة «ولعل» بلفظة «وكأن» في الشطر الاول من البيت الرابع والعشرين بحيث أصبح (وكأن القضاء يسخر منى

..) ثم غير ناجى نص البيت الخامس والعشرين من صورته التالية:

فليدعني القضاء أبكى لأ شفى

لم تدع ذلة الهوى كبرياء

غير الشاعر هذا البيت إلى هذه الصورة:

ويح دمعي وويح ذلة نفسي

لم تدع لى أحداثه كبرياء

***

٥- المساء - نشرت لأول مرة في مجلة «الرسالة» عدد ١٦ سبتمبر ١٩٣٥، ثم نشرت مرة ثانية ضمن ديوان «ليالى القاهرة» - ص ٨٦ من الطبعة الأولى، وبمراجعة النص المنشور في «الرسالة» ومقارنته بالنص المنشور في الديوان، يتبين لنا أن ناجى قد أجرى تغيرات عديدة كما حذف أبياتا عديدة أيضا من النص المنشور في الديوان، فالنص الذى نشره فى «الرسالة» يتألف من اثنين وعشرين بيتا، أما النص الذى

نشره ضمن ديوان «ليالى القاهرة» فيتألف من إثنى عشر بيتا، أى أنه حذف عشرة أبيات من النص الاول.

***

٦- الأطلال «الضائعة» - نشرت هذه القصيدة في مجلة «الحديث» الحلبية - عدد يوليو - تموز عام ١٩٣٧ - ص ٤٨٠، والنص المنشور فى «الحديث» يتألف من إثنى عشر بيتا، لم ينشر ناجي منه فى «ليالى القاهرة» غير أربعة أبيات بعد ان عدل فيها أيضا، ولهذا فقد اخترت أن أسميها الأطلال الضائعة تمييزالها عن نص الأطلال المنشور ضمن ديوان «ليالى القاهرة».

***

٧- بعد الشباب - نشرت في العدد الخامس من المجلد الثالث عشر من «مجلتي» - ٢٧ نوفمبر ١٩٣٨ - ص ٢١٩، وقد تحدثت عن هذه القصيدة فى معرض حديثي عن الأخطاء التى وقع فيها محققو ديوان ناجى.

***

٨- أنوار - نشرت فى مجلة «الرسالة» الصادر بتاريخ ٤

ديسمبر ١٩٣٩ ص ٢٢٣٦، وتصدرتها عبارة تقول إنها «مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب»، والقصيدة منشورة في «ليالي القاهرة» ضمن ما أطلق عليه الشاعر اسم «ملحمة ليالي القاهرة» والنص الذى ننشره هنا نقلا عن «الرسالة» يتألف من سبعة عشر بيتا، اما النص المنشور فى «ليالى القاهرة» فيتألف من عشرة أبيات أي أن الشاعر حذف سبعة أبيات من التاسع إلى الثانى عشر ..

***

٩- أحلام سوداء - نشرت فى «الرسالة» وبتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٣٩ - ص ٢٢٧٠ - ونص القصيدة يتألف من اثنين وعشرين بيتا، وقد حذف منه الشاعر ستة أبيات عندما ضمنه «ليالى القاهرة»، أما الأبيات المحذوفة فهى الرابع والخامس والسادس والرابع والثانى والعشرون.

***

١٠- اثنان فى سيارة - نشرت فى عدد ٢٦ فبراير عام ١٩٤٠ من مجلة «الرسالة» وثم نشرت ضمن قصائد ديوان «ليالى القاهرة»، والنص المنشور في «الرسالة» يتألف من أربعة عشر

بيتا، بينـما يتألف النص المنشور في الديوان من عـشرة أبيات، أى ان الشاعر قد حذف أربعة أبيات من النص الأول، كما أجرى عـدة تـعـديلات فى الألفـاظ على نحـو مـا يتـبـين لمن يـراجع النصين فى الاعمـال الشعرية الـكاملة، وهذه الأعمال الشـعـرية المختارة.

***

١١ - الربيع - عام ١٩٤٠ - نشرت في مجلة «الطالبة» عدد أبـريل عـام ١٩٤٠ بعنوان «الربيع»، وقـد أضفت «عـام ١٩٤٠» إلى العنوان تمييزا للقصيدة عن غيرها من قصائد ناجى التى تحمل نفس العنوان.

***

١٢ - صـخرة المكس - نشـرت في العدد ٣٥٦ من «الرسـالة» وهو العدد الصادر بتاريخ ٢٩ أبريل ١٩٤٠ - ص ٧٣٩، وقد تحدثت من قبل عن هذه القصيـدة فى معرض حـديثى عن تأثرات ناجى بمن أعجب بهم من الشعـراء، وذلك في مقـدمة الطبـعة الأولى من «قصائد مجهولة».

***

١٣ - ليلة من ليالى القاهرة - نشرت هذه القصيدة فى عدد الثلاثاء ٢٢ أبريل عام ١٩٤١ من مجلة «الثقافة»، ثم نشرها ناجى ضمن ديوان «ليالي القاهرة» بعنوان «لقاء فى الليل» ص ٣٥، والنص المنشور فى «الثقافة» يتألف من اثنين وخمسين بيتا، أى أن ناجى حذف اثنين وعشرين بيتا من النص الاول الذى نشرته «الثقافة» وهذا النص هو الذى ينشر هنا ضمن «قصائد مجهولة» التى تشتمل عليها الأعمال الشعرية الكاملة لناجي، وكذلك هذه الأعمال المختارة.

***

١٤ - الميعاد الضائع - نشرت فى العدد ٤٢١ من «الرسالة» وهو العدد الصادر بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٤١ - ص ٩٦٠، والنص منشور تحت عنوان: «ليالى القاهرة» ويتألف من ستة وعشرين بيتا، استبقى الشاعر منها ثمانية عشربيتا، وحذف ثمانية أبيات هى الأبيات من الخامس إلى الثانى عشر من النص المنشور ضمن «القصائد المجهولة» نقلا عن «الرسالة» ..

***

١٥ - الكأس - نشرت فى العدد ٤٢٤ من «الرسالة» وهو العدد

الصادر بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٤١ - ص ١٠٤٧، والنص منشور تحت عنوان «ليالى القاهرة» ويتألف من اثنى عشر بيتا حذف منه ناجى بيتين هما الثالث والعاشر وذلك عندما ضم القصيدة الى ديوانه «ليالي القاهرة» بعد ذلك، والحق أننى ما كنت أريد ضم هذه القصيدة إلى هذه المجموعة من «القصائد المجهولة» لأن الشاعر لم يحذف سوى بيتين كان من الممكن الإشارة اليهما فى مقدمتي ولكن الذى دفعنى دفعا الى ضمها كاملة هو تلاعب الشاعر فى ترتيب أبيات النص المنشور في الديوان وهو تلاعب غريب حقا:

١ - البيت الاول من النص المنشور فى «الرسالة» هو البيت السابع من النص المنشور في ديوان «ليالى القاهرة» وص ٣٤٩ من ديوان ناجى ..

٢ - البيت الثانى من النص المنشور في «الرسالة» هو الثامن من النص المنشور فى «ليالى القاهرة».

٣ - البيت الثالث من النص المنشور فى «الرسالة» حذفه الشاعر كما ذكرت.

٤ - البيت الرابع هوالتاسع.

٥ - البيت الخامس هوالعاشر.

٦ - البيت السادس هو الأول.

٧ - البيت السابع هو الثانى.

٨ - البيت الثامن هو الثالث.

٩ - البيت التاسع هو الرابع.

١٠ - البيت العاشر حذفه الشاعر كما ذكرت.

١١ - البيت الحادي عشر هو الخامس

١٢ - البيت الثانى عشر هو السادس، وقد أبدل الشاعر فيه لفظة «الفناء» بلفظة «الزمان» بحيث أصبح «غال الزمان ضبابها وحبابها» كما أنه قدم الضباب على الحباب على عكس ما فعل في النص الاول وهو «غال الفناء حبابها وضبابها»..

***

١٦- الورد - نشرت في العدد السابع من مجلة «العمارة» عام ١٩٤٢، وقد سبق أن تحدثت عنها من قبل

***

١٧ - قلق - نشرت فى عدد يناير عام ١٩٤٣ من مجلة «الحديث» الحلبية، وهى تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال

الشعرية الكاملة لناجى كما تنشر للمرة الثانية ضمن هذه الأعمال المختارة.

***

١٨ - غيوم - نشرت في العدد الثالث من السنة السابعة عشرة من مجلة «الحديث» وهو العدد الصادر فى آذار (مارس) ١٩٤٣، وقد نشرت لاول مرة في الأعمال الشعرية الكاملة، وتنشر في هذا الكتاب للمرة الثانية.

***

١٩ - القمر - نشرت في عدد يوليو عام ١٩٤٦ من مجلة «الطالبة» مع قصيدة ثانية لناجى في نفس العدد بعنوان «خسوف القمر» وقد نشرت القصيدة لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي وللمرة الثانية ضمن هذه الأعمال المختارة.

***

٢٠ - أمل - نشرت في عدد ١٠ يناير عام ١٩٤٩ من مجلة «العالم العربى» ولدىَّ نسخة أحتفظ بها من هذا العدد، كانت الشاعرة أماني فريد قد أهدتها لي، لأن القصيدة ذاتها موجهة

إليها، وقد نشرت القصيدة لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي ..

***

٢١- على ضفاف النيل - نشرت في عدد مايو عام ١٩٤٩ من مجلة «الطالبة» وقد نشرت لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي ..

***

٢٢ - عاصفة غضب - لم تنشر هذه القصيدة فى أى ديوان من دواوين ناجى، وقد نشرت مرة واحدة فى إحدى المجلات الأدبية وهى مجلة «الحديث الحلبية - عدد فبراير ١٩٥٣ أى قبل شهر واحد من رحيل ناجى عن عالمنا ..

***

٢٣- بايعت حسنك ٠ نشرت للمرة الأولى في مجلة «مجلتي» - عدد أول يناير عام ١٩٣٦، وقد اشار إليها الباحث الجاد الاستاذ مصطفى يعقوب في دراسته التي أسماها «الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم ناجي- ملاحظات ونصوص مجهولة» وقد أبدلت العنوان الأصلي للقصيدة من «مبايعة» التي قد ترتبط

بالسياسة وليس بالحب إلى «بايعت حسنك».

***

٢٤- صخور وأشواك - نشرت للمرة الأولى في مجلة «مجلتي»- عدد أول يناير عام ١٩٣٦، وهو نفس العدد الذي نشرت فيه القصيدة السابقة وقد أورد نصها مصطفى يعقوب في دراسته.

٢٥- إلى أم كلثوم- ألقى ناجي هذه القصيدة مساء يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩٤٩ بمعهد الموسيقى العربية، ضمن المهرجان الذي أقيم به احتفالا بعودة كوكب الشرق إلى مصر بعد رحلة طويلة خارجها، وقد شارك في ذلك المهرجان كل من عباس محمود العقاد وعزيز اباظة وكامل الشناوي وبديع خيري وبيرم التونسي، وتنشر هذه القصيدة للمرة الأولى ضمن هذه «الأعمال الشعرية المختارة» وقد اخترت لها العنوان، وفي القصيدة إشارة إلى فكرة لم تتحقق فعليا وقتها، تتمثل في إقامة تمثال لأم كلثوم.

***

•صدر للشاعر حسن توفيق•

••شعــر••

١- الدم في الحدائق - طبعة أولى - سنة ١٩٦٩.

٢- أحب أن أقول لا - طبعة أولى - سنة ١٩٧١.

٣- قصائد عاشقة - طبعة أولى - سنة ١٩٧٤.

٤- حينما يصبح الحلم سيفا - طبعة أولى - سنة ١٩٧٨.

٥- انتظار الآتي - طبعة أولى - سنة ١٩٨٩.

٦- قصة الطوفان من نوح إلى القرصان - طبعة أولى - سنة ١٩٨٩.

٧- وجهها قصيدة لا تنتهي - طبعة أولى - سنة ١٩٨٩.

٨- ما رآه السندباد - طبعة أولى - سنة ١٩٩١.

٩- ليلى تعشق ليلى - طبعة أولى - سنة ١٩٩٦.

١٠- الأعمال الشعرية - طبعة أولى - سنة ١٩٩٨.

١١- عشقت اثنتين - طبعة أولى - ١٩٩٩.

١٢- غبار على صورة القدس - يصدر قريبا.

••دراسة وتحقيق••

١- اتجاهات الشعر الحر - طبعة أولى - سنة ١٩٧٠.

٢- إبراهيم ناجي: قصائد مجهولة - طبعة أولى - سنة ١٩٧٨

٣- شعر بدر شاكر السياب - دراسة فنية وفكرية - طبعة أولى سنة ١٩٧٩.

٤- أزهار ذابلة وقصائد مجهولة للسياب - طبعة أولى - سنة ١٩٨٠.

٥- جمال عبد الناصر - الزعيم في قلوب الشعراء - طبعة أولى - سنة ١٩٩٦.

٦- الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي - طبعة أولى - سنة ١٩٩٦.

٧- الأعمال النثرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي - طبعة أولى - سنة ٢٠٠١.

٨- رحلات شاعر عاشق - طبعة أولى - سنة ٢٠٠١.

٩- جمال عبد الناصر - الزعيم في قلوب الشعراء - طبعة موسعة - سنة ٢٠٠٢.

١٠- الأعمال الشعرية المختارة للدكتور إبراهيم ناجي - طبعة أولى - سنة ٢٠٠٣.

الفهرس

الفهرس

الفهرس

٨١١.٦ إبراهيــم ناجــي.

الأعمال الشعرية المختارة / إبراهيم ناجي ؛ تحقيق ودراسة حسن توفيق . ـ الدوحة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث ، ٢٠٠٣.

٣٥٥ ص ؛ ٢٠ سم.

رقم الايداع بدار الكتب القطرية : ١٢ / ٢٠٠٣

الــرقم الدولــي (ردمك) : ٨-٨٧-٢٠-٩٩٩٢١

رقم الايداع بدارالكتب القطرية

١٢ / ٢٠٠٣م

الرقم الدولي (ردمك) : ٨ـ٨٧ـ ٢٠ ـ ٩٩٩٢١







إبراهيم ناجي

الأعمال الشعرية المختارة

تضم هذه الأعمال الشعرية للشاعر الكبير الدكتور إبراهيم ناجي خمسين قصيدة، اختارها الشاعر حسن توفيق، وقسمها إلى مجموعتين، تشتمل أولاهما على خمس وعشرين قصيدة من روائع ناجي، من بينها النص الكامل للأطلال والعودة والخريف، أما المجموعة الثانية فإنها تشتمل على خمس وعشرين قصيدة من القصائد المجهولة، من بينها ثلاث قصائد تنشر للمرة الأولى في هذا الكتاب الذي تتصدره مقدمة ودراسة نقدية، كتبهما حسن توفيق، وتناول فيهما جوانب جديدة تتعلق بملامح العالم الشعري لشاعر الحب والأطلال إبراهيم ناجي الذي كان وما يزال مرموقا على امتداد الساحة الأدبية العربية، لكن شهرته الجماهيرية الفائقة لم تتحقق إلا بعد أن غنت له أم كلثوم سنة ١٩٦٦ ما اختارته من «الأطلال».



